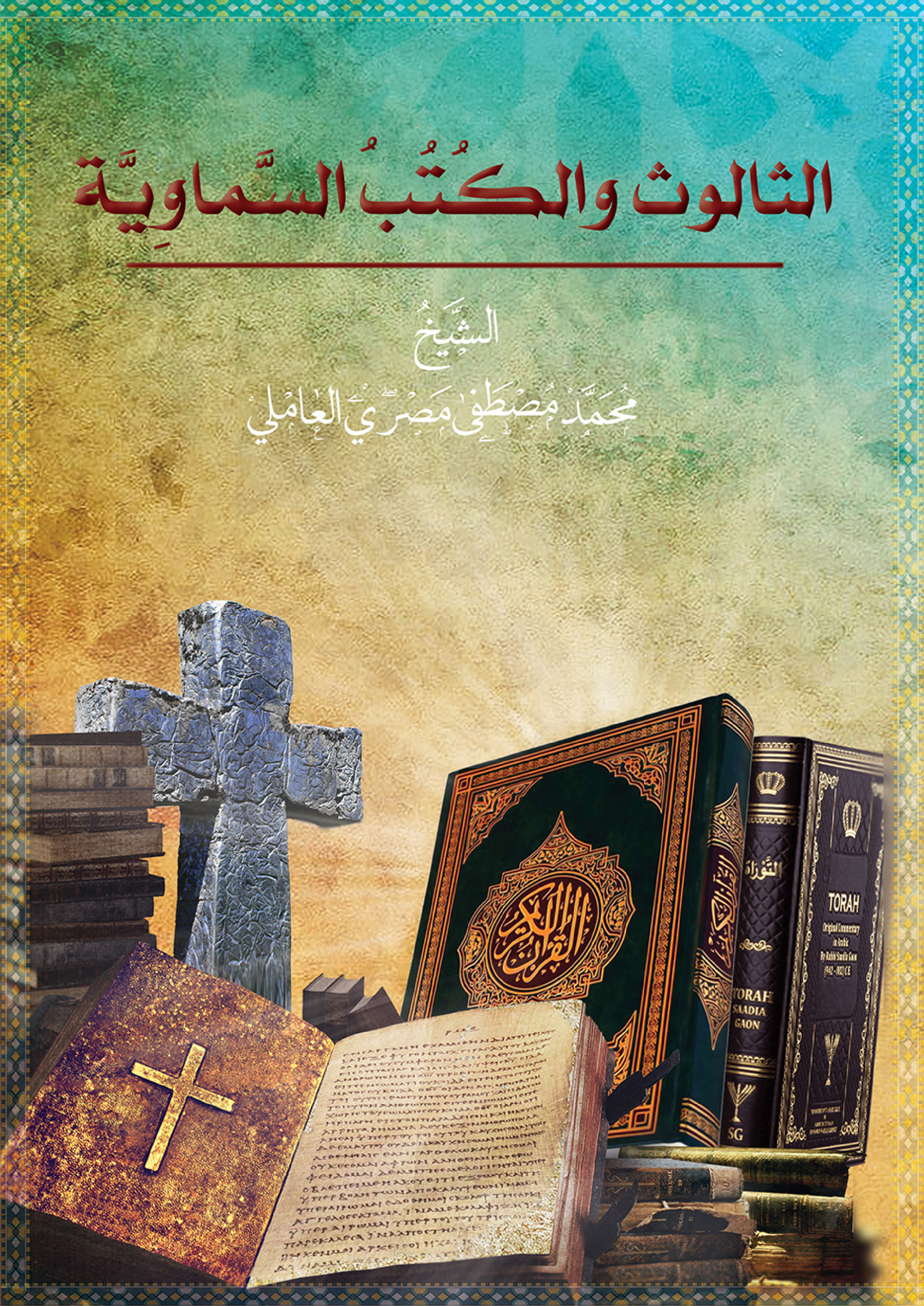


الثالوث والكُتُبُ السَّماوِيَّة
الشَّيخ
مُحمَّد مُصطفى مَصرِيّ العامليّ
التوراة
TORAH
SAADIA
GAON
TORAH

الثالوث
والكُتُبُ السَّماوِيَّة

سلسلة العلم والإيمان (٥)

الثالوث والكُتُبُ السَّماوِيَّة

الشَّيخ مُحَمَّد مُصطَفى مِصرِي العامِلي

mohammad@masrilb.net

منشورات

الجمعيّة العامليّة لإحياء التراث

الطبعة الأولى

بيروت، لبنان ٢٠٢٠ م

للحصول على الكتاب:

من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢

من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا** وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ﴾[1]، الحمد لله الذي خاطبه نبيُّه المؤيد بروح القدس عيسى عليه السلام بقوله: هذِهِ هِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ **أَنْتَ الإِلهَ الحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ** وَيَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[2].

الحمدُ لله الذي قال عنه الكتاب المقدّس: **أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ**[3].. **لاَ مِثْلَ لَكَ يَا رَبُّ**[4].. يَا رَبُّ، **لَيْسَ مِثْلُكَ وَلاَ إِلهَ غَيْرُكَ**[5]..

من بيئةٍ عايشت المسيح في أيامه بحسب الكتاب المقدّس.. ينحدر راقم هذه السطور.. من قرية في وسط مثلث: **صور وصيداء والنبطية**: تدعى **أنصار**.

مُثلَّثٌ في جنوب لبنان، طاف فيه المسيح، يشفي المرضى في ربوعه كما في إنجيل متى: ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ **وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ**[6].

---

(١) الإسراء١١١.

(٢) بحسب الإنجيل، كما في يوحنا١٧: ٣.

(٣) أشعياء٣٧: ١٦.

(٤) أرمياء١٠: ٦.

(٥) أخبار الأيام الأول١٧: ٢٠.

(٦) متى١٥: ٢١.

والثابت أن المسيح بعد زيارته صيدا اتّجه شرقاً نحو النبطية[١].. وهو الذي ينقل أنّه: **ترك والدته في إحدى مغاور عدلون**[٢]، وهي قرية أخرى في هذا المثلث.

وَلِصُور حكايةٌ في الدفاع عن عقيدة توحيد الله تعالى التي بشّر بها المسيح، حينما انعقد مَجمعُ صور سنة ٣٣٥م، الذي اعتبر عقيدة التوحيد التي تُنفى معها ألوهية عيسى هي الحق المبين، وأبطلَ عقيدة التثليث، قبل أن تنقضّ عليه المجامع المسكونية الأخرى كمَجمع القسطنطينية[٣].

أما النبطية التي استقبلت المسيح وسائر قرى هذه المنطقة، والتي آمنت بالإسلام بعد البعثة الشريفة، فإنّها اختارت طوعاً اتّباع أحد حواريي النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ووصيه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أبو ذرٍّ الغفاري، وتحوّلت إلى مدينة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى صارت تعرف بذلك.

وهكذا كانت سائرُ قرى جنوب لبنان، نماذج من هذه البيئة، كقانا الجليل التي أتاها المسيح: فَجَاءَ يَسُوعُ أَيْضًا إِلَى قَانَا الجَلِيلِ[٤]، والتي تحتوي: **أول كنيسة**

---

(١) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٣٥.

(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٣٥، ولعلّه إليه يشير الباحث يوسف السودا بقوله: على بعد ميلين جنوبي صيدا، كهفٌ قديمٌ.. يقال أنّ العذراء مريم أقامت تنتظر فيه قدوم ابنها الى صيدا (تاريخ لبنان الحضاري ص٤٩).

(٣) ههنا خلافٌ في دور مجمع صور، بين قائلٍ بأنّه رَفَضَ التثليث وأقرّ التوحيد، وبين من يقصر عمله على محاربة القديس أثناسيوس بطل التثليث في مجمع نيقية، لمزيد من التفصيل حول ذلك يراجع كتابنا (الثالوث صليب العقل).

(٤) يوحنا٤: ٤٦.

جاهر بها اللبنانيون وزيّنوا جدرانها بالرسوم والشعارات ورفعوا الصلبان فوق أعتابها[١].

إنها قرى لبنان: بلد الأرز، الذي قال فيه العهد القديم من الكتاب المقدس: **هُوَذَا أَعْلَى الأَرْزِ فِي لُبْنَانَ جَمِيلُ الأَغْصَانِ** وَأَغْبَى الظِّلِّ، وَقَامَتُهُ طَوِيلَةٌ، وَكَانَ فَرْعُهُ بَيْنَ الغُيُومِ[٢].

وهي التي **بقيت وفيّةً للمسيح حينما احتضن ترابُها قبرَ وصيّ عيسى** بطرس، المعروف بشمعون الصفا[٣]، وعدداً من أنبياء الله تعالى.

من هذه البيئة ننطلق في هذا الكتاب، حيث عرف معظم أهلها أن المسيح محلّ ابتلاء كثيرٍ من الأمم، فقد قال يوماً: **وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ**[٤].

---

(١) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٤٥.

(٢) حزقيال٣١: ٣.

(٣) والخلاف حول قبر شمعون الصفا معروفٌ مشهور، بين قائلٍ أنه مدفون في روما وهو القول المعروف عند النصارى اليوم، رغم إنكار كثيرٍ من الباحثين لذلك، وبين قائلٍ بأنه مدفون في جبل عامل في قرية شمع، كما هو المعروف في لبنان، وقد ذكر شواهدَ على ذلك الباحثُ علي داود جابر في كتابه (شمعون الصفا بين المسيحية والإسلام)، ولما رأى بعض الباحثين عدم تمامية الأدلة عند الطرفين ذهب الى قولٍ ثالث دلّ عليه ظاهر بعض الروايات عندنا وهو أنه مدفونٌ في صفين على حدود سوريا والعراق، والتزم به الشيخ علي الكوراني في كتابه (شمعون الصفا)، وأياً يكن الحق في ذلك، فإن لإقامة قبر شمعون في بلدة شمع دلالات على الروابط بين أهل هذه البلاد وبين المسيح عليه السلام، وهو جدّ الإمام المهدي المنتظر عليه السلام الذي ينتظره شيعة هذه البلاد والعالم بأسره.

(٤) متى١١: ٦.

لقد حاذر المسلمون في هذه البلاد من التعثُّر في المسيح عليه السلام، كما حاذروا من التعثُّر في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد روينا في أحاديثنا: بَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ جَالِساً إِذْ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله:

إِنَّ فِيكَ شَبَهاً مِنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَلَوْ لَا أَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَلَإٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ[1].

هذا الكتاب

نحاول في هذا الكتاب أن نقرأ الكتاب المقدَّس بعهديه (التوراة والإنجيل) **قراءةً مجرّدةً عن أيّ حُكمٍ مُسبق**، لنرى أن هذا الكتاب (على فرض صحته) **هل هو كتابٌ توحيديٌّ أم كتابٌ تثليثيّ؟**

ونتساءل: هل قال النصارى[2] بالتثليث بناءً على الكتاب المقدَّس؟ بحيث

(١) الكافي ج٨ ص٥٧.

(٢) لم يكن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي سمّى المسيحين بالنصارى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتْ النَّصَارَى المسِيحُ ابْنُ الله﴾ (التوبة ٣٠)، فقد سبقه إلى ذلك الكتاب المقدّس أيضاً بحسب جملة من نسخه، فقد عبّر عن عيسى عليه السلام أنّه: **يتزعم مذهب النصارى**، بحسب ترجمة الحياة في (أعمال الرسل٢٤: ٥)، وفي نسخة الأخبار السارة: **زعيماً على شيعة النصارى**، وفي المعنى الصحيح لإنجيل المسيح: أنّهُ **زَعيمُ طائفةِ النَّصارى**، وفي النسخة الكاثوليكية أو اليسوعية: **أحد أئمة شيعة النصارى**، نعم ورد في بعض النسخ كفاندايك: مِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ.

تضَمَّنَ نصوصاً صريحة في ذلك؟

ولعل هذا السؤال يبدو غريباً للوهلة الأولى، إذ كيف للنصارى أن يعتقدوا بالثالوث ما لم يكن الثالوثُ دعوةَ المسيح في كتابه؟!

فليتابع القارئ الكريم معنا مستذكراً قول الكتاب المقدَّس نفسه: **مَنْ يُجِيبُ عَنْ أَمْرٍ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَهُ، فَلَهُ حَمَاقَةٌ وَعَارٌ**[1].

هي دعوةٌ لكل مسيحيٍّ أن **يتقمّص دور الباحث في الكتاب المقدّس متجرِّداً عن الخلفيات التي قد توجِّهُه بعيداً عن دلالة النصوص.**

تعريفٌ بالكتب المقدسة

يتضمَّنُ بحثُنا محاولةً لسبرِ أغوار الكتب السماوية الثلاثة، فيما يخصُّ توحيد الله تعالى.

أمّا الكتاب المقدّس، فهو الذي يتضمنُ العهدَ القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى، والعهدَ الجديد الذي ينفردُ بالإيمان به النصارى.

وقد كُتبت كُتُبُ هذين العهدين بلغات مختلفة، من عبريّةٍ وآراميّةٍ (انبثقت عنها السريانيّة) كما هو الحال في معظم أسفار العهد القديم، إلى يونانيّةٍ كما هو الحال في معظم أسفار العهد الجديد.

وأما القرآن الكريم فقد نزل باللغة العربية كما هو اليوم.

---

(١) الأمثال١٨: ١٣.

ويتضمن **العهد القديم**[١] **المتفق على صحته عند النصارى** أسفار موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية)، والأسفار التاريخية (١٢ سفراً)، والأسفار الشعرية (٥ أسفار)، وأسفار الأنبياء الكبار (٨ أسفار)، وأسفار الأنبياء الصغار (٩ أسفار)، بما مجموعه ٣٩ سفراً.

أما **الأسفار القانونية الثانية فمختلف حولها** حيث تقرّها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية، وترفضها مجمل الطوائف اليهودية والكنائس البروتستانتية الإنجيلية، وهي سبعة أسفار، فضلاً عن إضافةٍ في سفرين من الأسفار المعترف بها عند الجميع، فيصير عددها ٤٦ سفراً عند من يعترف بها[٢].

وأما العهد الجديد[٣]، فيتضمن الأناجيل أو البشارات الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا)، وأعمال الرسل، ورسائل بولس (١٤ رسالة)، والرسائل الجامعة (٧ رسائل ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا)، ورؤيا يوحنا، بما مجموعه ٢٧ سفراً.

---

(١) يقال أنّ أول لائحة وضعت في سبيل قانونية العهد القديم وأسفاره وتضم أسفار الشريعة الخمسة كانت في أيام عزرا حوالي عام ٤٠٠ قبل الميلاد، ثم زيد عليها إلى أن ثبّت علماء اليهود حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة من العهد القديم، تراجع لمزيد من التفصيل مقدمة الترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس.

(٢) راجع التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٤٠، ومقدمة الترجمة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدس ص٤٧.

(٣) يقال أنّ هذه التسمية أطلقت في أواخر القرن الثاني، راجع الترجمة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدس، مدخل إلى العهد الجديد ص٧.

نسخ الكتاب المقدّس

اعتمدنا بشكل أساسي في هذا الكتاب على:

١. النسخة المترجمة إلى العربية والمشهورة بـ(فان دايك) أو (سميث وفاندايك) للعهدين القديم والجديد، وهي المعروفة بالبروتستانتية. واقتبسنا منها معظم النصوص الواردة في الكتاب، وقد عمل على إخراجها كل من الدكتور عالي سميث، والدكتور كرنيليوس فان دايك، وشارك فيها المعلم بطرس البستاني، والشيخ ناصيف اليازجي، والشيخ يوسف الأسير الأزهري، طُبعت سنة ١٨٦٥م.

واعتمدنا أيضاً على نسخ أخرى للعهدين منها:

٢. **الترجمة المشتركة**: أو الترجمة العربية المشتركة، دار الكتاب المقدس: صدرت عن اتحاد جمعيات الكتاب المقدس، وقد وضعتها لجنة مؤلفة من علماء كتابيين ولاهوتيين ينتمون إلى مختلف الكنائس المسيحية: الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية.

٣. **الترجمة اليسوعية أو (الكاثوليكية)**: (*Jesuit Arabic Bible*): وهي الترجمة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، عن الأصل العبراني واليوناني، وصدرت في بيروت في أواخر القرن التاسع عشر، عام ١٨٩٧ تحديداً.

٤. الترجمة اليسوعية الجديدة: وهي إعادة نظر في الترجمة السابقة، صدرت سنة ١٩٨٩م.

٥. ترجمة كتاب الحياة: (*Arabic Life Application Bible*).

٦. ترجمة الأخبار السارة: (*Good News Arabic*).

٧. الترجمة العربية المبسطة، أو الترجمة السهلة:-*ARABIC BIBLE: EASY-TO-READ VERSION*، طباعة: المركز العالمي لترجمة الكتاب المقدس سنة ٢٠٠٩ م.

٨. ترجمة العالم الجديد: لشهود يهوه.

٩. ترجمة الشريف *Sharif Arabic Bible (SAB)*.

١٠. ترجمة العلامة فارس الشدياق ١٨٥٧م.

١١. ترجمة الآباء الدومنكان ١٨٧٥م العراق، الموصل.

١٢. (كتاب المقدس) طَبَعه ريتشارد واطس عن النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٦٧١م.

وهناك ترجمات خاصة بالعهد القديم وحده أو بعض أقسامه منها:

١. تفسير التوراة بالعربية لسعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي: وهي أول ترجمة يهودية من النص العبري مباشرة إلى اللغة العربية، بخلاف الترجمات المسيحية التي تمت عبر الترجمة السبعينية واللاتينية، كُتب بالكلمات العربية والخطوط العبرية، ويرجع إلى أكثر من ١١٠٠ عام، ويظهر أنه طُبع أخيراً طبعة أخرى محققة منقّحة بعدة لغات كما في موقع *biblejew.com* واعتبر التفسير الرسمي اليهودي للتوراة، بقلم معالي الحاخام سعديا غاؤون.

٢. التوراة: ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام.

٣. التوراة السامرية: النص الكامل للترجمة العربية: الكاهن أبو الحسن

إسحاق الصوري.

٤. العهد القديم: ترجمة بين السطور عبري عربي: الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، طباعة الجامعة الأنطونية.

٥. سفر التكوين: الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، وهي أقدم ترجمة يونانية وصلت إلينا نقلاً عن النص العبري الأصلي، إعداد الراهب إبيفانيوس المقاري جمعاً بينها وبين عدة ترجمات أخرى.

٦. العهد القديم لزماننا الحاضر: ترجمة الاب صبحي حموي اليسوعي.

٧. العهد العتيق: الدار الكاثوليكية المصرية ١٩٣٧.

٨. توراة موسى: ترجمة عربية للسبعينية: د. خالد جورج اليازجي.

وترجمات خاصة بالعهد الجديد وحده أو الأناجيل الأربعة وحدها منها:

١. الترجمة البولسية: قام بها الأب جورج فاخوري مع الآباء البولسيين، وصدرت في لبنان سنة ١٩٥٣م.

٢. المعنى الصحيح لإنجيل المسيح، *True Meaning Arabic (TMA)*.

٣. الأناجيل الأربعة: اعتماداً على ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف ومئة سنة، طبعها د. سهيل زكار في كتاب: الأناجيل النصوص الكاملة، يرجح أنها تُرجمت في العصر العباسي.

٤. العهد الجديد: ترجمة بين السطور يوناني عربي، إعداد الآباء: بولس الفغالي وأنطوان عوكر، نعمة الله الخوري ويوسف فخري، طباعة الجامعة الأنطونية.

٥. إنجيل متّى: بترجمة جديدة لإينوك باول وتعريب أحمد ايبش، طبع في كتاب: تطور الإنجيل.

٦. الأناجيل الاربعة: ترجمة ابن العسال سنة ١٢٥٣م عن النص القبطي.

٧. الأناجيل الأربعة: مترجمة عن القبطية ١٩٣٥م: حبيب جرجس.

٨. الأناجيل الاربعة ١٨٦٤ م في المانيا برلين.

٩. الانجيل: الشريف الطاهر المقدس، بيروت ١٨٦٥ م عن السريانية للمطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني.

١٠. الإنجيل المقدس طبعة روما ١٩٥١م.

١١. العهد الجديد: الطبعة الهندية في كلكتة ١٨١٦م.

١٢. العهد الجديد: القمص قزمان البراموسي ١٩٨١م.

١٣. العهد الجديد قبطي عربي، دار الكتاب المقدس.

١٤. العهد الجديد لربنا يسوع المسيح ١٣٤٢ م: طبعه المستشرق الهولندي توماس اربنيوس.

١٥. ترجمة الكلية الأكليريكية للأناجيل الأربعة.

وبهذا يكون ما تسنّى لنا مراجعته من ترجمات العهد القديم حوالي عشرين ترجمة، ومن العهد الجديد قد زاد عن خمسٍ وعشرين ترجمة مختلفة.

مضافاً إلى جملةٍ من الكتب التي لم تعترف بها الكنيسة، كإنجيل برنابا، وإنجيل الديداكي وهو من أقدم الأناجيل التي وصلت إلينا نِسَخُها، وجملةٍ من الأناجيل الأخرى التي عُبِّرَ عنها ب(المنحولة) كإنجيل توما وإنجيل الطفولة

العربي، مضافاً إلى كتاب المورمون وغيرها من الكتب المسيحية المختلفة.

وقد راجعنا عدة تفاسير وشروح للكتاب المقدّس منها شروح: هنري أ. أيرونسايد ووليم ماكدونالد وبنيامين بنكرتن وهلال أمين وناشد حنا ومتى بهنام وغيرهم من شراح الكتاب المقدس.

ونشرع في فصولِ الكتاب، **معتذرين من قرّائنا النصارى إن أورث عندهم غمّاً أو حزناً، فليس لنا أن نذُمَّ كلَّ غمٍّ وحزنٍ** إذ قد يكون سببه انفتاح أبواب الحكمة ومعرفة الله معرفةً حقّة كما يشير إلى ذلك نبيُّ الله سليمان بحسب الكتاب المقدّس: وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الحِكْمَةِ وَلِمَعْرِفَةِ الحَمَاقَةِ وَالجَهْلِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ هذَا أَيْضًا قَبْضُ الرِّيحِ. **لأَنَّ فِي كَثْرَةِ الحِكْمَةِ كَثْرَةُ الغَمِّ، وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً**[1].

الحكمةُ كلُّ الحكمة في أن يصير أحدُنا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الالبَابِ**﴾[2].

والحمد لله ربِّ العالمين

محمد مصطفى مصري العاملي

قمّ المقدّسة

في: ٢٢-١٢-٢٠١٩ م

الموافق ٢٥ ربيع الثاني ١٤٤١ للهجرة الشريفة.

---

(١) الجامعة١: ١٧-١٨.

(٢) الزمر١٨.

فصل١: أبحاث تمهيدية

١. الكتب وحي سماوي

يعتقد أتباع الأديان السماوية الثلاثة (اليهود والنصارى والمسلمون) أن الكتب التي بين أيديهم وحيٌ إلهي، وإن اختلفت أساليب الإيحاء بها وكتابتها.

ففي العهد القديم كتاب اليهود (وهو مكتوب بالعبرية وبعضه بالآرامية، وقد ترجمه اليهود قبل الميلاد إلى اللغة اليونانية) ما يدلّ على أن الله تعالى كتب كلامَه وعهدَه لبني إسرائيل على لوحَي حجرٍ أعطاهما لنبيه موسى عليه السلام: **فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا. وَأَخْبَرَكُمْ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الكَلِمَاتِ العَشَرِ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحَيْ حَجَرٍ**[١].

ولمّا صنع بنو إسرائيل العجل أخذ موسى اللوحين وطرحهما وكسّرهما!: **فَأَخَذْتُ اللَّوْحَيْنِ وَطَرَحْتُهُمَا مِنْ يَدَيَّ وَكَسَّرْتُهُمَا أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ**[٢]، فأمر الله موسى بِنَحتِ لوحين جديدين، وأعاد الربُّ كتابة الكلمات عليهما: **فَأَكْتُبُ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ**.. وأعطاهما لموسى فوضعهما في التابوت كما أمره الربّ[٣].

وكان موسى يكتب أقوالَ الربّ وأحكامَه التي يبلّغها لبني إسرائيل:

---

(١) التثنية ٤: ١٢-١٣.

(٢) التثنية ٩: ١٧.

(٣) التثنية ١٠: ١-٥.

فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ(١).

وقبل وفاة موسى عليه السلام: **كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا**(٢).

وأكّد العهد القديم على ضرورة الالتزام بحرفيّة الوحي السماويّ، حين منع عن الزيادة والنقيصة فيه بقوله: كُلُّ الكَلاَمِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. **لاَ تَزِدْ عَلَيْهِ وَلاَ تُنَقِّصْ مِنْهُ**(٣).

أما النصارى، فإنهم يعتقدون أنّ المسيح نفسه لم يترك إنجيلاً، ومن كلماتهم في ذلك: **المسيح نفسه لم يترك من بعده وثيقة مكتوبة**(٤). **المسيح علم شفوياً ولم يترك أيّ أثرٍ كتابيّ. تلاميذه بشّروا وتركوا لنا العهد الجديد في اللغة اليونانية**(٥).

رغم ذلك، فإنهم وهم المؤمنون بالعهد الجديد، يعتقدون أنّ ما فيه قد ثبت بوحيٍ سماويٍ أو بإعلان من عيسى عليه السلام، كما نصّ العهد الجديد نفسه على ذلك، ففي رسائل بولس: وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ **الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ**، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. **بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ المَسِيحِ**(٦).

(١) الخروج ٢٤: ٣.

(٢) التثنية ٣١: ٢٤.

(٣) التثنية ١٢: ٣٢.

(٤) عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك في كتاب: بين العقل والإيمان ج١ ص١٤٠.

(٥) الشماس اسبيرو جبّور في كتاب: سر التدبير الإلهي التجسد ص١٩.

(٦) غلاطية ١: ١١-١٢.

وذهب يوحنا إلى أن ما أتى به كان مرسلاً بيد ملاك الله له: إِعْلاَنُ يَسُوعَ المَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ الله، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، **وَبَيَّنَهُ مُرْسِلاً بِيَدِ مَلاَكِهِ لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا**[1].

ومثلُه ما في رسائل بطرس: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ **تَكَلَّمَ أُنَاسُ الله القِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ**[2].

وتُعَمَّمُ القضية إلى سائر الأسفار بحسب النص التالي: **كُلُّ الكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ الله**، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ[3].

فالإنجيل إذاً قد كُتِبَ بحسب هذه النصوص، وبحسب اعتقاد النصارى بوحيٍ سماوي عبر الروح القدس ملاك الله، لعباده كَتَبَة الأناجيل القدّيسين.

وقد صرّح علماء النصارى بأن هذه الكتب هي إلهامٌ من الله، وإن أقرّوا بأن الكَتَبَة هم الناس، يقول الشماس اسبيرو جبّور: **النظرية المسيحية في الوحي تعتمد على أن الله ألهم كَتبة الكتاب المقدس، فتناولوا القلم وكتبوا. اللغة هي لغة الكاتب** والموضوع الديني هو ما يقوم الله بإلهامه.. **لا ينسب المسيحيون نص الكتابة إلى الله، لا يؤمنون بالإنزال نصاً ومعنى**. وليس لديهم حتى إنزال. يؤمنون بإلهام الله للكاتب. الكتابة كتابة إنسان[4].

---

(١) رؤيا يوحنا١: ١.

(٢) بطرس الثانية١: ٢٠و٢١.

(٣) تيموثاوس الثانية ٣: ١٦.

(٤) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢٠.

ورغم أن المخطوطات الأصلية كلّها قد فقدت، إلا أنهم يعتقدون صحة ما بين أيديهم، يقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: **تجدر الملاحظة.. أن المخطوطات الأصلية التي سطّرها الأنبياء والرسل أنفسهم، قد فُقدت جميعاً بلا استثناء، وليس لدينا سوى ما نسخ عنها.** وأقدم هذه بالنسبة الى العهد القديم تعود بنا الى القرنين التاسع والعاشر، وبالنسبة الى العهد الجديد إلى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد. وبعبارة أخرى فإنَّ قروناً كثيرة تفصل بين المخطوطات الأصلية والمخطوطات التي نقلت عنها والموجودة عندنا[1].

وان اكتشفت بعد ذلك مخطوطات قمران وغيرها.

أما المسلمون فيعتقدون في قرآنهم الكريم بالوحي السماوي أيضاً: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**﴾[3].

هي عقيدةٌ تتّفق عليها الكتب السماوية وأتباعُها من لزوم اتّباع وحي السماء والأخذ بما بلّغ الأنبياءُ الخلقَ فيه عن رب العباد.

وفي حين كان إعجاز القرآن الكريم دليلاً على صحته وصدقه، وتحدّيه للناس أن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك برهاناً على كونه إلهياً سماوياً، لم يكن للكتاب المقدس بعهديه أي تحدٍّ لإثبات صوابيته، وإن ذهب بعض قساوسة النصارى إلى أن عدم تناقضه وإخباراته الغيبية الصحيحة وغيرها من الوجوه أدلة

(١) بين العقل والإيمان ج١ ص١٦٧.

(٢) الأنعام١٩.

(٣) الكهف٢٧.

على صحته!

٢. كثرة الكذب ودعاوى الرسالة الباطلة

إن الاعتقاد بأن وحيَ السماء هو مصدر الكتب السماوية لا ينافي كثرة الكذب على الله تعالى، ووجود دعاوى باطلة وافتراءات تضل الناس عن سبيل الله تعالى باسم رب العباد.

ففي العهد القديم تحذيرٌ من نسبة الباطل لله تعالى: لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً[١].

وفيه: كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ الله نَقِيَّةٌ. تُرْسٌ هُوَ لِلْمُحْتَمِينَ بِهِ. **لاَ تَزِدْ عَلَى كَلِمَاتِهِ لِئَلاَّ يُوَبِّخَكَ فَتُكَذَّبَ**[٢].

وفيه: فَقَالَ الرَّبُّ لِي: «**بِالكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أُرْسِلْهُمْ**، وَلاَ أَمَرْتُهُمْ، وَلاَ كَلَّمْتُهُمْ. **بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ**»[٣].

وفي العهد الجديد أيضاً تحذير من الأنبياء الكذبة: **اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!**[٤].

---

(١) الخروج ٢٠: ٧.

(٢) الأمثال ٣٠: ٥-٦.

(٣) أرمياء ١٤: ١٤.

(٤) متى ٧: ١٥.

وفيه: **وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ**[١].

وفي القرآن الكريم: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**﴾[٢].

وفضلاً عن الكذب والافتراء على الله تعالى، فإن من الناس من يحرف الكلم، ففي العهد القديم: **الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي**[٣]، وفيه: قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ[٤].

وفي القرآن الكريم: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[٥].

فتحريف الكلام يكون:

١. تارة بتغييره وتحويره وتزويره، أي تبديل ألفاظه.

٢. وتارة أخرى بتحريفه عن مواضعه أي تغيير معناه بعد الإبقاء على لفظه، فيُفَسَّر بتفسيرٍ لا يتناسب مع ما يريده الله تعالى.

إذا كان الأمرُ كذلك، فلا بدّ من وجود:

١. **قواعد وضوابط يُمَيّزُ فيها كلام الله من كلام الأنبياء الكذبة** المفترين المُضلِّين، ويُعرف فيها وحيُ السماء فيُعزل عن الرؤى الكاذبة والدعاوى الباطلة والافتراءات على رب السماء، وهو ما تتكفّل به أبحاث إثبات صحة نسبة الكتاب

---

(١) متى٢٤: ١١.

(٢) الأنعام٩٣.

(٣) المزامير٥٦: ٥.

(٤) أرمياء٢٣: ٣٦.

(٥) المائدة١٣.

لله تعالى وصيانته من التحريف، وهو أجنبيٌّ عن بحثنا هنا، لأننا ناقشنا الكتب السماوية في هذا الكتاب **على فرض صحتها بحسب المعتقدين بها.**

٢. **ضوابط أخرى لفهم كلام الكتب المقدّسة،** على فرض صحتها، لئلا ننخدع بمن يُحَرِّفُها عن مواضعها أي يغيّر معانيها.

فإن بقاء الكتب المقدّسة على ما هي عليه هو المرحلة الأولى لبلوغ الغاية، وبقاء معانيها كما أرادها الله تعالى هو المرحلة الثانية لنفس الغاية، وأيُّ خللٍ في المرحلتين سيؤدي إلى فهمٍ مغلوطٍ لها ونتيجةٍ مغايرةٍ للغرض من إنزالها.

٣. قواعد الفهم للكتب السماوية

لّما نزلت الكتب السماوية بلغاتٍ بشريّةٍ على الشعوب المختلفة، فإنّها جرت في أساليبها مجرى الناس أنفسهم في خطاباتهم اليومية ولغاتهم المحكية في الجملة، فتضمّنت كما هو حال كل اللغات نصوصاً صريحةَ الدلالة لا تحتمل إلا وجهاً واحداً، وأخرى ظاهرةً في معنى تدلُّ عليه ولا تُصرف عنه إلا بقرينةٍ، ونصوصاً مُجمَلة تحتاج إلى تحديد وجهها وتِبيان المراد منها.

وههنا يُطرح سؤالٌ محوريٌّ حول فهم النصوص الكتابية: **هل ينبغي فهمها على ظاهرها مطلقاً؟ والأخذ بحرفيّتها** من ناحية الدلالة؟

أم يلزم أن تؤخذ مجتمعة فيفسّرُ بعضها بعضاً؟ ويُحمَل الظاهر على الأظهر، والمتشابَه على المحكم.. ويُفهم المجاز على مجازيّته، وتُحمَل كثيرٌ من ألفاظها على التشبيه والاستعارة وأمثال ذلك؟

لقد أشار بولس إلى أهمية معرفة اللغة لفهم الكلام فقال: **فَإِنْ كُنْتُ لاَ**

أَعْرِفُ قُوَّةَ اللُّغَةِ أَكُونُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ أَعْجَمِيًّا، وَالْمُتَكَلِّمُ أَعْجَمِيًّا عِنْدِي(١).

وفي إنجيل متّى إشارة إلى أهمية الأرضيّة الصالحة لفهم الكلام حقّ فهمه، فليس كل من سمع الكلمة فهمها ووعاها: **وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ**. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ(٢).

أما القرآن الكريم فقد بيّن الأمر جلياً بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ **آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(٣).

ولأهميّة هذا المطلب وخطورته، فإنّ من المناسب عرضَ نماذج من أساليب الكتب السماوية في إيصال الأفكار، وهي تؤكد **احتوائها على المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والكناية والاستعارة والتشبيه**، وغير ذلك مما يفيدنا في فهم هذه الكتب، فلا يستغرب القارئ الكريم من هذا المنهج بعد الدخول في البحث إذا ما اتضحت معالمه عنده.

أ. نماذج من العهد القديم

النموذج الأول: أعضاء الرب

يلتزم أتباع الأديان السماويّة بأن الله تعالى ليس كمثله شيء (كما سيأتي في الفصل الثاني)، ولذا فإنهم يحملون النصوص التي تخالف هذا المعنى على معنى

---

(١) كورنثوس الأولى١٤: ١١.

(٢) متى١٣: ٢٣.

(٣) الأنعام٧.

مجازيّ كما هو واضح، وإلا يلزم أن يُنسب للربّ يدٌ وإصبعٌ وعينٌ وأُذُنٌ وأنفٌ وفمٌ ورجلان وغير ذلك.

ففي العهد القديم نصوص عديدة تتضمن مثل هذه التعابير منها:

أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ وَاسْمَعِ. **افْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ** وَانْظُرْ[1].

اَلآنَ **عَيْنَايَ تَكُونَانِ مَفْتُوحَتَيْنِ، وَأُذُنَايَ مُصْغِيَتَيْنِ** إِلَى صَلاَةِ هذَا الْمَكَانِ[2].

فَهَا **يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ** الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا[3]..

ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: **لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبعِ الله**[4].

يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ[5].

صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، **وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ**[6].

وقد التزم النصارى بتنزيه الله تعالى عن الأعضاء، فحُملت هذه الألفاظ

---

(١) أشعياء٣٧: ١٧.

(٢)أخبار الأيام الثاني٧: ١٥.

(٣) الخروج٩: ٣.

(٤) الخروج٣١: ١٨.

(٥) الخروج١٥: ٦.

(٦) صموئيل الثاني٢٢: ٩-١٠.

على معانٍ مجازية، لذا قال الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى:

مثل هذه التعابير البشرية التي هي بعيدةٌ كل البعد عن جوهر الله لأن الله ليس بجسد فيوصف.. وليس له أعضاء بشرية[١].

وقال عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك:

الكتاب المقدس الذي يتكلم بأسمى طريقة عن عظمة الله.. **يتحدث عنه باستعارات وتشبيهات نابضةٍ بالحياة،** فهو يتحدث عن عينيه وأذنيه ويديه وقدميه، فمه وشفتيه، قلبه وأحشائه.. **ويستعير الكتاب المقدس لله استعارات شتّى كالشمس والنور** والينبوع والعين والصخر والملجأ والسيف والترس والأسد والنسر، والبطل والمحارب.. والأب[٢].

هي **أنواع استعارة وتشبيه** إذاً يفيض بها الكتاب المقدس عن الله تعالى، وليس فيها شيء من المعاني الحقيقية، وكلُّ ظاهرٍ ينافي تنزيه الله تعالى يُعرَضُ عنه ويُقدَّمُ التفسير الذي يتناسب مع كماله عزّ وجلّ.

يشهد على ذلك أيضاً بعض ترجمات العهد القديم في بعض الفقرات، ففي ترجمة سعديا بن جاؤون (ص٢٦٩) وفي ترجمة أبو الحسن إسحاق الصوري (ص١٣٥) ورد أن اللوحان (مكتوبين بقدرة الله) بدلاً من (**بِإِصْبعِ الله**)، كما في أغلب النسخ.

(١) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص١١.

(٢) بين العقل والإيمان ج٢ ص١٥.

ويعطي القديس يوحنا الدمشقي[١] قاعدةً عامة لذلك بقوله: إن الكثير مما يُفهم عن الله فهماً غامضاً **لا يمكن التعبير عنه تعبيراً صائباً**، بل نضطر في الكلام عمّا يفوقنا إلى استعمال ما هو على شكلنا. مثلاً، في الكلام عن الله ننسب إليه تعالى النوم والغضب والإهمال واليدين والرجلين وما شابه ذلك[٢].

ونموذجها يمين الربّ مثلاً، فيقول الدمشقي: لا نقول بيمين مكانية، فكيف تكون يمينٌ مكانية لمن لا يُحصر؟ واليمين واليسار تختصّان بالأجسام المحدودة، لكننا **نعني بيمين الآب مجد لاهوته وكرامته**[٣].

ويؤيِّدُ ذلك بما في إنجيل برنابا: قال متى: يا معلم، إنك لقد اعترفت أمام

(١) القديس يوحنا الدمشقي، اسمه منصور بن سرجون، قال عنه البابا يوحنا بولس الثاني أنه: البطل المناضل عن الإيمان الأرثوذوكسي (منصور بن سرجون ص٧) وقد كان والده مستشاراً لمعاوية بن أبي سفيان ومن بعده لابنه يزيد بن معاوية، وقد أشار والده سرجون على يزيد بأن يولي الكوفة عبيد الله بن زياد لما علم بقدوم الإمام الحسين عليه السلام نحوها.. (يراجع تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ص٤١ و١٠٤ والبداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٦٤، وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩، ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٢، وغيرها من المصادر) **وكان صديقاً ونديماً وملازماً ليزيد بن معاوية قاتل الإمام الحسين** عليه السلام، قال أبو الفرج الأصفهاني: كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء ، وآوى المغنّين ، وأظهر الفتك وشرب الخمر ، **وكان ينادم عليها سرجون النّصرانيّ** مولاه والأخطل (الأغاني ج١٧ ص١٩٣، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص٦٦٢) وقيل بأن المراد هو منصور نفسه لأن والده كان حينها طاعناً في السن لا تناسبه هذه الملاهي.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٥٦.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٢١٦.

اليهودية كلّها بأن **ليس لله من شبهٍ كالبشر**، وقلت الآن: **إن الإنسان ينالُ من يد الله. فإذا كان لله يدان فله إذاً شَبَهٌ بالبشر**. أجاب يسوع: إنك لفي ضلالٍ يا متى. ولقد ضلّ كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام. **لأنّه لا يجبُ على الإنسان أن يُلاحظ ظاهر الكلام بل معناه**(١).

النموذج الثاني: علم الله وتذكره

ورد في العهد القديم: فَسَمِعَ الله أَنِينَهُمْ، **فَتَذَكَّرَ** الله **مِيثَاقَهُ** مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَنَظَرَ الله بَنِي إِسْرَائِيلَ **وَعَلِمَ الله**(٢).

ولا يلتزم النصارى بعلم الله بعد جهلٍ، ولا بتذكُّره بعد نسيان، فيحملون الكلام على غير ظاهره.

يقول الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى عن الله تعالى: **يعلم منذ الأزل كل ما يحدث في الكون.. ليس أمامه ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل**(٣).

ذلك أنه قد ثبت **عدم محدودية علم الله لِما كان وما لم يكن**، قال القديس توما الأكويني: كل ما يمكن للخليقة أن تصنعه أو تفتكره أو تقوله وكل ما يمكن لله أن يصنعه كل ذلك **يعرفه الله وان لم يكن موجوداً بالفعل**، وبهذا الاعتبار يجوز أن يقال ان الله يعلم اللاموجودات ايضاً(٤).

---

(١) الفصل الرابع بعد المئة ١٠-١٣.

(٢) الخروج ٢: ٢٤-٢٥.

(٣) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص١٦.

(٤) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص١٩٥.

النموذج الثالث: ندم الرب

ذكر العهد القديم ندمَ الرب مرات عديدة منها: **فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ**[١]، ومنه: **فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ**[٢]، ومنه: **وَالرَّبُّ نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ**[٣]. وغير ذلك من الموارد.

ولأنّ الندم نقصٌ كاشفٌ عن جهل، ولأنّ الله تعالى منزّه عن النقص والجهل، حمل النصارى الندم على **حالة تصويرية تُشبِهُ الحالة البشرية، فهو معنى مجازيّ لا حقيقيّ**، قال: الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى: ما معنى أن الله ندم على الشر.. فلم يصنعه؟ معناه أن **الله لم يتغيّر**، إنما الشعب هو الذي تغيّر، وهنا **يعلن الله لهم بلغة البشرية صفحَهُ عنهم**، فندم الله عن الشر الذي قال أن يفعله بشعب..[٤].

يشهد على ذلك أيضاً بعض ترجمات العهد القديم، فقد خلت بعض موارد ترجمة سعديا بن جاؤون من لفظ الندم وحلّ محلّه (الصفح): **فصفح الله عن البليّة** التي قال أن يحلّها بقومه[٥]، وقريب منه ترجمة أبو الحسن إسحاق الصوري[٦]، وفي ترجمة (بين السطور عبري عربي) استبدل الندم بالعود عن السوء الموعود

---

(١) الخروج٣٢: ١٤.

(٢) صموئيل الثاني٢٤: ١٦.

(٣) صموئيل الأول١٥: ٣٥.

(٤) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص١٦.

(٥) تفسير التوراة بالعربية لسعديا بن جاؤون ص٢٧١.

(٦) التوراة السامرية ص١٦.

فكان النصّ: **فعاد الربّ عن السوء الذي** قال إنّه سينزله بشعبه[١]، لكن سائر الموارد كما في (صموئيل الأول والثاني) ما خلت من نسبة الندم لله تعالى، فلا بدّ أن يكون المراد منها هو المعنى المجازي المتقدّم.

النموذج الرابع: الرب يسير في خيمة ويسكن في الضباب

ورد في العهد القديم: وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً: «اِذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَايَ؟ لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، **بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنٍ**[٢].

وفي ترجمة الحياة: **كُنْتُ أَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ فِي خَيْمَةٍ هِيَ مَسْكَنٌ لِي.**

وفيه أيضاً: حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: «**قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ**. إِنِّي قَدْ **بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ**»[٣].

وفي الترجمة المشتركة: **في السَّحابِ يسكُنُ الرّبُّ**. وفي الترجمة الكاثوليكية: قالَ **الرَّبُّ إِنَّه يَسكُنُ في الغَيمِ المُظلِم**.

وفي موارد أخرى ذكر أن موضع سكنى الأب هو السماء: .. **وَاسْمَعْ أَنْتَ فِي مَوْضِعِ سُكْنَاكَ فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا سَمِعْتَ فَاغْفِرْ**[٤].

---

(١) العهد القديم: ترجمة بين السطور عبري عربي ص١٤٤.

(٢) صموئيل الثاني٧: ٤-٧.

(٣) الملوك الأول٨: ١٢-١٣.

(٤) الملوك الأول٨: ٣٠.

وفي المزامير: مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ. **مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ**[1].

وظاهر العبائر أن الربّ كالناس يسير في خيمة، وأنه يسكن في مكان محدد، أرضيّاً كان أم سماوياً، ولازم الأمرين الجسمية والمحدودية التي يجلّ الخالق عزّ وجل عنها.

فلا بدّ من عدّ مثل هذه الكلمات من المتشابهات التي ينبغي ردّها إلى المحكمات، ويتضح ذلك بالعودة إلى نصوصٍ أخرى تبيّن أن الله تعالى لا يُحَدُّ بمكانٍ، وأن البيتَ الذي بُني إنما بُني لاسم الله لا لكي يكون الله تعالى فيه، جلّ ربنا عن ذلك.

ومن هذه النصوص: **لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ الله حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ؟**.. لِتَكُونَ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى **هذَا الْبَيْتِ** لَيْلاً وَنَهَارًا، عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قُلْتَ: **إِنَّ اسْمِي يَكُونُ فِيهِ**[2].

ومنها: وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ الَّذِي تَضَرَّعْتَ بِهِ أَمَامِي. قَدَّسْتُ هذَا **الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لأَجْلِ وَضْعِ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ**[3].

فكان المراد من سُكنى الرب في البيت سُكنى اسمُه فيه، أي أن يكون اسمه

---

(١) المزامير٣٣: ١٣-١٤.

(٢) الملوك الأول٨: ٢٧و٢٩.

(٣) الملوك الأول٩: ٣.

موضوعاً فيه، لأنّ الله تعالى منزّه عن الحلول في الأماكن، ويكونُ المراد من سُكنى الرب: سُكنى إسم الرب، فعندما يقول داوود عليه السلام: قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى[١]، يبيّن العهد القديم ذلك بقوله: وَكَانَ فِي قَلْبِ دَاوُدَ أَبِي أَنْ يَبْنِيَ **بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ**[٢]. فالمرادُ من بيت الرب بيتَ اسم الرب.

ومثلها لا بدّ من تأويل كلّ ما دلّ على تجسم الله تعالى أو تحيُّزه، كالقول بركوبِه وطيرانه كما في المزامير: رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ[٣].

ومن هذا الباب تنفتح أبوابٌ في غاية الأهمية، فلو نَسَبَ الكتابُ المقدَّس لله تعالى ما لا يليق بشأنه ولا ينافي كماله لزم حملُهُ على خلاف الظاهر، وقد يُراد منهُ جملة من المعاني، فتارة يُراد اسم الله كما في هذا النموذج، وتارة يُراد رضاه عزّ وجل أو غضبه أو دينه أو رسله وأنبياءه وأولياءه، وهكذا في كلّ مورد لزم من الأخذ بالظاهر مخالفة صفات الله تعالى وكماله.

النموذج الخامس: الرب نارٌ

ورد في العهد القديم: لأَنَّ **الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ**، إِلهٌ غَيُورٌ[٤].

وليست حقيقة الرب ناراً بلا شك ولا شبهة، إنما هو معنى مجازيّ فسّره

(١) الملوك الأول٨: ١٣.

(٢) الملوك الأول٨: ١٧.

(٣) المزامير١٨: ١٠.

(٤) التثنية٤: ٢٤.

القساوسة كالقس انطونيوس فكري بأنه: **شديد الغيرة على مجده وعلى شعبه وشديد الإنتقام من أعدائه ومقاوميه ويبيدهم، وناره تحرق الخطية من قلوب شعبه.**

وفسره القمص تادري يعقوب ملطي أيضاً بأنه يعني: **الله نارٌ آكلة، يُلهب القلب بنيران الحب التي لا تقدر كل مياه العالم أن تُطفئها، وفي نفس الوقت تُحرق كل شرٍ وفسادٍ.**

وينقل ملطي عن القدِّيس أغسطينوس تفسيره: **أنت أيها الرب نار آكلة تحرق اهتماماتهم التي بلا حياة وتجدِّدهم أبدياً.**

هو إحراق مجازيٌّ إذاً يراد منه الانتقام من أعدائه بالنار، أو توفيق المؤمنين لترك الأعمال السيئة، والتخلُّص من الخطايا والشرور، أو ما يُلهب قلوبهم بالحب.

وفي حين ورد في معظم النسخ أن الرب نارٌ آكلة، ورد في ترجمة سعديا بن جاؤون: **لأن عقاب الله ربك نارٌ آكلة**[1]، فكانت الترجمة مختلفة من أساسها، وفي ترجمة أبي الحسن إسحاق الصوري: **لأن الله إلهك كالنار المحرقة، هو القادر المعاقب**[2].

وهكذا ورد وصف الرب بأوصافٍ مختلفة لا يُراد منها الحقيقةُ جزماً كقولهم أن: **الرَّبَّ يَنْبُوعَ المِيَاهِ الحَيَّةِ**[3]. وهكذا في موارد عدّة.

---

(١) تفسير التوراة بالعربية لسعديا بن جاؤون ص٤٧٤.

(٢) التوراة السامرية ص٢٦٧.

(٣) أرمياء ١٧:١٣.

النموذج السادس: الرب صخرتي

في العهد القديم: وَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ بِكَلاَمِ هذَا النَّشِيدِ.. فَقَالَ: «**اَلرَّبُّ صَخْرَتِي** وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي، **إِلهُ صَخْرَتِي** بِهِ أَحْتَمِي.. لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ غَيْرُ إِلهِنَا؟»[1].

ولا ريب في أن الرب ليس صخرةً! إنما يراد من الصخرة هنا رمزُ القوة والحصانة ومن يُعتمد عليه، فهو صاحب القدرة، ومن خفي عليه هذا المعنى على وضوحه كانت الآيات نفسها مرشدة له: (**صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي**).

والنص نفسه تضمّن تعبيران حول الصخرة، فتارة يقول: (**اَلرَّبُّ صَخْرَتِي**) وتارة أخرى (**إِلهُ صَخْرَتِي**)، ولعلّه يراد من الأولى أنّه هو القوة التي أعتمِدُ عليها، ومن الثانية أنّه هو الإله الذي يعطيني قوتي.

النموذج السابع: نوم الرب وغفوته

في المزامير ما يتضمّن طلباً من الله أن يستيقظ! ففيه: اِسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ! لاَ تَرْفُضْ إِلَى الأَبَدِ[2].

يفسّرها القديس يوحنا ذهبي الفم بقوله: إنه لا يقول هذا لكي يجعلنا نظن أن الله ينام، فهذا سيكون منتهى الجنون. بكلمة (تتغافى) **يُظهر المزمور صبر الله واحتماله من نحونا**[3].

(١) صموئيل الثاني٢٢: ١-٣و٣٢.

(٢) المزامير٤٤: ٢٣.

(٣) مساوٍ للآب في الجوهر ص٤٠.

ويقول: الذي يقول إن الله ينام **يشير إلى صبر الله واحتماله**، والذي يقول إن الله لا ينام يوضح أن طبيعة الله طاهرة ونقية[١].

ويقول القديس يوحنا الدمشقي: ويراد **بنسيانه ونومه ونعاسه تأجيلُه الانتقام من الأعداء**[٢].

النموذج الثامن: التشبيه والاستعارة والكناية

في كلمات العهد القديم سوى ما تقدّم عشراتُ بل مئاتُ الموارد التي أُريدَ منها التشبيهُ والاستعارةُ والكنايةُ وأمثال ذلك..

منها على سبيل المثال: أَلَيْسَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ جِدًّا **يَتَحَوَّلُ لُبْنَانُ بُسْتَانًا**، وَالْبُسْتَانُ يُحْسَبُ وَعْرًا؟[٣].

قال ناشد حنا في تفسيره لها: لا يقصد بلبنان هنا جبل لبنان لكن **الوحي يأخذ لبنان كتشبيهٍ نجده كثيراً في النبوات** للارتفاع مثل أرز لبنان العالي، **أو تشبيهاً للازدهار**.

ومنها: وَمَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِتَرَنُّمٍ، وَفَرَحٌ أَبَدِيٌّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ. ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ. **وَيَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ**[٤].

ولا ريب أن الحزن والتنهُّد لا يهرب كما تهرب الكائنات الحيّة، لكنّ مثل

---

(١) مساوٍ للآب في الجوهر ص٤١.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٦.

(٣) أشعياء٢٩: ١٧.

(٤) أشعياء٣٥: ١٠.

هذه الاستعارات والتشابيه متعارفةٌ في كافة اللغات، فلا يلزم حمل كلّ حديث على حرفيته، فإذا ما مرّ معنا ما يشيرُ إلى تجسُّد الله تعالى مثلاً أو إلى كونه شخصاً أو أقنوماً **لم يكن هناك مانعٌ من حمله على الاستعارة والتشبيه بحسب القرائن المتقدّمة، بل كان ذلك لازماً.**

ومن نماذج ذلك أيضاً: **اِفْتَحْ أَبْوَابَكَ يَا لُبْنَانُ، فَتَأْكُلَ النَّارُ أَرْزَكَ.** وَلْوِلْ يَا سَرْوُ، لأَنَّ الأَرْزَ سَقَطَ[1].

وقال رشاد فكري في تفسيرها: إذا عرفنا أن **لغة هذه الأعداد لغة استعاريّة وتشبيهيّة اتضح لنا المعنى بسهولة..** فالمقصود هو الجانب القضائي أي وقوع الخراب والدمار. وعلى ذلك **يكون لبنان هنا كناية عن إسرائيل نفسه في مجده وقوته.**

ومثلها قوله: **لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَتَبْتَهِجِ الأَرْضُ**[2].

يقول القديس يوحنا الدمشقي: السماوات ليست حيّة.. وإذا كان الكتاب الإلهي يقول: (لتفرح السماوات وتبتهج الأرض) فذلك أنه يدعو إلى السرور الملائكة الذين في السماء، والبشرَ الذين على الأرض[3].

---

(١) زكريا١١: ١-٢.

(٢) أخبار الأيام الأول١٦: ٣١.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٩٨.

ب. نماذج من العهد الجديد

النموذج الأول: جهالة الله وضعفه

من رسائل بولس: **لأَنَّ جَهَالَةَ الله أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ الله أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!**[1].

وفسّرها شرّاح الإنجيل بخلاف الظاهر منها، فقال وليم ماكدونالد: في الواقع، لا جهالة في الله ولا ضعف. حاشا! إنما الرسول يقول في العدد ٢٥ أن **ما يبدو جهالةً عند الله في نظر الإنسان، هو في الواقع أحكَمُ من الناس** مهما كانوا حكماء. كذلك **ما يبدو ضعيفاً عند الله في نظر الإنسان**، يتبيَّن أنه أقوى من أي شيء يقدر الإنسان على تحقيقه.

وقال بنيامين بنكرتن: فقولهُ جهالةُ الله أحكَمُ من الناس يُظهر سموّ أفكار الله بالمُقابَلَة مع حكمة الإنسان. **وليس كأنّهُ يوجد شيء من الجهالة فيهِ تعالى حاشا وكلا.**

وقد اختلفت نسخ الانجيل في ترجمة هذه العبارة، ففي حين كانت أغلب النسخ شبيهةً بنسخة فان دايك المتقدمة، ورد في الترجمة اليسوعية: **لأن الحماقة من الله أكثر حكمة من الناس، والضعف من الله أوفر قوة من الناس.**

لكنّ بعض النسخ عدّلت اللفظ ليخلو ظاهرُه من هذا الإشكال، ففي ترجمة الاخبار السارة: **فما يبدو أنه حماقةٌ من الله هو أحكمُ من حكمة الناس، وما يبدو أنه ضعفٌ من الله هو أقوى من قوة الناس.** وقريب منها الترجمة السهلة

---

(١) كورنثوس الأولى١: ٢٥.

والترجمة المشتركة وترجمة الشريف. وبهذا صار نصُّ هذه الترجمات بنفسه خالٍ من الإشكال دون الحاجة لتأويل، فيما ظلّت أغلب النسخ الأخرى بحاجة لهذا التصرُّف في ظاهر اللفظ لنفي الجهل والحمق والضعف عن الله تعالى.

النموذج الثاني: أعضاء جسم المسيح

يقول بولس في بعض رسائله حول المسيح: **لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لحمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ**[1].

وقد خلت أغلب التراجم من أي تعابير عن اللحم والعظم، واكتفت بذكر أنّهم أعضاء جسم المسيح، وفسّرها متى بهنام: أنه **صارت لنا علاقةٌ مع المسيح** المُقام من الأموات.

فلم تُحمَل أعضاء جسم المسيح (ولحمه وعظامه) على المعنى الحقيقيّ إنما على المعنى المجازيّ الذي يدل على الارتباط بينهم وبينه كالارتباط بين أعضاء الجسد، وهو نظير ما ورد عندنا في الأحاديث الشريفة: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيثَارِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ **كَمِثْلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهَر**[2].

النموذج الثالث: عيسى يفرق

ينقل متّى عن عيسى عليه السلام قوله: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لالقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. **مَا جِئْتُ لالقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ،**

---

(١) أفسس ٥: ٣٠.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين ص٤٤٠.

وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا[١].

وحملُها على ظاهرها يعني أن عيسى عليه السلام جاء حاملاً سيفاً لا ليلقي سلاماً بل ليثير فتنة بين الناس وداخل الأُسَر المؤتلفة، لذا عَدَلَ مفسرو الكتاب المقدس عن ظاهرها، فقال وليم ماكدونالد مثلاً: ينبغي فهم كلمات الرب يسوع هنا على أنها **استعارة** تبدو فيها النتائج الظاهرة لمجيئه كما لو كانت القصد البادي لذلك المجيء. فهو يقول إنه لم يأتِ ليلقي سلاماً على الأرض بل سيفاً. **لقد أتى في الحقيقة ليصنع سلاماً**..

وقال بنيامين بنكرتن: **ولو تاب إسرائيل، لحصلوا على السلام**. ولكن إذ رفض فإنّه ينبّه تلاميذه أن لا ينتظروا سلاماً على الأرض. «بل سيفاً»، والسيف عبارة عن الانقسام والعداوة القاتلة.

فجعل الأولُ منهما ما ذكره عيسى عليه السلام من باب ذكر السبب (قدوم عيسى عليه السلام) وإرادة النتيجة (فقدان السلام ووقوع السيف) دون أن يحمّله عليه السلام مسؤولية ذلك، وتبعه الثاني فحمّلهم مسؤولية الانقسام ووقوع السيف بينهم وبرّأ عيسى عليه السلام من ذلك، وهو **خلاف الظاهر فعلاً، لكن الظاهرَ البدويّ لا يمكن أن يكون مقصوداً أبداً هنا.**

وقد خلت كل ترجمات الإنجيل من أي إشارة لهذا المعنى إلا ترجمة (المعنى الصحيح لإنجيل المسيح) حيث ورد فيها: لا تَظُنّوا أنّي جِئتُ لأُقيمَ السَّلامَ بَينَ المؤمنينَ وغَيرِ المؤمنينَ في الأرضِ على حِسابِ الحقّ. بل جِئتُ بِرِسالةِ الحَقِّ الّتي

---

(١) متى ١٠: ٣٤-٣٥.

هي كحَدِّ السَّيفِ لأفصِلَ بَينَهُم! **وهكذا ستُثيرُ دَعوتي الخِلافَ بَينَ الابنِ وأبيهِ،** والبِنتِ وأُمِّها، وزَوجةِ الابنِ وحَماتِها.

وهكذا كان لا بدّ من الخروج عمّا دلّ عليه النص في مختلف ترجمات الإنجيل والمصير إلى ما ذُكر في هذه الترجمة لئلا يلزم ما ينافي مقام عيسى عليه السلام فإنّه مُنَزَّهٌ عن بثّ الفرقة بين الأُسر المتماسكة.

النموذج الرابع: جسدٌ واحدٌ للزوجين

من كلمات المسيح بحسب الإنجيل: وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، **وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ.** فَالَّذِي جَمَعَهُ الله لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ[١].

وليس المراد هو كونهما جسداً واحداً **حقيقيةً فهذا يخالف الوجدان،** إنما يراد منه شدّة القرب بينهما حتى كأنهما جسدٌ واحدٌ، فشدّة القربّ والصلة بين طرفين أو شخصين تُسوّغ في جملةٍ من الحالات وصفهما بوصف واحد أو عَدَّهُما واحداً، وهذا ما ينبغي التنبُّه له كثيراً عند البحث في الكتاب المقدّس لفهم مقاصده ومعانيه.

النموذج الخامس: الحيّات أولاد الأفاعي

من كلمات المسيح في العهد الجديد مع أبناء قَتَلَة الأنبياء: **أَيُّهَا الحَيَّاتُ أَوْلاَدَ**

---

(١) متى١٩: ٥-٦.

الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟[١].

ومن كلماته لهم: **يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي!** كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟[٢].

ولا شك أن هؤلاء الناس ليسوا حياتٍ ولا أولاداً للأفاعي، إنما يراد بهذا التعبير اتّباعهم للشرّ وفسادهم وتشبيهاً بالحيّة التي هي الشيطان كما يقول مفسرو الإنجيل ومنهم هنري أ. أيرونسايد في تفسيره للآيات فليراجع.

ج. نماذج من القرآن الكريم

النموذج الأول: اصنع الفلك بأعيننا

قال الله تعالى في خطابه لنوح عليه السلام: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ **اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** وَوَحْيِنَا﴾[٣].

ولئن أراد جاهلٌ أن ينسب لله عيناً كأعين الناس، كانت نِسبَتُه مخالفةً لمنهج العقلاء وأهل اللغات والمحاورات في فهم الكلام، فإن العين هنا تعني الرعاية والحفظ وما شابه.

وقد قال أمير البلاغة عليه السلام في نهجه الشريف: نَافِحُوا بِالظُّبَى، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالخُطَا، **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ الله**، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله، فَعَاوِدُوا الكَرَّ،

---

(١) متى٢٣: ٣٣.

(٢) متى١٢: ٣٤.

(٣) المؤمنون٢٧.

وَاسْتَحْيُوا مِنَ الفَرِّ[١].

وفي تفسير القمي: بِأَعْيُنِنا: أي بحفظنا وحرزنا ونعمتنا[٢].

النموذج الثاني: مجيء الرب

قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٣].

ولا يمكن أن يكون مجيء الله تعالى كمجيئنا لاستحالة ذلك وتنزُّه الباري عزّ وجل عنه، كما عن الصادق عليه السلام: **وَلَيْسَ لَهُ جَيْئَةٌ كَجَيْئَةِ الخَلْق**[٤].

كما لم يكن ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى ربه كذهابه إلى بيته بجسده: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٥].

لذا كان المراد من مجيء الله تعالى في الآية وسائر الآيات مجيء أمر الله: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوصَفُ بِالمَجِيءِ وَالذَّهَابِ تَعَالَى عَنِ الانْتِقَالِ، **إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ** وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً[٦].

النموذج الثالث: نسيان الله

في القرآن الكريم عدة آيات حول نسيان الله للكافرين أو المنافقين، منها

(١) نهج البلاغة ص٩٧، والظبى: السيف.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٣٣٣.

(٣) الفجر٢٢.

(٤) التوحيد للصدوق ص٢٦٦.

(٥) الصافات٩٩.

(٦) عن الإمام الرضا عليه السلام كما في التوحيد للصدوق ص٢٦٦.

قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ **نَسُواْ الله فَنَسِيَهُمْ** إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا **إِنَّا نَسِينَاكُمْ** وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

والآية الثانية قرينةٌ قطعيةٌ لمن خفي عليه المعنى واشتبه عليه الأمر في نسيان الله تعالى للقوم، ففيها **يمتنع اجتماع نسيانهم مع نزول عذاب الخُلد عليهم**، بحيث تشير إلى أن النسيان هو تركهم في العذاب الأخروي كما تركوا طاعة الله في الدنيا، لذا لما سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن الآية أجاب: **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يَنْسَى وَلَا يَسْهُو وَإِنَّمَا يَنْسَى وَيَسْهُو الْمَخْلُوقُ الْمُحْدَثُ**، أَ لَا تَسْمَعُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ وَإِنَّمَا **يُجَازِي مَنْ نَسِيَهُ** وَنَسِيَ لِقَاءَ يَوْمِهِ بِأَنْ يُنْسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاليَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا﴾ أَيْ **نَتْرُكُهُمْ كَمَا تَرَكُوا الِاسْتِعْدَادَ لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا**[3].

النموذج الرابع: غضب الله

غَضَبُ الله على المشركين به وعلى المنافقين مما لا ريب فيه، وقد دلت على ذلك آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

---

(١) التوبة٦٧.

(٢) السجدة١٤.

(٣) التوحيد للصدوق ص١٦٠.

وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ **وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ** وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[١].

والغضب الإلهيّ بحسب الإنجيل أيضاً شامل لفجور الناس وآثامهم: لأَنَّ **غَضَبَ اللهِ** مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ[٢].

وقد عرّف بعض اللغويين الغضب بأنه: **ثوران دم القلب إرادة الانتقام**[٣]، وهو ما لا يمكن نسبته لله تعالى المنزه عن مجانسة المخلوقات، وعن التحوّل من حال إلى حال، فلا بدّ من تفسير الغضب الإلهي بالعقاب ونظائره لا بما عهدناه من غضب المخلوقين، كما فسّره الأئمة المعصومون عليهم السلام، فقد أجاب الباقر عليه السلام عندما سئل عن غضب الله تعالى فقال: **هُوَ العِقَابُ**، يَا عَمْرُو إِنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ زَالَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ وَصَفَهُ صِفَةَ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَسْتَفِزُّهُ شَيْءٌ فَيُغَيِّرَهُ[٤]، وهو ينسجم مع أصل الغضب في اللغة الذي هو: **أصلٌ صحيح يدلُّ على شدَّة وقُوّة**[٥].

فلا يعقل أن يكون الغضب الإلهيّ كالغضب البشري الذي يستلزمُ التغيُّرَ والتبدُّلَ من حال إلى حال، فإنّه تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك.

وقد أقرّ علماء النصارى بهذا المعنى، فقال القديس توما الأكويني: ان الله

(١) الفتح٦.

(٢) رومية١: ١٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٨.

(٤) الكافي ج١ ص١١٠.

(٥) معجم مقاييس اللغة ج٤ ص٤٢٨.

انما يوصف بالغضب ونحوه على سبيل التشبيه في الأثر، لأنّه لما كان من شأن الغضبان أن يقتصّ **أطلِقَ الغضب على القصاص مجازاً**[١].

النموذج الخامس: أسف الله

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا **آسَفُونَا** انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

ونِسبَةُ الأسف لله تعالى تتنافى وكماله عزّ وجل، لذا كانت هذه النصوص من **مصاديق إسناد الفعل إلى غير فاعله، مع قيام القرينة على ذلك**، وهو من **الأساليب المعتمدة في اللغة**، فمع قيام القرينة العقلية والنقلية على أن الله تعالى لا يأسف كأسف العباد، وورود نصٍّ ظاهره أسَفُ الله تعالى، يُحمل على أسف أوليائه الذين جعلهم الدعاةَ إليه والأدلاء عليه، وقد بيّن هذا المعنى الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: **إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسَفُونَ وَيَرْضَوْنَ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ**، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ، وَسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْهِ وَالأَدِلَّاءَ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ، وَلَيْسَ أَنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى الله كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِهِ.. **وَلَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى الله الأَسَفُ وَالضَّجَرُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَأَنْشَأَهُمَا لَجَازَ لِقَائِلٍ هَذَا أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الخَالِقَ يَبِيدُ يَوْماً مَا**، لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الغَضَبُ وَالضَّجَرُ دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ، وَإِذَا دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ الإِبَادَةُ، ثُمَّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُكَوِّنُ مِنَ الْمُكَوَّنِ وَلَا القَادِرُ مِنَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ،

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٩.

(٢) الزخرف٥٥.

وَلَا الخَالِقُ مِنَ المَخْلُوقِ، تَعَالَى الله عَنْ هَذَا القَوْلِ عُلُوّاً كَبِيراً[١].

وهذا بابٌ تنحلُّ منه شبهات كثيرة، فتأمّل، واحفظ أيُّها القارئ الفطن، فإنّه يرفع كثيراً من الشُبُهات.

ومنهُ يفتح بابُ الحلّ لما ورد في الكتاب المقدّس: اسْمَعُوا يَا بَيْتَ دَاوُدَ! هَلْ هُوَ قَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تُضْجِرُوا النَّاسَ **حَتَّى تُضْجِرُوا إِلَهِي أَيْضًا**؟[٢].

فإنّ الله تعالى لا يأسف ولا يضجر، ولذا عَدَلوا في ترجمة الشريف الى عبارة: فَهَلْ تَجْعَلُونَ صَبْرَ إِلَهِي أَيْضًا يَنْفَدُ؟

وفي الترجمة السهلة إلى لفظ: حَتَّى تَستَنفِذُوا صَبْرَ إلَهِيَ أيضاً؟

فيصير قريباً مما تقدم تحت عنوان (ندم الرب) بحيث فُسِّر بإنزال عقابه، ويكون انتهاء صبره هنا بمعنى نزول عقابه على هذا التفسير.

ثمرة الفصل: المحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز

يظهر مما تقدم **اشتراك الكتب الثلاثة**: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم **باستعمال الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز**، وتضمنها **لنصوصٍ محكمةٍ وأخرى متشابهة**، ما يعني عدم الأخذ بحرفية الكلام على نحو الإطلاق، إنما يُنظر في القرائن العقلية والنقلية قبل تفسير الآيات في هذه الكتب، **فكلُّ نصٍّ دل على تجسيم الله تعالى أو تحيُّزه في مكانٍ أو على جهله أو نسيانه** أو وصفه بما لا يصح

(١) الكافي ج١ ص١٤٤.

(٢) أشعياء٧: ١٣.

وصف الخالق الكامل به لا بد من حمله على خلاف ظاهره، وهكذا لو دليل دليلٌ على تشبُّهه بالمخلوقات وأمثال ذلك.

لذا اعترفت أعلى سلطة في الكنيسة بوجود المعاني المجازية في الكتاب المقدس، حيث ورد في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: في تقليد قديم أنه من الممكن **تمييزُ معنيين للكتاب المقدس: المعنى الحرفي، والمعنى الروحي، على أن يُقَسَّم هذا الأخير إلى معنى مجازي، ومعنى أدبي، ومعنى تفسيري**[1].

كذلك أقرّ كبارُ قديسي النصارى القدماء بذلك، منهم على سبيل المثال يوحنا الدمشقي حين قال: المعنى الحقيقي هو البيّنة المؤكدة لشيء ما، **أما المعنى المجازي فبيِّنة غير مؤكدة.. من عادة الأنبياء** أن يشخصوا الجوامد ناسبين إليها عيوناً وأفواهاً، مثلاً: البحر رأى فهرب. ليس للبحر عيون في الواقع لأنه من الجوامد.. وهكذا سمّى (النبي) الأفعال كلاماً بالمعنى المجازي، في حين أنها لم تكن أقوالاً بالضبط بل أفعالاً[2].

ويقول: إن كلّ ما يُقال في الله بطريقة جسميّة يتضمّن فكرة خفية ترشدنا مما فينا إلى ما يفوقنا[3].

وهذه نماذج يسيرة من مئات النماذج في هذه الكتب، قد اعتاد الأنبياء عليها كما يقول الدمشقي، وهي محل اتفاقٍ بين الجميع، ما يجعل القارئ يأنس بوجوه

(١) كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٣٦ الفقرة ١١٥.

(٢) الهرطقة المئة ص٧٢.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٦.

الاستدلال التي ستأتي إن شاء الله تعالى.

ولما كان المؤمن بهذه الكتب السماوية معتقداً بحكمة مُنزِلها، وبعصمتها عن الخطأ، كان لا بدّ أن يفسّر بعضُها بعضاً بما يرتفع معه التناقض المحتمل لو أمكن، لئلا يلزم الإخلال بحكمة الإله الحكيم.

كذلك أقرّ القساوسة المعاصرون بوجود قواعد عدّة لا بدّ من اتباعها في تفسير الكتاب المقدّس، ذكر بعضها الدكتور القس لبيب ميخائيل بقوله: **إن أول قوانين التفسير الصحيح للآيات العسرة الفهم هو أن نفسر هذه الآيات بالآيات الموضحة لها من الكتاب المقدس، أي أن نفسر الكتاب المقدس بالكتاب المقدس**[1].

ثم أقرّ بلزوم العمل وفق (القرينة) وما يدلُّ عليه السياق، وأقرّ **بلزوم تفسير الآيات العسرة الفهم على ضوء الآيات السهلة الفهم، وبوجود معانٍ مجازية في الآيات ينبغي تمييزها عن المعاني الحرفية**، ومع عدم إمكان القول بالتفسير الحرفي أو قيام قرينة على خلافه فلا بدّ من المصير إلى المعاني المجازية[2].

(١) هل المسيح هو الله!؟ ص٦٨.

(٢) هل المسيح هو الله!؟ ص٦٩.

فصل٢: التوحيد والكتب السماوية

اتّفقت الكتبُ السماويةُ على توحيد الله تعالى، ووصفِه بصفات الكمال، فهو الإلهُ الواحدُ الذي لا إله سواه، وهو الخالق لكل الخلائق، وهو الأزليّ الذي لا بدء له. وهذا أولُّ أصلٍ من أصول الاعتقاد في كافة الأديان السماوية.

ولا ريب أن **العقلَ هو المرشدُ الأول لهذا الاعتقاد**، وإن خفيَ عليه ذلك تأتي الكتبُ السماويةُ لتَنفُض عنه ما عَلِقَ به من غبار، وتزيل الستار عن الشعلة المكتومة الدالة على التوحيد.

وكلمات الكتب السماوية الدالة على ذلك كثيرة جداً، نعرض لجملة منها من الكتب الثلاثة:

١. التوحيد في العهد القديم (التوراة)

نصوص التوحيد في العهد القديم كثيرة جداً، وهي في غاية الصراحة، ونعرض طائفتين منها، الطائفة الأولى دلّت على وجود الله وتوحيده وألوهيته وخالقيّته، والطائفة الثانية دلّت على تنزيهه تعالى عن المشابهة لخلقه.

الطائفة الأولى: اللّٰه واحد

أنت اللّٰه وحدك

مما ورد في المزامير: كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا

رَبُّ، وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ. لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. **أَنْتَ الله وَحْدَكَ**[١].

أنا الله وليس آخر

اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ القَدِيمِ، **لأَنِّي أَنَا الله وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي**. مُخْبِرٌ مُنْذُ البَدْءِ بِالأَخِيرِ[٢].

الرب إلهك هو الله.. أنت الرب وحدك

فَاعْلَمْ أَنَّ **الرَّبَّ إِلَهَكَ هُوَ الله**، الإِلهُ الأَمِينُ[٣].

لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ هُوَ الله فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ[٤].

قُومُوا **بَارِكُوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ**، وَلْيَتَبَارَكِ اسْمُ جَلاَلِكَ الْمُتَعَالِي عَلَى كُلِّ بَرَكَةٍ وَتَسْبِيحٍ. **أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ** وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا، وَالبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ[٥].

اعْلَمُوا أَنَّ **الرَّبَّ هُوَ الله. هُوَ صَنَعَنَا**، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ[٦].

---

(١) المزامير٨٦: ٩-١٠.

(٢) أشعياء٤٦: ٩و١٠.

(٣) التثنية٧: ٩.

(٤) يشوع٢: ١١.

(٥) نحميا٩: ٥و٦.

(٦) المزامير١٠٠: ٣.

الرَّبُّ هُوَ الله وَقَدْ أَنَارَ لَنَا. أَوْثِقُوا الذَّبِيحَةَ بِرُبُطٍ إِلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ[(١)].

لا إله سواي

هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ..: **أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ سِوَايَ.** نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ **لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ.** مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. **أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ**[(٢)].

لا إله غيري

هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: «**أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي. وَمَنْ مِثْلِي؟** يُنَادِي، فَلْيُخْبِرْ بِهِ وَيَعْرِضْهُ لِي مُنْذُ وَضَعْتُ الشَّعْبَ الْقَدِيمَ. وَالْمُسْتَقْبِلاَتُ وَمَا سَيَأْتِي لِيُخْبِرُوهُمْ بِهَا. لاَ تَرْتَعِبُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا. أَمَا أَعْلَمْتُكَ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَأَخْبَرْتُكَ؟ فَأَنْتُمْ شُهُودِي. **هَلْ يُوجَدُ إِلهٌ غَيْرِي؟ وَلاَ صَخْرَةَ لاَ أَعْلَمُ بِهَا؟**»[(٣)].

فأثبتَ أنّه لا إله غيره، وأنّه الأول والآخر، وأنّه ليس مثله شيء، وأنه يعلم كل شيء.

---

(١) المزامير١١٨ : ٢٧.

(٢) أشعياء ٤٥ : ١و٥-٧.

(٣) أشعياء٤٤ : ٦-٨.

لا إله آخر غيري

أَخْبِرُوا. قَدِّمُوا. وَلْيَتَشَاوَرُوا مَعاً. مَنْ أَعْلَمَ بِهذِهِ مُنْذُ القَدِيمِ، أَخْبَرَ بِهَا مُنْذُ زَمَانٍ؟ **أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ.** التَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، **لأَنِّي أَنَا الله وَلَيْسَ آخَرَ**(١).

لا إله غيرك

من كلمات داوود عليه السلام: يَا رَبُّ، **لَيْسَ مِثْلُكَ وَلاَ إِلهَ غَيْرُكَ** حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا.. وَالآنَ **أَيُّهَا الرَّبُّ، أَنْتَ هُوَ الله**، وَقَدْ وَعَدْتَ عَبْدَكَ بِهذَا الخَيْرِ(٢).

أنت هو الإله وحدك

«يَا رَبَّ الجُنُودِ، إِلهَ إِسْرَائِيلَ الجَالِسَ فَوْقَ الكَرُوبِيمِ، **أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ** لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. **أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**(٣).

ليس إله معي

أُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ **وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي**(٤).

إله واحد خلقنا

ومن وحي الرب للكهنة على يد ملاخي: أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ **أَلَيْسَ إِلهٌ**

(١) أشعياء٤٥: ٢١.

(٢) أخبار الأيام الأول١٧: ٢٠و٢٦.

(٣) أشعياء٣٧: ١٦.

(٤) التثنية٣٢: ٣٩.

وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟ فَلِمَ نَغْدُرُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ لِتَدْنِيسِ عَهْدِ آبَائِنَا؟[١].

الرب هو الإله.. ليس سواه

إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ **الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ**.. فَاعْلَم اليَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ **الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ** مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. **لَيْسَ سِوَاهُ**[٢].

الرب إلهنا رب واحد

اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: **الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**[٣].

لا يكن لك آلهة أخرى

أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ العُبُودِيَّةِ. **لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي**[٤].

الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. **لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى** مِنْ آلِهَةِ الأُمَمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ[٥].

---

(١) ملاخي٢: ١٠.

(٢) التثنية٤: ٣٥ و٣٩.

(٣) التثنية٦: ٤.

(٤) التثنية٥: ٦و٧.

(٥) التثنية٦: ١٣و١٤.

إله الآلهة ورب الأرباب

لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ **إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ**، الإِلهُ العَظِيمُ الجَبَّارُ المَهِيبُ الَّذِي لاَ يَأْخُذُ بِالوُجُوهِ وَلاَ يَقْبَلُ رَشْوَةً[(١)].

احْمَدُوا إِلهَ الآلِهَةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. **احْمَدُوا رَبَّ الأَرْبَابِ**، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ[(٢)].

دلّت هذه النصوص وسواها على التوحيد إذاً، **الإله إلهٌ واحدٌ**، هو الذي صنع السماوات والأرض، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يصنع العجائب، وهو العالِمُ بكل شيء.

الطائفة الثانية: نفي التشبيه

وهناك نصوص أخرى سوى ما تقدم تنفي أن يكون لله مِثلٌ في السماء والأرض، وتذمّ من يشبهه ويمثّله بغيره، وهي نصوص في غاية الصراحة منها:

لا إله مِثلُك

من كلام سليمان في العهد القديم: وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، **لاَ إِلهَ مِثْلُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**، حَافِظُ العَهْدِ وَالرَّحْمَةِ لِعَبِيدِكَ السَّائِرِينَ أَمَامَكَ بِكُلِّ قُلُوبِهِمْ[(٣)].

---

(١) التثنية ١٠: ١٧.

(٢) المزامير١٣٦: ٢و٣.

(٣) أخبار الأيام الثاني ٦: ١٤.

أنا الله.. وليس مِثلِي

أُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ القَدِيمِ، **لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي.** مُخْبِرٌ مُنْذُ البَدْءِ بِالأَخِيرِ[١].

لا مثل لك يا رب

لاَ مِثْلَ لَكَ يَا رَبُّ! عَظِيمٌ أَنْتَ، وَعَظِيمٌ اسْمُكَ فِي الجَبَرُوتِ[٢].

من يشبه الرب بين أبنائه

لأَنَّهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ. **مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللهِ؟**[٣].

بِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي وَتُسَوُّونَنِي وَتُمَثِّلُونَنِي لِنَتَشَابَهَ؟[٤].

فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟ .. «**فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟**» يَقُولُ القُدُّوسُ[٥].

ويقرّ مفسرو التوراة بهذا المعنى لصراحته، فيقول ناشد حنا في شرحه مثلاً: **هل لهذا الإله القدير العظيم من شبيه؟ هل يمكن أن يقارن بآلهة الأمم؟ حاشا.**

فليس هناك بحسب التوراة من مجالٍ لتشبيه الخالق بسواه، ولا تمثيله بهم.

---

(١) أشعياء٤٦: ٩و١٠.

(٢) أرمياء١٠: ٦.

(٣) المزامير٨٩: ٦.

(٤) أشعياء٤٦: ٥.

(٥) أشعياء٤٠: ١٨ و٢٥.

٢. التوحيد في العهد الجديد (الإنجيل)

تبعَ الإنجيلُ التوراة، فدلّ صراحة وبشكل لا يقبل اللبس على أنّ هناك إلهاً واحداً لا إله سواه، وذلك في نصوصٍ مختلفة الصيغ والعبائر، منها ما دل على التوحيد، ومنها ما دل على التنزيه ونفي التشبيه.

الطائفة الأولى: الله واحد

الله واحد

صرّح إنجيل مرقس بتوحيد الله تعالى: فَقَالَ لَهُ الكَاتِبُ:«جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالحَقِّ قُلْتَ، **لأَنَّهُ الله وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ**»[١].

وفي ترجمة الكليّة الأكليريكية: قد أصبت إذ قلتَ **إنّ الله واحدٌ**، وليس آخر سواه.

وفي رسائل بولس: **أَمِ الله لِلْيَهُودِ فَقَطْ**؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا. **لأَنَّ الله وَاحِدٌ**، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ[٢].

وفي رسائله أيضاً: وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، **وَلكِنَّ الله وَاحِدٌ**، الَّذِي يَعْمَلُ الكُلَّ فِي الكُلِّ[٣].

---

(١) مرقس١٢: ٣٢.

(٢) رومية٣: ٢٩و٣٠.

(٣) كورنثوس الأولى١٢: ٦.

وفي رسالة أخرى: وَأَمَّا الوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. **وَلكِنَّ الله وَاحِدٌ**[١].

وفي رسائل يعقوب: **أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ الله وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ**. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ![٢].

وفي إنجيل يوحنا: كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، **وَالمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ**؟[٣].

وفي الترجمة المشتركة: والمَجدُ الّذي هوَ **مِنَ الله الواحدِ** لا تَطلُبونَهُ؟

وفي الإنجيل نسخة روما ١٩٥١م: ولا تطلبون **المجد من الله الواحد**.

لا إله إلا الله

في رسائل بولس: فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي العَالَمِ، **وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِدًا**[٤].

أما في ترجمة (الحياة) فكان النص: **وأنه لا وجود إلا لإله واحد**.

وفي ترجمة (الأخبار السارة) و(اليسوعية) (وترجمة بين السطور يوناني عربي) كان النص: **وأن لا إله إلا الله الأحد**..

وفي الترجمة السهلة: **وَأَنَّهُ لا إِلَهَ آخَرَ إلّا الله وَحدَهُ**.

(١) غلاطية٣: ٢٠.

(٢) يعقوب٢: ١٩.

(٣) يوحنا٥: ٤٤.

(٤) كورنثوس الأولى٨: ٤و٥.

الرب إلهنا رب واحد

وفي إنجيل مرقس: فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. **الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ**، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الوَصِيَّةُ الأُولَى(١).

الإله الحقيقي وحده

وفي إنجيل يوحنا يخاطب عيسى عليه السلام الله تعالى بقوله: وَهذِهِ هِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ **أَنْتَ الإِلهَ الحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ** وَيَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ(٢).

وقد وافَقَت الأناجيل التي لم تعترف بها الكنيسة على هذه العقيدة، ففي إنجيل برنابا مثلاً: فتكلم الله قائلا: **أنا الله أحدٌ. ولا إله غيري. أضرِبُ وأشفى. أُميتُ وأحيي**(٣).

الطائفة الثانية: نفي التشبيه

تذكر أعمالُ الرسل أن بولس وبرنابا أخذا يبشران اليهود بتعاليم المسيح، وفي إحدى رحلاتهم التبشيرية ظهرت معاجز على يد بولس بحيث شفى مُقعَداً لم يمش قطّ، فحصلت شُبهة عند الجموع الحاضرة وظنوا أن الآلهة تشبّهت بالناس، وأن بولس وبرنابا إلهين، إلا أن هذان الرسولان استنكرا عليهم ذلك

---

(١) مرقس١٢: ٢٩و٣٠.

(٢) يوحنا١٧: ٣.

(٣) الفصل التاسع والعشرون: ٣٢-٣٥.

وأمراهم بالرجوع إلى الإله الحي، وفي ذلك تعنيفٌ لهم لاعتقادهم بتشبُّه الإله بالناس ولاعتقادهم بتعدد الآلهة:

فَالجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ[1] قَائِلِينَ: «**إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا**»..

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولاَنِ، بَرْنَابَا وَبُولُسُ، مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا، وَانْدَفَعَا إِلَى الجَمْعِ صَارِخَيْنِ وَقَائِلِينَ: «**أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هذَا؟ نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلهِ الحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالبَحْرَ** وَكُلَّ مَا فِيهَا، الَّذِي فِي الأَجْيَالِ المَاضِيَةِ تَرَكَ جَمِيعَ الأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ[2].

الإله الواحد الأزليّ الخالق لكل شيء إذاً مُنَزَّهٌ عن التشبُّه بمخلوقاته بحسب الإنجيل كما كان الأمر بحسب التوراة.

وورد ما يشبه ذلك في بعض الكتب التي لم تقبلها الكنيسة وأسمتها الكتب المنحولة، كأعمال الرسول شمعون الصفا، ففيه خاطب شمعون (أي بطرس) المسيح بقوله: يا أيشع المسيح، تجلى بنفسك إلى عبدك شمعون الصفا الذي توجه بالدعاء إليك.. ولمس شمعون الصفا جنب الرجل وقال: انهض، وقام الرجل.. ونزل من النعش.. **ومنذ تلك الساعة فصاعداً عبدوه مثل رب**، والمرضى الذين

(١) اسم لغةٍ ومنطقةٍ، ترجع إلى اسم شخص كان يدعى ليكاؤن *Lycaon* يقال أنّه أكرَمَ زوجين، تقول الأساطير أن الآلهة تشبّهت بهما!

(٢) أعمال الرسل١٤: ١١و١٥و١٦.

كانوا لديهم في البيوت، أحضروهم إلى عند قدميه لكي ينالوا الشفاء من قبله[١].

فإنّ الإنجيل كما تقدّم يردّ ما زعمه الناس من دعوى تشبُّه الآلهة بالناس أو كون الناس آلهةً، سواءٌ في ذلك بطرس أو بولس أو برنابا أو سواهم بما يشمل المسيح جزماً.

كذلك ورد في إنجيل توما الإسرائيلي غير المعترف به، حيث رأى الشيخُ المعلِّمُ للمسيح في صغره منه أشياء أثارت عجبه، ففيه: عندما سمع زكا الطفلَ يعرض أشياء بهذه الكثرة لبث خَجِلاً بعلمه.. وقال: .. يا أخي يوسف انني لا استطيع الصمود أمام قوة براهينه.. **ان هذا الطفل لم يولد على الأرض**، ويمكنه التسلط على النار، **رُبما وُلد قبل خلق العالم.. أنا الشيخ هُزمت على يد طفل**، وستكون نفسي في قنوط وسأموت بسببه.. **انه ذو شأن عظيم، إنه إله أو ملاك، لا أدري**[٢].

ويلاحَظُ أن ظهور القدرات العلميّة العالية عند عيسى عليه السلام في طفولته كانت سبباً لأن يتردد هذا المعلم في نسبته بين كونه إلهاً أو ملاكاً، ما يعني أنه كان منقدحاً في ذهن الناس أو كاتب هذا الإنجيل أن **صاحب القدرات العالية إما أن يكون إلهاً أو ملاكاً مرسلاً من إله.**

ولما كانت عقيدته في تمييز الإله عن غيره ضعيفة بقي على تردده، وإلا كان يلزم منه الجزم بأن عيسى مرسَلٌ من الإله **لأن الإله لا يتجسد.**

(١) الأناجيل النصوص الكاملة ص٧١٠.

(٢) الأناجيل المنحولة ص٢٥.

وقد تكرّر الأمر لما شفى عليه السلام في طفولته أكثر من طفل: حين رأى الشعب الذي كان هناك هذه الآية، قال: **هذا الطفل هو حقاً إله، أو ملاك الله، فكلّ ما يأمر به يُنفَّذ على الفور**[١].

وقد كان جواب عيسى واضحاً حيث ينص هذا الإنجيل على قوله: **هذا هو الأمر الذي أعطاني إياه من أرسلني لأجلكم**[٢]. فهو مُرسَلٌ لا مرسِلٌ ولا إله.

وهو موافقٌ للأناجيل المعتبرة عند الكنيسة، فهي تنصُّ على كون عيسى مرسَلاً من الله في موارد عديدة، منها قوله عليه السلام: وَمَنْ يَقْبَلُني يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٣].

ويلاحَظُ أن للاعتقاد الفرديّ تأثيرٌ كبيرٌ في العقيدة وتحديد الموقف الحق من أيّ واقعة، ففي إنجيل الطفولة العربي المنقول من السريانية للعربية شفاءٌ لحالتين، اختلف الناس في الموقف منهما، ففي حين قالت المرأة في الحالة الأولى أن الذي شفاها هو يسوع وجعلته الله، قالت الثانية أن يسوع من جنس البشر وإنما شُفيَ أبناءُ جنسه بالماء الذي رُشَّ به جسده، أما المرأة التي شُفيت فكان نصُّ كلامها: أنا ايضا أصبت بالبرص، **لكنني شفيت بفضلٍ من الله الذي هو يسوع ابن مريم.**

أما الأم التي شفي ابنها فلم تقل أنه إله إنما قالت: **طوبى للأم التي ولدتك**

---

(١) الأناجيل المنحولة ص٢٦.

(٢) الأناجيل المنحولة ص٢٥.

(٣) متى١٠: ٤٠، وقريب منه ما في مرقس٩: ٣٧، وقد ذكر كونه مرسلاً في مواطن كثيرة منها يوحنا٥: ٢٤ و٣٠ و٣٧ و٣٨ و٣٩ وغيرها الكثير.

يا يسوع، إن الماء الذي رُشّ به جسدك يشفي البشر الذين هم من أبناء جنسك[١].

٣. التوحيد في القرآن الكريم

نصوص التوحيد في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى، ونعرضها في طائفتين كما تقدم في الكتب السابقة، توحيده ثم تنزيهه عن كل شبيهٍ ومثل.

الطائفة الأولى: توحيد الله

إله واحد

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الالبَابِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الله لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٥].

---

(١) الأناجيل المنحولة ص٥٩.

(٢) الأنبياء١٠٨.

(٣) النحل٢٢.

(٤) إبراهيم٥٢.

(٥) النحل٥١.

لا إله إلا هو

قال تعالى: ﴿الله لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلْمِ قَآئِمَاً بِالقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦].

والقرآن الكريم مليء بالنصوص التي تثبت التوحيد وتذم الشرك والمشركين، وتصف الله تعالى بكل صفات الكمال والقدرة.

---

(١) آل عمران٢.

(٢) آل عمران١٨.

(٣) الأنعام١٠٢.

(٤) طه٨.

(٥) طه٩٨.

(٦) القصص٨٨.

الطائفة الثانية: نفي التشبيه

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(١).

وقد عدّ الإمام الباقر عليه السلام نفيَ تشبيه الله بأيّ شيءٍ مما لا يُجتزأ في المعرفة دونه: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الَّذِي لَا يُجْتَزَأُ بِدُونِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الخَالِقِ؟ فَقَالَ: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، لَمْ يَزَلْ عَالِماً سَمِيعاً بَصِيراً**(٢).

وعنه عليه السلام: يَا جَابِرُ **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ**، تَعَالَى عَنْ صِفَةِ الوَاصِفِينَ، وَجَلَّ عَنْ أَوْهَامِ المُتَوَهِّمِينَ، وَاحْتَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، لَا يَزُولُ مَعَ الزَّائِلِينَ وَلَا يَأْفِلُ مَعَ الآفِلِينَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾(٣).

وهو تعالى منزّه عن أن تدركه الأبصار: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(٤).

ثمرة هذا الفصل: ثبوت التوحيد

تبيّن من هذا الفصل دلالة النصوص التي تعرّضنا لبعضها من التوراة والإنجيل والقرآن على **عقيدة التوحيد بشكل لا لبس فيه**، وأن الله سبحانه وتعالى هو **الإله الواحد الذي لا إله سواه**، وأنه هو الخالق والمحيي والمميت، وأنّه منزّه

---

(١) الشورى١١.

(٢) الكافي ج١ ص٨٦.

(٣) التوحيد للصدوق ص١٧٩.

(٤) الأنعام١٠٣.

عن كل مشابهةٍ لخلقه، فليس كمثله شيء، وأنه السميع البصير العالم بكل شيء.

وهذه عقيدةٌ يدل عليها قبل هذه الكتب العقلُ **إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا**، فالاعتقادُ بالتوحيد وبنفي التشبيه عن الخالق عزّ وجل يرجع في حقيقته إلى مُدرَكات العقل الذي يجزم بهذه العقيدة، تُعينُه عليها هذه النصوص الصريحة وتُرشِدُه إليها إن خَفيت عليه، فتكونُ عقيدة التوحيد ونفي الآلهة الأخرى وحصر الألوهية والربوبية بالله تعالى من **العقائد القطعية التي لا يمكن المصير إلى سواها**، وكل ما قد نظنّه مخالفاً لها من أدلة ينبغي توجيهه بما يتناسب معها.

كذلك لا بدّ من الاعتقاد بنبوة عيسى عليه السلام وبأنه نبيٌّ من الأنبياء، ففي التوراة: يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ[1]، وفي الإنجيل: فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: **إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ**. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ[2].

فكلّ ما تعارض مع نبوة عيسى عليه السلام كذلك كان مخالفاً للقطعي الثابت، ولَزِمَ توجيهه بما يتوافق مع نبوّته عليه السلام.

---

(١) التثنية١٥:١٨.

(٢) أعمال الرسل٣: ٢٢.

فصل٣: الثالوث والكتب السماوية

تتبرأ اليهودية والإسلام من كل قول بالتثليث، وتلتزم النصرانية بتثليث الله تعالى (أي بأنه أقانيم ثلاثة)، مع القول بتوحيده عز وجلّ في الوقت نفسه!

لكنّ جملةً من علماء النصارى يستدلون على التثليث فضلاً عما ورد في الإنجيل، ببعض نصوص العهد القديم، وببعض الآيات القرآنية كذلك! والاستدلال بالقرآن على التثليث أمرٌ في غاية الغرابة كما سيتّضح.

لقد أقرّت الكنائس المسيحية ما يسمى بدستور الإيمان المسيحي، الذي أصدره مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥ للميلاد بآبائه الـ ٣١٨، وعلى رأسهم القديس أثناسيوس، وأكمله مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م بآبائه الـ ١٥٠، وسُميّ **قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني**، ومن أهمّ بنوده:

> **نؤمنُ بإلهٍ واحد، الأب** ضابط الكل وخالق السماء والأرض وكل ما يُرَى وما لا يرى، **وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إلهٌ من إله،** نورٌ من نورٍ، إلهُ حقٍّ من إله حقّ، **مولودٌ غير مخلوق، مساويً الأب في الجوهر،** الذي على يده صار كل شيء..
>
> **ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب،** ومع الأب والإبن، يُسجَد له ويُمجد[1]..(انتهى).

---

(١) الاختلافات في صيغة هذا الإيمان محدودة جداً لا تؤثر على مضمونه، راجع على سبيل المثال: إيماننا المسيحي للراهب باسيليوس المقاري ج١ ص١٩.

إن التثليث يعني الإيمان بإله واحد، مع الاعتقاد بما يسمى (الأقانيم الثلاثة): الآب والابن والروح القدس، **فكلٌّ من الآب والابن والروح القدس أزليٌّ قديمٌ، وكلٌّ منهم هو الله، وإن لم يكن الآب هو الابن ولا هو الروح القدس!**

وأساس هذا الثالوث قائم على ولادة عيسى المسيح من الله**!** مع كون بنوّة عيسى لله بنوّة أزلية لا بداية لها، فلم يكن الآب الخالق يوماً دون المسيح، فالمسيح مولودٌ من الآب قبل كل الدهور أي منذ الأزل.

والولادة هنا ولادةٌ غير مادية، ولادةٌ روحيةٌ منذ الأزل، ولا تعني عندهم أنّه مخلوق، فالمخلوق يُخلَقُ ويصبح موجوداً بعد أن لم يكن موجوداً، أما المسيح عندهم فهو موجود منذ الأزل.

وجوهر المسيح (الابن) مساوٍ لجوهر الآب.

ثم يضاف إلى الآب والابن (اللذان عبّر عنهما قانون الإيمان بأنهما الإله والرب) الروح القدس (وعبّر عنه قانون الإيمان بأنه الرب المحيي)، وهذا الرب المحيي قد (انبثق من الاب).

ولا تزال الكنائس تعترف بهذا القانون إلى يومنا هذا، ففي كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره بابا الفاتيكان، البابا يوحنا بولس الثاني (المتوفى سنة ٢٠٠٥م) بحكم سلطته الرسولية:

الثالوث واحدٌ. إننا لا نعترف بثلاثة آلهة! بل بإلهٍ واحدٍ بثلاثة أقانيم:.. **فالأقانيم الإلهية لا يتقاسمون الألوهة الواحدة ولكن كلَّ واحدٍ منهم هو الله كاملاً**: الآب هو ذات ما هو الابن، والابن هو ذات ما هو الآب، والآب والابن

هما ذات ما هو الروح القدس، أي إله واحدٌ بالطبيعة. **كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة هو هذه الحقيقة أي الجوهر**، والإنيّة أو الطبيعة الإلهية[١].

الأقانيم الإلهية متميزون تميُّزاً حقيقياً في ما بينهم: الله واحد ولكنه غير متوحِّد.. إنهم متميّزون تميُّزاً حقيقياً في ما بينهم: **الذي هو الابن ليس الآب، والذي هو الآب ليس الابن، ولا الروح القدس هو الآب أو الابن**[٢].

ونكتفي في هذا الفصل بهذا البيان المختصر عن اعتقادهم في التوحيد والتثليث، ثم ننتقل لمناقشة أدلته في الكتب السماوية الثلاثة، وأما موقف العقل منه ومناقشة إمكانه من عدمها فقد تعرّضنا له في كتاب (الثالوث صليب العقل).

ونقف هنا على محورين من قانون الإيمان المسيحي هذا:

المحور الأول: الدلالة على الثالوث في الكتاب المقدس. وهو ما نناقشه في الأبواب التالية من هذا الفصل.

المحور الثاني: الدلالة على ألوهيّة عيسى في الكتاب المقدس. وهو ما نناقشه في الفصل القادم.

١. الثالوث في التوراة

استدلَّ كثيرٌ من علماء النصارى على التثليث بأدلّة من التوراة عدّوها واضحة تارة، وعلى نحو الإشارة أخرى، وأهمها:

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٦ فقرة ٢٥٣.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٦ فقرة ٢٥٤.

١. نُبَلبِل لسانهم-نعمل الإنسان: صيغة الجمع

استُدلَّ على التثليث بعبارة وردت في سفر التكوين تتحدث عن تعدُّد لغات الناس على وجه الأرض، بعد أن كان الجميع يتكلم لغةً واحدة، فبلبل الله ألسنتهم حتى تعددت لغاتهم:

وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً.. وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ»..

فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ المَدِينَةَ وَالبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. **وَقَالَ الرَّبُّ**: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالعَمَلِ.

وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. **هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ**[1] **هُنَاكَ لِسَانَهُمْ** حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ المَدِينَةِ[2].

ومثلها نصوص أخرى استُعمل فيها الجمع في خطاب الله تعالى في عدّة نصوص كتابية، منها: **وَقَالَ** الله: «**نَعْمَلُ** الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا[3].

واستدل كثيرٌ من علماء النصارى على أنه لما لم يقل (أُنزِلُ – أُبَلبلُ – أَعمَلُ

(١) يُبَلبِل: يُربِك أو يُحَيِّر أو يُشَوِّش (هامش الترجمة السبعينية إعداد الراهب إبيفانيوس المقاري).

(٢) التكوين ١١: ١و٤-٨.

(٣) التكوين ١: ٢٦.

أصنع) إنما قال (نُنزل – نُبلبل – نعمل – نصنع) دلّ ذلك على الأقانيم الثلاثة[١].

يقول أبو رائطة التكريتي[٢]: **فأمرتُ وأوحيتُ وخلقتُ دليلٌ على أنّه جوهرٌ واحد، وأمَرنا وأوحينا وخلقنا دليل على أقانيم ثلاثة**[٣].

وفي هامش ترجمة الآباء الدومنكان: **قال هذا القول الثالوث الإلهي بعضهم لبعض، فترى أن موسى أشار هنا إلى كون الله عزّ وجل أكثر من أقنوم واحد.**

المناقشة فيه

ويمكن الإجابة على هذا الاستدلال بوجوه:

الوجه الأول: للتعظيم والاحترام

قد يستغربُ قارئ الكتاب المقدّس من غير النصارى من استدلالهم هذا، فإنّهم ذهبوا بعيداً في تفسير استعمال الجمع للمفرد، مع اشتهار إطلاق الجمع على الواحد للتعظيم في مختلف لغات العالم.

قال الشيخ الطوسي: **قد يعبّر عن الواحد بلفظ الجمع إذا كان عظيم الشأن عاليَ الذكر**، قال الله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر**﴾ وهو واحد[٤].

---

(١) يراجع على سبيل المثال كتاب (أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩١)، حيث عدّ وجه الشاهد فيها أنه لم يقل: أصنع بصورتي وشبهي.

(٢) هو أحد علماء الكلام المسيحيين العرب في القرن التاسع الميلادي، قيل أنّه كان يدافع عن اعتقاد الكنيسة اليعقوبية في مطابقتها بين الجوهر والأقانيم.

(٣) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩٤.

(٤) الرسائل العشر ص١٣٢.

وقال أبو الصلاح الحلبي: **العبارة عن الواحد بلفظ الجمع على جهة التعظيم ظاهرٌ في العربية**[١] .

وقال الشيخ الطبرسي: قد **اشتهر في اللغة العبارة عن الواحد بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فلا يحتاج إلى الاستدلال عليه**[٢].

قال ابن فارس: **من سُنَن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع**، فيقال للرجل العظيم (أنظروا في أمري)، وكان بعض أصحابنا يقول: **إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: (نحن فعلنا)**، فعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب[٣].

قال القلقشندي: إن كان المكتوب عنه ملكاً، فقد جرت العادة أن **يعبّر عنه بنون الجمع للتعظيم، فيقال: فعلنا كذا، وأمرنا بكذا**[٤].

وليس هذا من مختصات اللغة العربية بحال، وفي الآيات التوراتيّة نفسها شاهدٌ على إرادة هذا المعنى، كما في الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين، وهو بنفسه محلّ الشاهد، ومن ألفاظه المتقدمة: **وَقَالَ الرَّبُّ: .. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ.. فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ.**

فالقائل واحدٌ (وقال الرب)، والفاعلُ واحدٌ وهو الرب نفسه (فبدّدهم الرب)، ولا بدّ أن ينسجم المقولُ مع ما قبله وبعده، فيكون (**نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ**) على

(١) تقريب المعارف ص١٨٨.
(٢) تفسير جوامع الجامع ج١ ص٥١١.
(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص١٨٢، باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع.
(٤) صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ص٢٨٩.

وِزان ما تقدّم من إرادة التعظيم.

ومثله الإصحاح الأول من سفر التكوين: **وَقَالَ** الله: «**نَعْمَلُ** الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.. فإن الآية اللاحقة تنسب الفعل للقائل نفسه وهو الله: **فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ**. عَلَى صُورَةِ الله خَلَقَهُ[1].

فصارت: (صورتنا) هي نفسها (صورته) و(صورة الله)، فثبت أن النون للتعظيم.

ومن شواهد ذلك ما ورد في هامش الترجمة اليسوعية الجديدة: **ولعل هذا الجمع عبارة عن جلال الله..**

لكن **ههنا إشكالٌ أثاره بعض النصارى** وهو أن الكتاب المقدّس يخلو من أي استعمال لصيغة الجمع مع المفرد تعظيماً، لخلوّ اللغات التي كُتب بها عن ذلك.

قال الأسقف بولس البوشي: **نون العظمة.. ليس في لفظ العبراني بالجملة، ولا في لغة السرياني، ولا في كتابة اليوناني، ولا في قراءة الرومي**[2].

وقال القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: لا تثبت الفكرة القائلة بأن الله يتكلم في هذه الآيات بصيغة جمع التعظيم، لأن **هذه الصيغة بشهادة كتب العهد القديم لم تكن معروفةً عند الأقدمين**[3].

والجواب على هذا الإشكال من جهات:

---

(١) التكوين١: ٢٧.

(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٧٨.

(٣) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١١٢.

الجهة الأولى:

أن في بعض نسخ التوراة اختلافٌ في الترجمة.

أما الآيات الأولى: نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ.. فإنها قد وردت في أغلب النسخ بصيغة الجمع، إلا أنها وردت في بعض النسخ بصيغة المفرد، ففي ترجمة سعديا الفيومي: **قال الله هو ذا هم شعبٌ واحدٌ** ولغة واحدة لجميعهم.. **تعال أورد أمراً موغلاً** أشتّتُ به لغتَهم.. **فبددهم الله** من ثم على وجه جميع الأرض.

ويلاحظ أنها لا تتضمن صيغة الجمع، وعليه فإن النسخة الأصلية إما أن تكون خالية من صيغة الجمع، وبالتالي فلا دلالة فيها على ما يريدون، أو أنها تتضمن صيغة الجمع ولكن المترجم رأى أنها للتعظيم فترجمها بما يدل على الله تعالى دون إيراد شبهةٍ على القراء.

وأما الآيات الثانية: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا..

فإن النسخ المختلفة وإن اتفقت على إيرادها بصيغة الجمع، إلا أنها اختلفت في المراد من هذا الجمع.

فبعد اتفاق النصارى معنا على أن الله تعالى ليس بجسم (كما تقدم في الفصل الثاني) وأنه لا بد أن يراد من كون الإنسان على صورته معنى مجازياً، لم يعد هناك ما يمنع من ترجيح ما ورد في نسخة التوراة السامرية، ترجمة أبو الحسن إسحاق الصوري، حيث ورد أن (صورتنا) هي صورة الملائكة، ففيها: **وقال الله نصنع إنساناً بشبهنا وصورتنا..** وخلق الله الإنسان بقدرته، **بصورة الملائكة خلقه.**

وعليه تخلو هذه الآيات من أي دلالة على الثالوث، لأن المراد من الجمع

هو الملائكة.

الجهة الثانية:

على فرض عدم تماميّة ما تقدّم، فإنّه قد ثبت أن العهد القديم لم يخالف المعهود والمعروف في مختلف اللغات من استعمال الجمع للمفرد والمفرد للجمع.

أما استعمالُ الجمع تعظيماً وإرادة المفرد، فما نحن فيه خيرُ نموذج، وإذا حصل عندنا الشك في خروج الكتاب المقدس عن مثل هذه الاستعمالات رجعنا إلى نصوصه فوجدناه قد استعمل لفظ المفرد وأراد الجمع في موارد عديدة، فدلّ ذلك على عدم خروجه عن الاستعمالات العرفية واللغوية المتداولة.

ومن نماذج ذلك ما ورد في سفر العدد حيث أراد من (إسرائيل) (بنو إسرائيل) و(الجماعة كلها)، فهو لفظٌ مفردٌ لشخصٍ واحدٍ لكنّه أريد به القوم جميعاً: وَأَبَى أَدُومُ أَنْ **يَسْمَحَ لإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ. فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا**، مِنْ قَادَشَ وَأَتَوْا إِلَى جَبَلِ هُورٍ[1].

الجهة الثالثة:

على فرض عدم تماميّة ما تقدم، فإن بعض علماء النصارى قد قَبِلَ استعمال الجمع للمفرد تعظيماً، ولكنَّهُ خصّ ذلك في المُرَكّبات دون الواحد البسيط.

قال أبو رائطة التكريتي مناقشاً من قال أنّ العرب أجازت مثل هذا الاستعمال: **ان ذلك صحيح جائزٌ في المؤلَّف من أشياء مختلفة، والمركَّب من أعضاء** غير متشابهة، لأنّه واحد كثيرة أجزاؤه. فأوّل الأجزاء من الإنسان النفس

---

(١) العدد٢٠: ٢١و٢٢.

والجسد.. فلذلك جاز أن يُنطق على ما وصفتم.

فأمّا الواحد البسيط المتّفِقُ في كلّ أنحائه الذي لا أعضاء له ولا أجزاء **فكيف جاز له أن يَنطق بما وصفتم من: قلنا وأمرنا وأوحينا**؟ إذ هو عدد واحد كما زعمتم[١].

وتابعه في ذلك القسّ بولس البوشي فقال: إن الإنسان مركّبٌ من نفس وجسد.. فجاز له أن ينطق على ما وصفتم، فأما الذي تزعمون أنه واحد أحدٌ مجرّد لا جسم له ولا أجزاء فكيف جاز له أن ينطق بما وصفتم من: أمَرنا، وأوجَبنا؟[٢].

ويلاحظ على كلماتهم هذه: أنّه **لا وجه للتفريق بين المركب والبسيط**، فإن **صيغة التعظيم لا يراد منها تعظيم المركّب لتركّبه من أجزاء**، فإنّ الملك وعبيده مركبون من نفس الأجزاء، فلا يفوقهم في أعضاء يفتقدونها، وليس نظر المتكلم في تعظيم الملك أو سواه هو تعظيم النفس وأجزاء البدن بمجموعها، بل هو **غافلٌ حين التعظيم عن هذا التركيب** وينظر للملك باعتباره كياناً واحداً هو إنسانٌ لا أكثر، ولذا **لا صلة للبساطة والتركيب في التعظيم وعدمه**.

ولو تنزّلنا وسلّمنا بصحة هذه الدعوى، فإن هناك وجوهاً تسوّغ مثل هذا الاستعمال لله تعالى مع القول بعدم تركّبه، اعتماداً على ما نسبه الكتاب المقدَّس من أجزاء لله تعالى ولو على سبيل المجاز.

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩٣.

(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٧٨-١٧٩.

فلماذا تصح نسبة الأجزاء لله تعالى مجازاً وهو المنزّه عنها، ولا يصح تعظيمه تعالى بلفظ مجازي باعتبار الأجزاء المجازية؟ إن هذا تحكم وتعسُّفٌ واضح.

يقول القديس توما الأكويني:

انه يليق بالكتاب المقدّس أن يورد الإلهيات والروحانيات تحت مثال الجسمانيات، لأن الله يعتني بجميع الأشياء على حسب ما يلائم طباعها. ومن طباع الإنسان أنه يتأدّى بالمحسوسات إلى المعقولات، لأن كل معرفة لنا فإنما مبدؤها من الحسّ. فإذاً **يليق أن تورَد لنا الروحانيات في الكتاب المقدس تحت مُثُل الجسمانيات**(1).

وهذا شاهدٌ واضحٌ على أنه يمكن أن يكون المراد من نون الجمع في النصوص التوراية (نبلبل ألسنتهم، نعمل الإنسان) وما شابه ذلك، ما يستعمله أصحابُ الأجسام من التعظيم والتفخيم، فإن كان ذِكرُ الروحانيات تحت مُثُل الجسمانيات لائقاً فلم لا يكون لائقاً تعظيمُ الروحانيات كالجسمانيات؟! ولذا لو كان يسوغ للإنسان الضعيف أن يستعمل لفظ (ذهبنا وقلنا وأَمَرنا)، أفلا يكون لرب الأرباب والخالق القادر العظيم ذلك؟!

ثمّ إن القديس توما يقرّ بأن أحد وجوه هذا الاستعمال: **ليتفهّمها على هذا الوجه في الأقل البُلهُ المتقاصرون عن فهم المعقولات في أنفسها**(2).

فنقول: إن مثل هذه التشابيه **تريد مراعاة حتى البُله**، ونحن نرى أن **البُله**

(1) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٢٣.

(2) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٢٤.

أنفسهم لا يفهمون من مثل هذا النص تثليثاً في عين التوحيد! ولا يرى فيه العقلاء فضلاً عن البلهاء دليلاً على الثالوث بوجه، ولا بدّ للكتاب المقدّس أن يراعي عقول سائر الناس جميعاً فلا يتحدث معهم بمثل هذه الكلمات التي تخلو من أي دلالة على الثالوث ثم تتم الحجة بها عليهم!

ويتأكّد ما ذكرناه بكثرة اثبات الكتاب المقدس الأجزاء الجسمية لله تعالى (كما تقدم في الفصل السابق) على سبيل التشبيه، كما يقول القديس توما الأكويني: **ان الكتاب إنما يُثبت لله أجزاءً جسميّة باعتبار أفعالها على سبيل التشبيه،** كما أن فعل العين هو النظر، فإذاً حيثما أُثبِتَتِ العين لله كانت عبارةً عن قدرته على النظر بالوجه المعقول لا بالوجه المحسوس، وكذلك الأمر في سائر الأجزاء[1].

وعليه فقد أثبت الكتاب المقدس أجزاءً لله على سبيل التشبيه، فليكن حينها التعظيم على سبيل التشبيه أيضاً.

كلُّ هذا لو أغمضنا عن استعمال العهد القديم لعلامة الجمع في أواخر الأعلام المفردة باللغة العبريّة، كما **نبّه إليه وبيّنه جلياً العلامة البلاغي رحمه الله،** حينما ناقش استدلالهم بلفظ (الهيم) أو (ألوهيم) אֱלוֹהַּ وهو كلمةٌ أخذت من (إله) واختُلِفَ في دلالتها فقيل أنها وقعت مع صيغة الجمع، أي (آلهة)، كما هو النصُّ محل الاستدلال.

وذكر رحمه الله نماذج من الاصل العبرانيّ وترجمته العربية وأنه لا يراد منها الجمع، وضرب لذلك نماذج منها اضافة علامة الجمع بالعبرانية (وهي الميم بعد

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٧.

الياء) في أواخر الأعلام المفردة كـ(موفيم) و(حوفيم) وغيرها، وأواخر أسماء الأجناس كما جاء في الشعير (شعريم) وفي العدس (عدسيم)، وغيرها.

ليخلص إلى أنّه ليس هناك ما يمنع من أن يكون لفظ (الهيم) أو (ألوهيم) اسمٌ لله جلّ شأنه وإن وقعت الميم في آخره كالأعلام وأسماء الأجناس المتقدّمة[1].

فتكون النتيجة بحسب العلامة البلاغي: أن المتعارف في المحاورات العبرانية أن لفظ (إله) يلحقون الميم به وبوصفه، مع أنهم **لا يريدون ولا يفهمون منه في محاوراتهم إلا الواحد المفرد**، بحيث لا يخفى ذلك على السامع ولا يحتمل الجمع، ولا علينا أن نقول: إن إلحاق الميم ههنا للتعظيم أو لغيره[2].

وجوابه هذا سارٍ إلى جملةٍ مما يُستدلّ به من نصوص العهد القديم التي ستأتي، نكتفي بما أشرنا إليه هنا، ومن أراد التفصيل يراجع كلماته في محلّها.

الوجه الثاني: أن الخطاب للملائكة أو من الملائكة

وعلى فرض عدم تمامية شيء مما تقدّم، والتسليم بأن الخطاب من الله تعالى لأحدٍ سواه، فلا بدّ أن يكون لملائكته العاملين بأمره، على أن يكون الفاعل هو الله تعالى تارة كما في الخلق، والملائكة تارة أخرى كما في إنزال الرزق والعذاب وتغيير اللغات.. وقد نسب الكتاب المقدس لملاك الربّ أفعالاً كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله.

---

(١) وقد ناقش هذه الجهة مفصلاً بما لا مزيد عليه، لمزيد من التفصيل يراجع كتابه التوحيد والتثليث ص٤٧ وما بعدها.

(٢) التوحيد والتثليث ص٥٠.

أما الآيات الأولى: نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ.

فقد ورد في بعض نسخ الكتاب المقدس ما يدل على أن الفاعل هو (ملاك الله)، ففي ترجمة إسحاق الصوري: **فانحدر ملاك الله لنظر المدينة**.. وقال الله: إن شعباً واحداً ولغة واحدة لكلّهم.. **هات ننحدر ونغير هناك لغات** حتى لا يفهم رجل لغة صاحبه. فشتتهم الله من هناك على وجه كل الأرض.

فالخطاب من الله تعالى لملاكه الذي ينفذ أمره، وقد ورد ذكر (ملاك الله) و(ملاك الرب) في الكتاب المقدس ما يزيد عن ٦٠ مورداً، وقد أعطى الله تعالى ملائكته قدراتٍ واسعة، فمما وصفهم به الكتاب المقدس: **وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ**(١).

وفيه: **فَأَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ**(٢).

وأعطاه الله قدرة إهلاك الناس وإنزال العذاب عليهم: **وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا**(٣).

وفيه: **وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ الفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ الفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ**(٤).

فيكون الخطاب بين الله تعالى وملائكته.

---

(١) الخروج٣: ٢.

(٢) العدد٢٢: ٢٣.

(٣) صموئيل الثاني٢٤: ١٦.

(٤) الملوك الثاني١٩: ٣٥.

وقد يُرجّح هذا القول أيضاً بقرينة الآية الخامسة المتقدمة: فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ المَدِينَةَ وَالبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا.

فليس المراد عند النصارى هو نزول الله تعالى كنزول المخلوقات جزماً إذ الله تعالى منزّه عن الجسميّة وعن المكانيّة كما تقدّم في الفصلين السابقين، وهو ما يرجّح أن يكون المراد من (نزل الرب) هو نزول (ملاك الرب).

فإن قيل: فارقٌ كبيرٌ بين نزول الرب ونزول ملاكه، فلا يُقبل مثل هذا التفسير.

قلنا: إن عدم القبول بهذا التفسير يؤدي إلى القول بتجسُّم الله تعالى وتشبُّهه بخلقه، وهو تعالى منزّه عن ذلك، فضلاً عن أن التوراة قد عبّر عن ملاك الرب بالرب في مواطن عدة يأتي ذكرها في الفصول الآتية.

أما الآيات الثانية: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.

فقد تقدّم أن ما ورد في التوراة السامرية هو لفظ (**بصورة الملائكة خلقه**) فيكون مؤيّداً لكون الخطاب بين الله تعالى وملائكته، حيث قال لهم: (**نصنع إنساناً بشبهنا وصورتنا**) ولما لم يكن لله شبه ولا صورة، خلق الإنسان على صورة الملائكة.

وقد ورد في هامش الترجمة اليسوعية الجديدة: **قد يدلّ هذا الجمع على تداولٍ بين الله وبلاطه السماوي.. ولعل هذا الجمع عبارة عن جلال الله.**

والنصارى وإن استدلوا به على التثليث إلا أنه خالٍ من مثل هذه الدلالة، والبلاط السماوي الذي عبروا عنه بأن الله (يتداول) معه ليس إلا ملائكة الله

تعالى.

نعم لبعض علماء النصارى إشكالٌ آخر، ذكره القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس بقوله: **الملائكة لا يمكن أن يوضعوا في مستوى واحد مع الله.. يصبح الملائكة شركاء لله ليس فقط في الصورة والشبه بل وفي المشيئة والخلق، وهذا ما يجعلهم متمتعين بالصفات الإلهية وبالتالي بالجوهر الإلهي ذاته**[1].

والجواب عليه صار واضحاً، حيث لا ينسب النصُّ الخلقَ للملائكة على التفسيرين: أما على الأول، فلأن الخالق هو الله تعالى، والجمعُ للتعظيم، وأما على الثاني، فلأن الخالق هو الله أيضاً، لكن اشترك معه الملائكة في اللفظ حصراً دون الفعل لأنه من باب (التداول) كما ورد في هامش الترجمة اليسوعية الجديدة، ولا يعتقدُ أحدٌ بأن الملائكة شركاء لله تعالى في الخلق، و(التداول) هنا معنى مجازي لا يلزم منه جهل الله تعالى والعياذ بالله وهو العالم بما كان وما يكون، نظير ألفاظٍ عديدة وردت في العهد القديم وتقدمت في الفصل الأول كعلم الله وتذكره وندمه ونومه وغفوته فحُملت كلها على المجاز.

الوجه الثالث: لا دلالة على التثليث

ثم إنّه حتى عند المنكرين لكلّ ما تقدّم، مِنْ تَضَمُّن العهد القديم لعبارات التفخيم، وأنّ المراد مما ذُكر تعظيم الله تعالى، والمنكرين لكون الخطاب للملائكة أيضاً، فليس لهم أن يستدلوا عليه بالتثليث لوجهين:

الوجه الأول: أنّ النص لا يدل على التثليث بوجه، وليس فيه ذكرٌ لا لأوّلٍ

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١١١.

ولا لثاني ولا لثالث، ولا للآب والابن والروح القدس، ولا ذكرٌ لصفاتهم وخصائصهم وميزاتهم.

وبالتالي يكون النصُّ مُجمَلاً مُبهَماً لا يُعلم وجهُ الحكمة فيه، ويكون الاستدلال به على الثالوث قولاً بغير علم، وقد قال التوراة: **وَالجَاهِلُ يُكَثِّرُ الكَلاَمَ**[1].

الوجه الثاني: أنّه على فرض التنزُّل ودلالته على الأقانيم، فإنّه **لا وجه لحصرها بثلاثة**، فما المانع أن تكون أكثر من ذلك كأربعة وخمسة وستة؟

فإن أقل الجمع وإن كان ثلاثة، إلا أن أكثره لا يحصى، فما المانع إذاً من دلالته على ما زاد عليها؟

فإن قيل: دل دليلٌ آخر على أنهم ثلاثة.

قلنا: هذا أول الكلام، فإننا نناقش في دلالة هذا الدليل، وكلّما أقمتم من أدلة على التثليث وجدناها منقوضةً كما سيأتي.

حتى أن بعض علماء النصارى أقرّ بإمكان أن يكون الثلاثة مما صرّح به الكتاب المقدّس دون نفي ما زاد عنه، يقول الدكتور القس عماد شحادة: أما عن ضرورة أن تكون التعددية ثلاثيّة على الأكثر، إن هذا يعتمد بالدرجة الأولى على إعلان الله عن ذاته. **هنا لا يستطيع الإنسان أن يجزم بما لا يشدد عليه الكتاب المقدس، فواقع الأمر أنه من الأصعب عند اللاهوتيين إثبات أن ذلك غير**

(١) الجامعة١٠: ١٤.

ضروري، أو غير ممكن[١].

وينقل عن هادجسون قوله: **لماذا لا نتشجع ونرجو بأنه في يوم معيّن سوف يكشف عن نفسه لنا في أربعة أقانيم أو خمسة أو أكثر؟**[٢].

ولذا فإن هذا النص مفتقرٌ لأي دلالة على الثالوث بما تقدّم.

تتميم: النبي محمد صلى الله عليه وآله ونصارى نجران

بعدما تمّ الجواب على الاستدلال بصيغة الجمع في العهد القديم، نُلاحظُ أنّ هذا الاستدلال مما أورده نصارى نجران في مناظرتهم مع نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله ، عندما جاؤوا يقدِمُهم السيّد والعاقب أسقفا نجران في سبعين راكب، ومما روي في حادثة المباهلة تلك أنهم: جَلَسُوا إِلَيْهِ وَنَاظَرُوهُ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ حَاجَّنَا فِي عِيسَى.

قَالَ: **هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ القاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ.**

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: **بَلْ هُوَ وَلَدُهُ وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَقَالَ آخَرُ بَلْ هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحُ القُدُسِ.**

وفي هذا إشارةٌ الى الاختلاف الحاصل بين النصارى في كون الروح القدس ثالثاً مع الاب والابن، فإن هذه العقيدة كانت محطّ خلافٍ بين النصارى وقد

(١) كتاب الآب والإبن والروح القدس ص١٠٠، وهو أقرّ بعدم دخول الكتاب المقدس دخولاً مباشراً في هذا الموضوع، إلا أنّه عمل على إثبات قناعته الشخصية بوجود أدلة على (نهائية) العدد ثلاثة.

(٢) كتاب الآب والإبن والروح القدس ص١٠٠.

أقرّها المجمع المسكوني في القسطنطينية سنة ٣٨١م، ويظهر من هذا النص أن بعض النصارى لم يكن يعتقد بما ذهب إليه هذا المجمع، حتى بعثة النبي ﷺ.

ثم قالوا له ﷺ: **وَقَدْ سَمِعْنَاهُ فِي قُرْآنٍ نَزَلَ عَلَيْكَ يَقُولُ: فَعَلْنَا وَجَعَلْنَا وَخَلَقْنَا، وَلَوْ كَانَ وَاحِداً لَقَالَ: خَلَقْتُ وَجَعَلْتُ وَفَعَلْتُ!**

فَتَغَشَّى النَّبِيَّ ﷺ الوَحْيُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ صَدْرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى قَوْلِهِ رَأْسِ السِّتِّينَ مِنْهَا ف﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ القِصَّةَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: **قَدْ وَالله أَتَاكُمْ بِالفَصْلِ مِنْ خَبَرِ صَاحِبِكُمْ.**

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: **إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَمَرَنِي بِمُبَاهَلَتِكُمْ، فَقَالُوا إِذَا كَانَ غَداً بَاهَلْنَاكَ،** فَقَالَ القَوْمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ حَتَّى نَنْظُرَ بِمَا يُبَاهِلُنَا غَداً: بِكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ مِنْ أَوْبَاشِ النَّاسِ، أَمْ بِأَهْلِهِ مِنْ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ، فَإِنَّهُمْ وَشِيجُ الأَنْبِيَاءِ وَمَوْضِعُ نَهَلِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ غَدَا النَّبِيُّ ﷺ بِيَمِينِهِ عَلِيٌّ وَبِيَسَارِهِ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عليهما السلام وَمِنْ وَرَائِهِمْ فَاطِمَةُ عليها السلام، عَلَيْهِمُ النِّمَارُ النَّجْرَانِيَّةُ، وَعَلَى كَتِفِ رَسُولِ الله ﷺ كِسَاءٌ قَطَوَانِيٌّ رَقِيقٌ خَشِنٌ لَيْسَ بِكَثِيفٍ وَلَا لَيِّنٍ، فَأَمَرَ بِشَجَرَتَيْنِ فَكُسِحَ مَا بَيْنَهُمَا وَنَشَرَ الكِسَاءَ عَلَيْهِمَا وَأَدْخَلَهُمْ تَحْتَ الكِسَاءِ وَأَدْخَلَ مَنْكِبَهُ الأَيْسَرَ مَعَهُمْ تَحْتَ الكِسَاءِ مُعْتَمِداً عَلَى قَوْسِهِ النَّبْعِ، وَرَفَعَ يَدَهُ اليُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ لِلْمُبَاهَلَةِ وَاشْرَأَبَّ النَّاسُ يَنْظُرُونَ.

وَ اصْفَرَّ لَوْنُ السَّيِّدِ وَالعَاقِبِ وَكَرَّا حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيشَ عُقُولُهُمَا.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَ نُبَاهِلُهُ؟

قَالَ: **أَ وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَا بَاهَلَ قَوْمٌ قَطُّ نَبِيّاً فَنَشَأَ صَغِيرُهُمْ وَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَكِنْ أَرِهِ أَنَّكَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ وَأَعْطِهِ مِنَ المَالِ وَالسِّلَاحِ مَا أَرَادَ فَإِنَّ الرَّجُلَ مُحَارِبٌ وَقُلْ لَهُ: أَ بِهَؤُلَاءِ تُبَاهِلُنَا؟** لِئَلَّا يَرَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَتْ مَعْرِفَتُنَا بِفَضْلِهِ وَفَضْلِ أَهْلِ بَيْتِهِ.

فَلَمَّا رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِلْمُبَاهَلَةِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَأَيُّ رَهْبَانِيَّةٍ، دَارِكِ الرَّجُلَ فَإِنَّهُ **إِنْ فَاهَ بِبَهْلَةٍ لَمْ نَرْجِعْ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ.**

فَقَالا: يَا أَبَا القَاسِمِ أَ بِهَؤُلَاءِ تُبَاهِلُنَا؟

قَالَ: نَعَمْ **هَؤُلَاءِ أَوْجَهُ مَنْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بَعْدِي إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ** وِجْهَةً وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً.

قَالَ: فَبَصْبَصَا، يَعْنِي ارْتَعَدَا وَكَرَّا وَقَالا لَهُ: يَا أَبَا القَاسِمِ نُعْطِيكَ الفَ سَيْفٍ وَالفَ دِرْعٍ وَالفَ حَجَفَةٍ وَالفَ دِينَارٍ كُلَّ عَامٍ، عَلَى أَنَّ الدِّرْعَ وَالسَّيْفَ وَالحَجَفَةِ عِنْدَكَ إِعَارَةٌ، حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا فَنُعْلِمَهُمْ بِالَّذِي رَأَيْنَا وَشَاهَدْنَا، فَيَكُونَ الأَمْرُ عَلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ، فَإِمَّا الإِسْلَامَ وَإِمَّا الجِزْيَةَ وَإِمَّا المُقَاطَعَةَ فِي كُلِّ عَامٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْكُمَا، أَمَا وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالكَرَامَةِ **لَوْ بَاهَلْتُمُونِي بِمَنْ تَحْتَ الكِسَاءِ لَأَضْرَمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمُ الوَادِيَ نَاراً تَأَجَّجُ** حَتَّى يساقها [يَسُوقَهَا] إِلَى مَنْ وَرَاءَكُمْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ فَأَحْرَقَتْهُمْ تَأَجُّجاً.

فَهَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ الرُّوحُ الأَمِينُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الله يُقْرِئُكَ السَّلَامَ

وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي، **لَوْ بَاهَلْتَ بِمَنْ تَحْتَ الكِسَاءِ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الأَرْضِ لَسَاقَطَتِ السَّمَاءُ كِسَفاً مُتَهَافِتَةً، وَلَتَقَطَّعَتِ الأَرَضُونَ زُبَراً سَائِحَةً** فَلَمْ تَسْتَقِرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: وَعَلَى مَنْ ظَلَمَكُمْ حَقَّكُمْ وَبَخَسَنِي الأَجْرَ الَّذِي افْتَرَضَهُ اللهُ فِيكُمْ عَلَيْهِمْ بَهْلَةُ اللهِ تَتَابَعَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[1].

لا يقال: لم انتقل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى المباهلة بدلاً من المحاججة؟!

فإن لذلك وجوهاً:

أوّلها: أن المباهلة إنما كانت بأمر الله تعالى: فَتَغَشَّى النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوَحْيُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ.. **والله تعالى لا يُسأل عما يفعل.**

وثانيها: **أنّه ليس في المباهلة ظلمٌ** بل إظهارٌ للحق وإبطالٌ للباطل كما فهم ذلك النصارى أنفسهم بقولهم: **قَدْ وَاللهِ أَتَاكُمْ بِالفَصْلِ مِنْ خَبَرِ صَاحِبِكُمْ**.

وثالثها: أنّ الوجه في ذلك ظاهرٌ وهو كونهم من المعاندين، يُعرف ذلك باستدلالهم على الثالوث بالقرآن الكريم، والقرآن صريحٌ في كفر القائل بالثالوث كما سيأتي، ويُعرف ذلك من الحوار الذي جرى بينهم قبل المباهلة في صدر الحديث، ففيه كلامٌ بينهم حول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قبل وصولهما إليه، ومن هذا الحوار: نَشْهَدُ أَحْوَالَهُ وَنَنْظُرُ آيَاتِهِ، **فَإِنْ يَكُنْ هُوَ هُوَ سَاعَدْنَاهُ بِالمُسَالَمَةِ وَنَكُفُّهُ بِأَمْوَالِنَا عَنْ أَهْلِ دِينِنَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِنَا**، وَإِنْ يَكُنْ كَاذِباً كَفَيْنَاهُ بِكَذِبِهِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص١١٤ وما بعدها.

قَالَ: **وَلِمَ إِذَا رَأَيْتَ العَلاَمَةَ لَا تَتَّبِعُهُ؟**

قَالَ: أَ مَا رَأَيْتَ مَا فَعَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ القَوْمُ، أَكْرَمُونَا وَمَوَّلُونَا وَنَصَبُوا لَنَا الكَنَائِسَ وَأَعْلَوْا فِيهِ ذِكْرَنَا، **فَكَيْفَ تَطِيبُ النَّفْسُ بِالدُّخُولِ فِي دِينٍ يَسْتَوِي فِيهِ الشَّرِيفُ وَالوَضِيعُ؟**[1].

وأمّا ما يثيره بعض الباحثين النصارى المعاصرين من أن الإسلام دين اللعن، فإن المباهلة تعني الملاعنة، والمسيحية دين البركة، فعيسى عليه السلام قد قال: **بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ**[2].

فالجواب عليه بما ورد في الكتاب المقدس نفسه: وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: .. أُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، **وَلاَعِنَكَ العَنْهُ**[3]، وفيه: **لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ**[4]، وفيه: **وَلاَعِنُكَ مَلْعُونٌ**[5].

لا يقال: هذا مختصٌّ بالعهد القديم، وهو مما نسخه عيسى عليه السلام.

لأننا نقول: اللعن سنّة العهد الجديد أيضاً: ففيه: **وَلكِنَّ هذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ**[6]. وفيه: **مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ**

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص١١٣.

(٢) متى٥: ٤٤، لوقا٦: ٢٨.

(٣) التكوين١٢: ١و٣.

(٤) التكوين٢٧: ٢٩.

(٥) العدد٢٤: ٩.

(٦) يوحنا٧: ٤٩.

مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ[١]. وقد ورد اللعن عشرات المرات في الكتاب المقدس بعهديه.

٢. الرجال الثلاثة وإبراهيم

ورد في سفر التكوين في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام ما نصُّه: **وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ** عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ **وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ**. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «**يَا سَيِّدُ**، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ **فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ**. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ **وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ** وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، **لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ**». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ»[٢].

وقد استُدلَّ بهذا النص على الثالوث، بتقريب أن (الرب) هو (الرجال الثلاثة)! حيث أنّهم موحّدون في الجوهر، ثلاثةٌ في الأقانيم!

قال القديس كيرلُّس الاسكندري[٣]: هكذا نرى أن الكتاب يقول بوضوح **أن الله تجلى لإبراهيم، ولكن الأشخاص الذين رآهم كانوا ثلاثة**.. قال: يا سيدي، مستعملاً المفرد لمخاطبة الثلاثة.. وهكذا **فالاشخاص الذين ظهروا لإبراهيم**

(١) غلاطية٣: ١٠.

(٢) التكوين ١٨: ١-٥.

(٣) وهو أسقف الاسكندرية بعد عام ٤١٢م، وكان حينها كرسيُّ الاسكندرية يحتلُّ المركز الأول في الشرق المسيحي.

ثلاثة، وكلّ واحد منهم موجود بأقنوميّته الخاصة، والثلاثة موحَّدون في الجوهر، ومُظهِرون هذه الوحدة في كلامهم[١].

ليخلص إلى أنه: لم يَفُت أبانا إبراهيم أن يعترف بالله الثالوث[٢].

وقال أبو رائطة التكريتي: أفلا ترون **أن الذي عاين إبراهيمُ ثلاثة عددها.. فسمّاهم رباً واحداً.. فعدد الثلاثة سرٌّ لأقانيم الثلاثة، وتَسمِيَتُه إياهم ربّاً لا أربابٌ سرٌّ لجوهر واحد**[٣].

المناقشة فيه

يبتني الإستدلال في هذه الفقرة على أن الرب هو الرجال الثلاثة في إشارة إلى التثليث، فيكون جوهرهم واحداً، وتكون الأقانيم الثلاثة قد تجسّدت في رجال ثلاثة.

ويلاحظ على ذلك:

أولاً: أن هذا القول مُخالفٌ للتوحيد الثابت قطعاً بالعقل والنقل، فقد تقدّم في الفصل الثاني إثبات التوحيد في الكتاب المقدّس بعهديه، وقول القديس كيرلُّس يكشف عن ثلاثة آلهة في الحقيقة، وهو منافٍ للتوحيد، ولا يمكن الدفاع عن ذلك بالقول أنّهم واحدٌ في الجوهر، فإثبات التوحيد في الكتاب المقدس لم يكن من باب إثبات وحدانية الجوهر لثلاثةٍ يتصف كل منهم بصفات الألوهية، لأن

---

(١) الرد على يوليانس ص٤٤.

(٢) الرد على يوليانس ص٤٥.

(٣) رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩٤.

هذا يعني أنّهم آلهةٌ ثلاثة.

ولا يكفي القول بأننا مع اعتقادنا بالتوحيد نعتقد بالتثليث لأن التوحيد صار توحيداً ناقصاً، فهو يعني حينها وحدة الصفات التي يتصف بها الله وعيسى والروح القدس، لا وحدة الإله حقيقة.

وقد ناقشنا هذا الأمر مفصلاً في كتاب (الثالوث صليب العقل) فليراجع.

ثانياً: أن النص خالٍ من أي دلالة على الثالوث، فهو لا يشير إلى الابن ولا الى الروح القدس، وليس فيه أي دلالة على اتصافهم بصفات الله سبحانه وتعالى، ولا على ألوهيّة عيسى عليه السلام بوجه من الوجوه. وهذا أوضح من أن يحتاج لتوضيح.

ثالثاً: أن النصّ نفسه ينفي هذه الدعوى تماماً، فإن الآيات تقول: (وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ.. وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ) وهو ظاهرٌ في أن **الرجال الثلاثة كانوا واقفين لدى الرب وليس لدى إبراهيم،** والشاهد على ذلك قوله (فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ)، فلو كانوا واقفين لدى إبراهيم لم يكن هناك معنىً ولا حاجة لأن يركض لاستقبالهم، وإنما ركض إبراهيم إليهم لأنهم كانوا واقفين (لدى الرب)، ما يعني أن (الرب) المعنيّ في هذه الآيات **ليس هو الثلاثة ولا الثلاثة هم الرب،** بغض النظر عن المراد من الربّ هنا، وهل أنّه ملاك الربّ أم معنىً آخر.

رابعاً: أنّ نصّ الإصحاح المذكور يؤكد بما لا يدعُ مجالاً للشك أن **ليس المراد من الثلاثة الرب بوجه من الوجوه،** فإن الثلاثة **قد انصرفوا وذهبوا** نحو سدوم مدينة لوط، وأما **إبراهيم فكان لا يزال قائماً أمام الرب** يكلّمه ويناقشه في إنزال العذاب على المدينة مع وجود صالحين فيها.

حيث ورد فيه: **وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ.** فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟»[١].

إلى أن يقول: **وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ**، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ[٢].

وهو صريحٌ في أن الثلاثة ليسوا هم الربّ، فإن أقل الجمع ثلاثة، وقوله (وانصرف الرجال) يعني انصراف الثلاثة في حين أن (**إِبْرَاهِيم فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ**).

خامساً: أن **مِن علماء النصارى من اعترف بأن الثلاثة هم ملائكة**، وإن ذهب إلى أن المشهد يعبر عن الثالوث، ومنهم الاب توماش شبيدلك اليسوعي حين يقول: المشهد الشهير والمعبّر بصورةٍ واضحة عن الثالوث هو إبراهيم في استقباله للثلاثة أشخاص في (تك ١٨ / ١-١٥) **وهم الذين جاؤوا إلى إبراهيم في شكل ثلاثة ملائكة كي يخبروه بميلاد ابنه**[٣].

إذ أن النصارى يعتقدون بإمكان تغيير الملائكة لشكلهم، كما يقول القديس يوحنا الدمشقي حول ظهورات الملائكة: **وإنهم يغيّرون شكلهم تلبيةً لما يأمرهم به الله سيدهم**، وعلى هذا النحو يتراءون للبشر[٤].

---

(١) التكوين١٨: ٢٢و٢٣.

(٢) التكوين١٨: ٣٣.

(٣) نحن في الثالوث ص٤١.

(٤) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٩٢.

فإنّهم يعترفون أن هؤلاء الثلاثة هم رجالٌ بنص التوراة، ثم يُقرّون أنهم كانوا في شكل ملائكةٍ بنص الأب شبيدلك، ثم يزعمون مع هذا دلالة الآيات على الثالوث!

ولعمري لئن كانت مثل هذه هي أدلة الثالوث، فإنّه حقَّ للنصارى أن يترنموا بما ورد في مزامير داوود: **ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ. اشْفِنِي يَا رَبُّ لأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ**[1]!

وأيُّ ضعف أشدّ من ضعف هذه الأدلة أمام العقل والمنطق والكتاب المقدّس! وكيف لا ترتجف العظام من نسبة التثليث للإله العظيم؟!

سادساً: لمّا كان الله تعالى منزّهاً عن الجسمية، وصفه إنجيلُ برنابا الذي لم تعترف به الكنيسة بأنّه: **ليس لله جسم**[2]، وبأنّه: **غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي**[3]، بحسب ترجمة الدكتور خليل سعادة، أما ترجمة الخوري بولس فغالي ففيها وصفُ الله تعالى بأنّه: **لا جسد له.. لا بدن له ولا مركّب..**

وقال الخوري فغالي تعليقاً على عبارة: (لا جسد له): **لا شك إن قيل هذا الكلام في الله الآب. ولكن الله الابن أخذ جسداً**.. أكل، نام في السفينة.. مات.. لأنه شابَهَنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة، دون أن يتخلى عن لاهوته.

أقول: كلامُ الخوري فغالي لا يستقيم بوجه، لأنّهم يزعمون أن جوهر الآب والابن واحدٌ، ويقرّون بأن الآب منزّه عن التجسُّد، ويُثبِتُون التجسُّد للابن مع

(١) المزامير٦: ٢.

(٢) برنابا١٧: ١٢.

(٣) برنابا١٧: ١٤.

وحدة الجوهر بينهما! وهذا تناقضٌ بيّن.

ولعلّه لهذا السبب ذهب بعض علمائهم إلى أن الآب يمكن أن يتجسّد أيضاً، وفسّروا بعض نصوص العهد القديم بذلك، للتخلُّص بهذا من التناقض السالف، لكنّه يوقع فيما يخالف التوحيد، ويُسقِطُ في التجسيم الذي لا بدّ من تنزيه الباري عزّ وجل عنه.

٣. في البدء الآلهة خلق السماوات والأرض

وهي أول آية في التوراة، في سفر التكوين من العهد القديم، استدلَّ بها بعضُ علماء النصارى كالقس منسّى يوحنا حيث قال:

ثم يُلاحَظ أنَّ في العهد العتيق كلمتين مُستعملتين للتَّعبير عن الألوهية؛ إحداهما «يهوه» والأخرى «إلوهيم». فالأولى على مذهب أرباب اللُّغة العبرانية، تُطلق على ذات الله وعلى جوهره السّامي، وهي لا تُستعمل عندهم إلا مُفردة. والثانية تُعبِّر عن تصوُّر حُضُور الله وقُدرته، وهي لا تُستعمل إلا بصِيغة الجمع، ولكنَّها تقتضي أن يكون الفعل بعدها مُفرداً. وعليه، **فالتَّرجمة الحرفية للآية الأولى من التَّوراة، تقتضي أن تكون هكذا: «في البدء الآلهة خلق السموات والأرض». فإنَّ العُلماء ما فهموا إلا أنَّ في لفظة «إلوهيم» وطريقة استعمالها ما يُشير إلى وجود عدَّة أقانيم في الله**[1].

---

(١) شمس البِرّ ص١٣٥.

المناقشة فيه

ويلاحظ على كلامه:

أولاً: أن أياً من النسخ المتداولة للتوراة لا تتضمّن ترجمة (الآلهة خلق) بل كلها تتضمن: فِي البَدْءِ خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.

وقد تسنى لنا مراجعة أكثر من عشرين نسخة مترجمة من العهد القديم (أشرنا لها في المقدمة) فلم نعثر في أيٍّ منها على ما أشار إليه القسّ يوحنا.

حتى النسخة العبرية التي يعتمد عليها اليهود(١) تتضمن النص العبريّ التالي:

א בְּרֵאשִׁית, בָּרָא אֱלֹהִים, אֵת הַשָּׁמַיִם, וְאֵת הָאָרֶץ.

وقد ترجمها اليهود للإنجليزية بالنص التالي:

1 In the beginning God created the heaven and the earth.

وهي مطابقة للنصوص العربية المترجمة بأكملها (الله خلق) أو أبدع.

ثانياً: لو فرضنا صحّة ترجمته وأن الترجمة الصحيحة هي قوله (**في البدء الآلهة خلق السموات والأرض**) فإنها تدلّ على تعدد الآلهة صريحاً، وتنافي التوحيد منافاة تامّة، فالآلهةُ ثلاثةٌ، وهو ينافي التوراة والإنجيل والقرآن، والتمسّك بحرفيّة هذه الترجمة كما يذهب اليه القسّ يوحنا يُلزم النصارى بالقول بأن الآلهة ثلاثة بشكل صريحٍ لا مُقَنَّع، وهو خروج عن التوحيد بالمطلق.

ولذا استعمل النصارى لفظ (أقنوم) غير المفهوم المعنى وهو يعني (الشخص) حقيقة للتَسَتُّر على القول بالآلهة الثلاثة، وأنكروا القول بوجود

---

(١) والمنشورة في الموقع الالكتروني *mechon-mamre.org* .

(ثلاثة آلهة)، بل قالوا أنّ الثلاثة كلّهم إلهُ واحد! لكن القسّ منسّى يوحنا هنا جعل ترجمة أوّل آية في التوراة دالّة على الآلهة الثلاثة!

وعليه فإمّا أن يقال بعدم صحة ترجمته، فلا دلالة على الثالوث في الآية، وإما أن يقال بصحتها، فتدلّ على أن الآلهة ثلاثةٌ بما يخالف التوحيد، وهو ما لا يقبل به النصارى، بل يحكمون على قائله بالكفر!

ففي كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: الثالوث واحد. **إننا لا نعترف بثلاثة آلهة، بل بإلهٍ واحدٍ بثلاثة أقانيم**[1].

ويقول القديس إبيفانيوس: **لا يوجد ثلاثة آلهة، بل إلهٌ واحدٌ حقيقي**[2].

ويقول القمص سرجيوس: **هؤلاء الثلاثة هم واحدٌ وليسوا ثلاثة آلهة**[3].

ويقول: **وكل من يعتقد من النصارى أن الاقانيم المذكورة ثلاثة آلهة مختلفة او متّفقة.. فهو كافر**[4].

وبهذا يتضح عدم إمكان الاستدلال بهذه الآية على الثالوث.

٤. ذكر الأشياء ثلاث مرات

بالغ بعض علماء النصارى في محاولة إثبات الثالوث من العهدين القديم

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٦ فقرة ٢٥٣.

(٢) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص٣١٤.

(٣) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٢٦.

(٤) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٤٣.

والجديد وذلك بِذِكرِ شواهدَ تزيد عن المئة شاهدٍ زعموا أنها تتضمّن إشاراتٍ للثالوث! فكُلّما عثروا على مورد في التوراة والإنجيل ذُكرت فيه أمورٌ ثلاثةٌ أياً تكن، أو تكرّر فيه ذكرُ الشيء نفسه ثلاث مرات، زعموا أنه يدلّ على الثالوث!

من ذلك مثلاً تكرر لفظ: (قُدُّوسٌ) ثلاث مرات في سفر أشعياء!

يقول أبو رائطة التكريتي: **فتقديس الملائكة مراراً ثلاثة واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سرٌّ لتقديسهم لأقانيم ثلاثة، إلهاً واحداً**. فهذه بعض شهادات الأنبياء على أن الله واحدٌ ثلاثة، وثلاثة واحد[١].

ويقول القسّ بولس البوشي: أشعيا يصف أن الله تراءى له، والكاروبيم تُقدِّسُه قائلين: قدّوس قدّوس قدّوس.. **فتقديس الملائكة مراراً ثلاثاً بلا زيادةٍ ولا نقصان يدلُّ على الثالوث**[٢].

ومثلها تكرار لفظ (يا سيّد) ثلاث مرّات! كما في سفر دانيال: **يَا سَيِّدُ اسْمَعْ. يَا سَيِّدُ اغْفِرْ. يَا سَيِّدُ أَصْغِ وَاصْنَعْ**[٣].

وهو ما استدلّ به بعضه علماء النصارى! ومنهم الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى، وأضاف إلى هذه الأدلة والإشارات على الثالوث سكب الماء ثلاث مرات! وصياح الديك ثلاثاً! وإنكار بطرس لعيسى عليه السلام ثلاث مرات!

وكذا كلّما وجد ذكراً لله تعالى وعيسى والروح القدس عدّه دليلاً غللا

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩٦.

(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٨٣.

(٣) دانيال٩: ١٩.

الثالوث!

وكلّما وجد مورداً ذُكر فيه اسم الله او الربّ او الروح او الإله ثلاثاً عدّه دليلاً على الثالوث!

وعدّ اختلاف الضمائر بين المفرد والجمع عند التعدّد كذلك.. وهكذا مما لا يصح الوقوف عليه لضعفه، كتوفُّر ثلاثة أبوابٍ للخيمة! ووجود ثلاثة أنواع من الذبائح أو المعادن أو الألوان أو السوائل، أو نزول ريحٍ وزلزلةٍ ونارٍ فهي ثلاثة، وما شابه ذلك، كلّ هذا صار دليلاً أو إشارة على الثالوث![1].

ومثله فعل القس الدكتور لبيب ميخائيل حينما قرأ قصة بالاق وبلعام في العهد القديم فوجد في آياتٍ متباعدة ألفاظ (الله) و(الرب) و(روح الله) فعدّ ذلك مظهراً أكيداً للثالوث![2].

المناقشة فيه

وهذا القول واضحُ البطلان، بيّن الضعف، يكاد يصير قائله مصداقاً لمن يريد أن يستعبد الناس باسم المسيح، ففي الكتاب المقدّس: **وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الكَذَبَةِ المُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي المَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا**[3].

---

(١) يراجع سر التثليث والتوحيد من هو الله، ج٣ من صفحة ٣٧ الى ص١٢٢، حيث ذكر العشرات من هذه النماذج.

(٢) كتاب: لا إله إلا الله ص٣٧.

(٣) غلاطية ٢: ٤.

إذ هل يُعقل أن تكون مثل هذه النصوص أدلةً على الثالوث؟! هل افتَقَرَت اللغاتُ وعَجِزَت الألفاظُ والكلماتُ عن إبراز مُراد الله تعالى فلجأ إلى هذه الاستعمالات الهزيلة؟!

ماذا لو احتجّ حينها الثنوية بالتوراة والإنجيل على صحة دينهم؟ فقالوا إن (الخير والشر) قد ذُكرا معاً مراراً في الكتاب المقدّس وهذا يدل على صحة ديننا! وذُكر الابن الحكيم والابن الجاهل معاً في أمثال سليمان[1].

بل ذُكر الله وعيسى في موارد كثيرة دون أن يُذكر الروح القدس، فليكن هذا دليلاً على الثنوية!

بل لا بدّ من القول بالأقانيم السبعة حينها، إذ ورد ذكر الرقم سبعة أكثر من ٢٥٠ مرة، فلم لا تكون الأقانيم سبعة؟

وليكن الكشف قد حصل في المرحلة الأولى عن ثلاثة أقانيم لمن أدركها، والكشف الأوسع دائرةً يأخذ بيد صاحبه إلى الأقانيم السبعة!

قال بعض الرهبان: **طبعاً لم يعلن الله صراحةً لشعب إسرائيل عن ثالوثه لأن الشعب كان في مرحلة الطفولة، ولم يكن في مقدوره أن يعي كل شيء عن الله**[2].

فليكن القول بالأقانيم الثلاثة تحضيراً وتمهيداً للقول بالأقانيم السبعة حتى تستعدّ البشرية لقبولها! كما قالوا في تبرير عدم صراحة العهد القديم في الدلالة على التثليث.

(١) الأمثال ١٠: ١.

(٢) الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى في سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص٦٧.

وخلاصة القول أنّ هذا من أضعف الأدلة التي بانَ بُطلانها.

ولو نقلنا الكلام إلى الإنجيل نفسه كما فعلوا، فلم لا نقول بالتربيع لأن الأناجيل أربعة؟ ولأن جهات الأرض أربعة، ولنا أن نعتمد على نصوصٍ إنجيليّة ذُكِرَت فيها إشارةٌ رباعيةٌ عند الحديث عن البرّ والإيمان والمحبة والسلام: أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ[(١)].

أو إشارةٌ سُبَاعِيَّةٌ سوى السماوات السبع تدل على أقانيم سبعة: وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي[(٢)].

والنتيجة أن هذا الدليل من أضعف الأدلة وأهزلها وإن أكثروا من ذكر الشواهد عليه.

عودٌ على بدء

بعد أن اتّضَحَ عدم وجود أي دلالة في التوراة على الثالوث، وبعدما سقطت الأدلة واحداً تلو الآخر، **يُعرف سببُ اعتراف جمعٍ من علماء النصارى بخلو التوراة عن أي نصٍّ صريح على الثالوث**، ثم يزعم هؤلاء أن هذه الأدلة لا تُفهم إلا في ضوء الإيمان المسيحي! أي أنك لا بدّ أن تؤمن بالثالوث حتى ترى دلالة الدليل على الثالوث! وهذا مما لا يُمكنُ قبولُه **إذ يلزم منه توقف الأمر على نفسه**. أي أن الدليل لا يدل على الثالوث إلا بعد الإيمان بالثالوث!

---

(١) ٢ تيموثاوس٢: ٢٢.

(٢) ٢ تيموثاوس٣: ١٠.

ومن اعترف بذلك القسّ موسى وهبه مينا حيث صرّح بعدم احتواء العهد القديم على صياغةٍ كاملةٍ عن عقيدة التثليث، فيقول: **نحن لا نتوقع أن نجد عقيدة التثليث في صياغتها الكاملة معلَنة في العهد القديم**. ولكننا مع ذلك لا نعجب أو نندهش إذا وجدنا اشارات مسبقة تنبئ عما سينكشف فيما بعد أي في العهد الجديد[١].

وقال الراهب باسيليوس المقاري: إن حقيقة الثالوث الأقدس **أُعلِنَت في العهد القديم بطريقة مُقَنّعة، أي نصف معلنة، فشهادات العهد القديم للثالوث تكون مستعلنة وظاهرة في ضوء الإيمان المسيحي فحسب**[٢].

وهو مصداقٌ لتوقف الدليل على نفسه.

فإن قيل: إن الإيمان بالثالوث إنما يتم بشكل صريح بحسب الإنجيل لا التوراة، وبناء عليه لا يتوقف الإيمان بالثالوث على نفسه، بل تتضح دلالة أدلة التوراة بعد الإيمان بالثالوث بناء على نصوص الإنجيل.

نقول: حينها لا وجه للاستدلال بالتوراة على الثالوث، إنما ينتقل البحث لدلالة الإنجيل عليه، وهو ما يأتي في فصول آتية إن شاء الله.

وقد تبين عدم دلالة هذه الإشارات على ذلك.

---

(١) في بالحقيقة نؤمن بإله واحد ج١ ص٣٢.

(٢) إيماننا المسيحي ج١ ص٣٩.

٢. الثالوث في الإنجيل

استدلَّ علماءُ النصارى على الثالوث بعدّة نصوص إنجيلية عدّوها صريحة في الدلالة على مطلوبهم، ومن أهمها:

١. الثلاثة هم واحد

استُدلّ على الثالوث بما ورد في رسائل يوحنا من أن **الثلاثة**: الآب والكلمة (أي عيسى) والروح القدس **هم واحدٌ**، ففيه: **فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ**: الآبُ، وَالكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ القُدُسُ. **وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ**[1].

بتقريب أن كونَ الثلاثة هم واحدٌ هو عين ما تذهب إليه الكنيسة من القول بالتوحيد في عين التثليث، أي توحيدٌ في الجوهر وتثليثٌ في الأقانيم.

المناقشة فيه

ويلاحظ على ذلك:

أولاً: أن نِسَخَ الانجيل مختلفةٌ في هذه العبارة، فقد وردت كما ذكرناها في عدة نسخ كترجمة (سميث وفاندايك) وترجمة (الحياة) وعددٍ قليل من النسخ الأخرى، لكن معظم ترجمات الكتاب المقدس تخلو من هذه العبارة بالكامل، **فهي ليست موجودة في الترجمة الكاثوليكة ولا في اليسوعية ولا في البولسية ولا في القبطية ولا في الأخبار السارة ولا في ترجمة الشريف ولا ترجمة المعنى الصحيح،**

---

(١) يوحنا الأولى٥: ٧.

ولا في إنجيل شهود يهوه، ولا في الترجمة السهلة.

كذلك لم ترد هذه العبارة في (الترجمة العربية المشتركة) المقبولة من كافة الكنائس، وورد في الهامش ذكر هذه العبارة على أنّها (وردت في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة).

وقد اعترف ناشد حنا أحد مفسري الأناجيل تبعاً لغيره من المفسرين بأن هذه الكلمة قد أُدخِلَت في متن الإنجيل ولم تكن منه، فقال في شرحه لها أنها كانت موضوعةً بين قوسين، ليخلص إلى قولٍ مفاده: ويظهر كما يقول المفسرون أن الكلمات: (الآب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد) **كانت مكتوبةً على الهامش، وبعد ذلك الذين نسخوا أدخلوها في المتن.**

ويقول المفسر وليم ماكدونالد: ينزعج بعض المسيحيين الأتقياء لدى تعلُّمهم أن أجزاء من العددين السابع والثامن بحسب ترجمتنا العربية، **لم توردها سوى بعض المخطوطات اليونانية القليلة.** لكن هذا لا يؤثر بشيء في صحة الكتاب المقدس.

فهذا النصُّ إذاً لم يَثبُت كونه من الكتاب المقدَّس، فلا يمكن الاستدلال به بوجه من الوجوه.

ثانياً: أنّه على فرض ثبوت هذا النص، أو تأييده بنصوص أخرى مشابهة كقول عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا: **أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ**[1]، فإنّ الكلام يقع في أن الوحدة هنا **هل هي وحدةٌ حقيقةٌ أم وحدة مجازية؟**

---

(١) يوحنا١٠: ٣٠.

أمّا كونها وحدة حقيقية فمنتفٍ قطعاً لأن عيسى ليس هو الآب حتى عند القائلين بأنه هو الله (والعياذ بالله)، لأن القائل بالثالوث لا يلتزم بأن الآب هو عيسى عليه السلام، بل يلتزم بأن الابن هو عيسى، ويصرّح بوجود تمايز بين الأقانيم بما يمنع من كون أحدهما هو الآخر حقيقة.

فاتّفق الجميع على إرادة معنى مجازيٍّ منها، دون أن يأتوا بأيّ دليلٍ يُرشد إلى دلالتها على الأقانيم الثلاثة.

وقد يُستدل على أنّها وحدةٌ مجازيةٌ بوجوهٍ عدّة منها: أن رسالة يوحنا التي ذكرت في بعض نسخها هذه الفقرة (**وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ**) أعقبتها بالفقرة التالية: وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: **الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الوَاحِد**[1].

لكن نسخ الانجيل أيضاً مختلفة في هذه العبارة، فمنها ما ورد فيه (**وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الوَاحِدِ**) كترجمة فاندايك، ومنها ما ورد فيه (**وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ**) كما في ترجمة (الحياة).

ومن الواضح أن الروح والماء والدم ليسوا واحداً في الحقيقة، فلا بدّ من حمل العبارة على المجاز، فتحمل عبارة (**أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ**) على المجاز كعبارة الوحدة بين الثلاثة: الروح والماء والدم، المختلفون وجداناً.

أما في بعض النسخ فورد بدلاً من (هم واحد) أو (هم في الواحد) ورد (وهؤُلاءِ الثَّلاثةُ مُتَّفِقون) كما في الترجمة الكاثوليكية واليسوعية، و(على اتِّفاق)

---

(١) يوحنا الأولى٥: ٨.

كما في الترجمة البولسية، ما يرجّح أنّه على فرض ثبوت العبارة محلّ الاستدلال فلا بُدّ من حملها على معنى يوافق هذه الترجمة، فيكون الآب والابن والروح القدس (على اتفاق) أي أن الابن والروح القدس مطيعون لله تعالى كما يقول المسلمون عن الملائكة ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1] وعن ملائكة النار أنهم ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2].

فيما ترجمها القمص قزمان البراموسي كما يلي: **وثلاثة يشهدون في الأرض: الروح (القدس) والماء والدم، والثلاثة (شخصٌ) واحد.**

فجعلهم شخصاً واحداً، وأضاف توضيحاً للروح بجعلها الروح القدس، فصار الروح القدس والماء والدم (شخصاً) واحداً بحسب ترجمته!

وقد ذهب مفسرّ الإنجيل وليم ماكدونالد إلى حملها على المساواة في القدرة، وفي كل خصائص الألوهية الأخرى، فقال: والآن، عاد المسيح يعرض تصريحاً آخر يؤكد فيه مساواته لله: «أنا والآب واحد». والمقصود هنا، على الأرجح، هو أن **المسيح والآب واحد في القدرة**. فالرب يسوع كان لتوّه قد تحدّث عن القدرة الحافظة لخراف المسيح. لذا، أضاف قائلاً إن قدرته تساوي قدرة الله الآب. وبالطبع، **هذا يصحّ أيضاً على جميع خصائص الألوهية الأخرى. ذلك لأن الرب يسوع المسيح هو الله، بكل ما في الكلمة من معنى؛ وهو مساوٍ له من جميع الوجوه.**

وقد خفي على ماكدونالد أن الحمل على الوحدة الحقيقية هنا متعذّرٌ تماماً، إذ يلزم من كون عيسى هو الله ما ينافي التوحيد الذي دلّ عليه الكتاب المقدس كما

---

(١) الأنبياء٢٧.

(٢) التحريم٦.

في الفصل السابق، ويلزم منه خلافُ ما يلتزم به النصارى من أن الآب غير الابن، فقوله أنّ عيسى هو الله بكل ما في الكلمة من معنى وهو مساوٍ له من جميع الوجوه مخالفٌ لما يذهب اليه النصارى من الفرق بين الآب والابن.

فضلاً عن كل ذلك، فإن التعامل مع نصّ الإنجيل بهذه الحرفية يوصلنا إلى القول بأن المؤمنين جميعاً هم الله، ففي إنجيل يوحنا عن نبيّ الله عيسى عليه السلام:

«وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، **لِيَكُونَ الجَمِيعُ وَاحِداً**، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، **لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا**، لِيُؤْمِنَ العَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ المَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، **لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ**.

أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ العَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي»[1].

فإنّه دلّ على طلب عيسى أن يكون الجميع واحداً، وواحداً (فينا)، و(**لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ**)، فإما أن تُحمَلَ على الوحدة بين المؤمنين وبين الله تعالى وعيسى فيكون الجميع إلهاً واحداً! وإما أن تحمل على الوحدة الحقيقية بين المؤمنين فيكون كلّ المؤمنين واحداً!

والوجدان يخالف هذين الأمرين، فليس الله وعيسى والمؤمنون إلهاً واحداً، ولا يمكن أن يصيروا كذلك ولو بعد استجابة طلب عيسى، وليس المؤمنون واحداً حقيقة، فلا بدّ من حمل العبارة على المجاز، بمعنى شدة قربهم من بعضهم

(١) يوحنا١٧: ٢٠-٢٣.

البعض.

وعند حمل الوحدة هنا على المجاز يكون حملها في (أنا والآب واحد) أولى وأشدّ وآكد.

ولهذا نظائر أخرى في الكتاب المقدس، فإن شئتَ قُلتَ أنها كالوحدة بين الرجل والمرأة، والتي أشرنا إليها في الفصل الأول، ووردت في العهدين: ففي سفر التكوين في قصّة خلق آدم وحواء: فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ». لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ **وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا**[1].

وفي إنجيل متى: وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، **وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ**. فَالَّذِي جَمَعَهُ الله لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ[2].

ومن الواضح أن ليس المراد هو كونهما جسداً واحداً حقيقيةً فهذا يخالف الوجدان، بل المراد منه شدّة القرب بينهما، مع الحفاظ على المباينة التامة بينهما، وخضوع أحدهما للآخر، ففي رسائل بطرس: **كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ**[3]. فلا تُنَافي الوحدة المجازية بين الرجل والمرأة المباينةَ الحقيقية بينهما وخضوع المرأة لزوجها.

وكذلك يراد من كون الخالق وعيسى واحداً، فَمَن أقرَبُ لله تعالى من أنبيائه

(١) التكوين٢: ٢٣و٢٤.

(٢) متى١٩: ٥-٦.

(٣) بطرس الأولى٣: ١.

ورسله؟ ومن أشد طاعة له وامتثالاً لأوامره منهم؟

فلا تدلّ هذه النصوص على التثليث بوجه من الوجوه.

٢. التعميد بالثلاثة

ذُكِرَ التعميد في الإنجيل في كلام يسوع مع الأحد عشر تلميذاً ضمن إنجيل متى: فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ **وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ**[1].

يقول وليام ماكدونالد في شرحه: وتأتي الكلمة «اسم» في الآية ١٩ في صيغة المفرد. فالاسم والجوهر واحد مع أنّ الأقانيم ثلاثة: الآب والابن والروح القدس.

ويقول القس يوسف قسطة: لاحظوا أنه لم يقل "عمّدوهم بأسماء الآب والابن والروح القدس"، بل "عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". **ولفظة "اسم" هي في المفرد، مما يدل على أن الثالوث هو إله واحد**[2].

المناقشة فيه

ويلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أن هذه العبارة وإن وردت في معظم النسخ المتداولة من الإنجيل، إلا أن هناك اختلافاً في أصل وجود هذه الآية، حيث ينقل القس منسّى عن

(١) متى٢٨: ١٨و١٩.

(٢) هل الله واحد أم ثلاثة؟ الفصل الخامس.

العلامة أوجين دي بليسي قوله:

في إنجيل متى (ص٢٨: ١٩) أنّ مخلصنا قال لتلاميذه: اذهبوا وتَلمِذُوا جميع الأمم وعمِّدوهم (باسم الآب والابن والروح القدس) **فهذه الآية لم يروها أوسابيوس**. ولكن هذا ليس سبباً لإنكارها في حين أن جميع النُّسخ الأخرى والتّرجمات قد ذكرتها(١).

ثانياً: أنّه لا دلالة في ذكر لفظ (اسم) مرة على أن الثلاثة الآب والابن والروح القدس واحدٌ، فليس هناك قاعدة لغوية تدلّ على ذلك، ولا فهمٌ عرفي يرشد إليه.

ولو كان الأمر كذلك، لما صح أن نقول: اذكر اسم أبيك وعمّك وجدّك، ولكان هذا القول خطأً فادحاً لدلالته على أنّ الأب والعم والجد واحدٌ! ولا يتوهّم متوهمٌ مثل هذا القول، فان العطف بالواو كافٍ في عدم الحاجة لتكرار لفظ (اسم) مجدداً، حيث أنها بمثابة قولنا: اذكر اسم أبيك، واسم عمّك، واسم جدّك، وليس هناك ما يلزم بالقول: اذكر أسماء أبيك وعمّك وجدّك.

وفي الكتاب المقدّس نفسه ما يؤكد ذلك، ويبطل الاستدلال بهذه الآية تماماً من جهتين:

الجهة الأولى: أنّ الكتاب المقدس ذكر آلهة متعددة ولم يذكر (الاسم) بالجمع، فقال: **الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى**(٢)، وقال: **ثُمَّ تَدْعُونَ بِاسْمِ آلِهَتِكُمْ**

(١) القسّ منسَّى يوحنا في شمس البِر ص٩٤-٩٦.

(٢) التثنية١٨: ٢٠.

وَأَنَا أَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ. **وَالإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ** بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ[١]، فلو كان الأمر كما يقولون للزم أن تكون آلهتهم كلّها إلهاً واحداً، لأنّه لم يقل: بأسماء آلهتكم، بل قال: باسم آلهتكم! بل يلزم أن تكون كل الآلهة الأخرى إلهاً واحداً، فإنه قال: باسم آلهة أخرى، ولم يقل: بأسماء آلهة أخرى.

الجهة الثانية: أنّ الكتاب المقدّس كرّر الاسم ولم يكتف بالعطف لحذفه، وكان الخطاب مع ربٍّ وإلهٍ واحد، ففي إنجيل متى: كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ اليَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ **بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا** قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟[٢]. فيلزم على قولهم (من لزوم التعدُّد عند تعدد الاسم) أن يكون من تنبأؤوا باسمه مختلفاً عمن أخرجوا الشياطين باسمه، وهو باطلٌ جزماً، فالمخاطَبُ هو الله وحده.

ثالثاً: أنّ الآيات بنفسها تُثبتُ افتقار عيسى عليه السلام وحاجته لله تعالى، فكيف يكون واحداً مع الله؟!

فالآية الأولى تذكر قول عيسى عليه السلام: **دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ**، فتُثبتُ أن ما عند عيسى من سلطان قد (دُفع) إليه وليس سلطاناً ذاتياً، أي أن القدرة التي عنده قد أُعطِيَت له، والإله لا يأخذ قدرته من أحد إنما تكون قدرته ذاتية، وإلا كان محتاجاً وكان القادرُ هو الإله الذي أقدره.

بهذه الوجوه يتبين عدم دلالة هذا النص على الثالوث بوجه.

---

(١) الملوك الأول١٨: ٢٤.

(٢) متى٧: ٢٢.

٣. روح الله مثل حمامة

ذُكرت معمودية عيسى عليه السلام في غيرِ إنجيلٍ، أوّلها متّى حيث ورد فيه: فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ المَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، **فَرَأَى رُوحَ الله نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ** قَائِلاً: « هذَا هُوَ ابْنِي الحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[1].

وفي لوقا: **وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ القُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ** قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ»[2].

وعبّر القس لبيب ميخائيل عن هذه الآيات بقوله: **هذا إعلانٌ جليلٌ تجلى فيه الثالوث المقدس بأجلى بيان**[3].

ومن كلمات شرّاح الإنجيل ما ذكره وليم ماكدونالد حول آيات متّى: **حقاً كانت المناسبة مهوبة، إذ كان الثالوث الأقدس متجلياً بكل أقانيمه.** فالابن الحبيب كان هناك، والروح القدس كان موجوداً في شكل حمامة، وصوت الآب كان يُسمع من السماء معلنًا بركته على يسوع.

وما ذكره بنيامين بنكرتن حول نفس الآيات: أن تثليث الأقانيم الإلهية لم يعلن إعلاناً كاملاً واضحاً قبل معمودية ربنا يسوع المسيح. لأننا **نرى هنا، الآب، والابن، والروح القدس؛ مذكورين معاً، ومنتسبين بعضهم لبعض**، ولكل منهم عمل. كان الابن على الأرض، الله ظاهراً في الجسد. والآب يشهد له بصوت

---

(١) متى٣: ١٦و١٧، وقريب منه ما في مرقس١: ٩-١١.

(٢) لوقا٣: ٢٢.

(٣) حقائق الكتاب الكبرى ص٦.

مسموع من السماء، وروح الله نازلاً بهيئة جسمية ليستقرّ عليه.. نقدرُ أن نقول أنّ **أول مرة أعلن الله فيها نفسه إعلانًا تامًا كانت هذه المرة التي أعلن فيها ذاته كالمثلث الأقانيم**. لقد أعلن الله نفسه قبل ذلك من حيث الوحدة بالمباينة مع الآلهة الكاذبة الكثيرة. **أما الثالوث، الكائن فلم يكن ليُعرَفَ إلا بحضور الابن، وإذا أعلن الله لنا ثالوثه الأقدس في الكتاب المقدس، وهو جوهر المعتقد المسيحي. فنحن نقبله بالإيمان، لا بالعقل ولا نبحث فيه.**

وذكر في تفسيره لآيات مرقس: **فالإعلان هنا واضحٌ كل الوضوح لأن الأقانيم الثلاثة ظهرت معاً**، أما الابن فبدا بصورة إنسان والروح القدس بمظهر حمامة وصوت الآب اعترف بيسوع ابناً قد سُرَّ به.

المناقشة فيه

يلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أنه نوعُ إسقاطٍ لعقيدةٍ مُسبَقةٍ على نصٍّ ليس فيه أي دلالة على الثالوث.

فإنّ ذِكرَ الصوت من السماء والروح النازلة على هيئة حمامة وعيسى عليه السلام في نصٍّ واحد لا يتضمن أي دلالة لغوية ولا عرفية ولا عقلية على الثالوث! وقد تقدّم في الباب السابق مناقشة من استدلّ بذكر ما يشبه هذا من التوراة على الثالوث وتبيّن بطلانه.

ثانياً: أن في التوراة نصّاً يعتقد النصارى أنه يشير إلى هذه الواقعة أو معناها، حيث ورد في أشعياء ما يشير إلى نزول الروح القدس، ونصّه هو: **هُوَذَا عَبْدِي**

الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الحَقَّ لِلأُمَمِ.. هكَذَا يَقُولُ الله الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا[1].

وقد فسّرها شرّاح الإنجيل بالمسيح، فقال القمص أنطونيوس فكري: **هوذا عبدي: فالمسيحُ أخذَ شكلَ العبد** وغسل الأقدام.

وقال ناشد حنا: في هذا الأصحاح يحوّل الوحي أنظارنا.. إلى **عبد الرب الكامل فتاه الذي سُرَّت به نفسه،** ذاك الذي أخذ صورةَ عبدٍ وهو الذي لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه وإذ صار في شبه الناس كان عبداً مطيعاً لتنفيذ إرادة الله في حياته وموته له كل المجد.

وهذه الأوصاف أوصاف المسيح عندهم، والنصُّ التوراتي صريحٌ في أنّ **المسيح عبد الله لا أنّه الله!** فكيف يصبح هذا النص دليلاً على الثالوث؟!

لا يقال: إنه عبدٌ من جهة طبيعته الإنسانية، وربٌّ من جهة طبيعته الإلهية.

لأنّنا نقول: إنّ النصوص الكتابية خاليةٌ من مثل هذا المعنى، بل معارضةٌ له كما تقدّم.

وقد استُدِلَّ للثالوث فضلاً عما تقدّم بذكر بعض الألفاظ ثلاث مرات، وأمثال ذلك، مما لا يرى المتأملُ فيها أيّ دلالة على أقانيم ثلاثةٍ لإله واحد، غاية الأمر أنه قد ذكر فيها الله والمسيح والروح القدس، ومجرّدُ ذكرها في نصٍّ واحدٍ ظاهرٍ في التعدد لا يمكن أن يدلّ بوجه على الوحدة والأقانيم.

وقد تمت مناقشة أصل هذه الفكرة في الباب السابق فلتراجع.

---

(١) أشعياء٤٢: ١و٥.

٣. الثالوث في القرآن الكريم

بعدما تقدّم عدم دلالة التوراة والإنجيل على الثالوث، نعرض هنا لعنوانٍ قد يفاجِئ كثيراً من القرّاء، وهو الاستدلال بالقرآن الكريم على الثالوث! فقد بالَغَ بعض علماء النصارى في تخيُّلاتهم، وتوهّموا إمكان إثبات الثالوث من القرآن الكريم! ودليلهم في ذلك قائم على مقدّمتين:

الأولى: أن القرآن الكريم قد أثبت أن **عيسى** عليه السلام **هو كلمة الله**، وكلمة الله لا بدّ أن تكون أزليّة.

الثاني: أن القرآن الكريم قد أثبت الروح لله، والروح لا بدّ أن تكون أزلية.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله **وَكَلِمَتُهُ القَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾[1]، فأثبَتَ أن عيسى كلمة الله، وأثبت لله الروح.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[2].

فيصير الله أزلياً، وكلمته وروحه أزليّتان، فيثبت الثالوث: الآب والابن والروح القدس[3].

---

(١) النساء١٧١.

(٢) آل عمران٤٥.

(٣) يُراجَع كتاب: الله واحد في الثالوث الأقدس ص٤، يقول القمص زكريا بطرس: ويذكر القرآن ثالوث الله الواحد تماماً كما تؤمن به المسيحيّة!.. وقد تأكّدت شهادة القرآن لعقيدة الثالوث! ويراجع كتاب: المسيحية في الإسلام ص٢٧ للقمص إبراهيم لوقا.

المناقشة فيه: كلمة الله وروحه

لقد أثبتت الآيات المباركة لعيسى عليه السلام صفتان: الأولى أنه كلمة الله، أو كلمةٌ من الله، والثانية أنه روح الله أو روحٌ من الله، وهي أجنبيةٌ عن إثبات الثالوث مهما كان معنى الكلمة والروح، لأن الوصفان معاً هما لعيسى بن مريم عليه السلام، أي أنّهما لشخص واحد.

نعم أثبتت آياتٌ أخرى إرسال الله الروحَ القدس لمريم عليها السلام وتمثُّله بشراً: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1]، والنفخ فيها عليها السلام من روح الله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾[2]، فضلاً عن تأييد الله لعيسى عليه السلام بالروح القدس: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[3].

فكان ينبغي على هؤلاء الاستدلال بالآيات الأولى لاثبات كونه كلمة الله حصراً، والاستدلال بما ذكرنا من آيات حول الروح القدس لإثبات الأقنوم الثالث وهو (الروح).

قال القديس يوحنا الدمشقي: **أنتم القائلون بأن المسيح هو كلمة الله وروحه، لمَ تهينوننا (كمشركين)؟ فالكلمة والروح هما غير منفصلين عمّن يكونان فيه بالطبيعة**. وإذا ما كان (المسيح) في الله من ثمّ على أنه كلمة الله، **فيكون هو أيضاً**

(١) مريم١٧.

(٢) الأنبياء٩١.

(٣) البقرة٨٧.

الله بالتأكيد. أما إذا كان خارج الله فيكون الله بدون كلمة وبدون روح حسب رأيكم، وهكذا تشوّهون الله في تحاشيكم إشراك أحدٍ بالله[1].

والدمشقيُّ هنا وفي سائر كلماته[2] يعرض احتمالين في الكلمة والروح: فإمّا أن يكونا مخلوقين أو غير مخلوقين، متوهِّماً أنّه بهذا يُحرج المسلمين، فإن قالوا أنّها مخلوقة لزم أن يكون الله قبل خلقها بلا كلمة ولا روح، ثم بعدما خلقهما صار الله مع كلمةٍ وروحٍ، وبهذا يثبت النقصُ والتغيُّر في الله تعالى. فلا بدّ من القول بأن الكلمة والروح غير مخلوقتان وأنّهما أزليّتان، وهو معتقد النصارى.

وهو ما يخلص إليه الدمشقي في كتابٍ آخر حيث يقول: إن الله الواحد الأحد ليس بخالٍ من كلمة. وبما أن الله له كلمته فهي ليست بخالية من أقنوم. **أما وجودُ الكلمة فهو لا بدء له ولا نهاية. فلم يكن زمنٌ إذاً حيث لم يكن الله الكلمة**. وإن الله له كلمته مولودةٌ منه دائماً[3].

والجواب على الدمشقي نقضيٌّ وحَليٌّ:

أما **الجواب النقضي**: فبما أثبته الكتاب المقدّس لله تعالى، حينما جعل له تعالى **أذناً وعينين ويداً وإصبعاً وأنفاً وفماً ورجلين** وغير ذلك من الأعضاء البشرية.

كما أثبت له **التذكُّر وحصول العلم والندم والنوم والغفوة والجهالة والضعف** وغير ذلك من الصفات والأحوال النفسيّة[4].

---

(١) الهرطقة المئة ص٥٤.

(٢) الهرطقة المئة ص٧٠-٧١.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٦٢.

(٤) كما في الفصل الأول فليراجع.

فنقول للنصارى: هل عينُ الله ويدُه وإصبعه وسائر (أعضائه) أزلية أم مخلوقة؟

فإن قالوا أنّها أزلية، تعدّد الأزلي بعددها! أو تركّب منها، والله تعالى منزّه عن ذلك.

وإن قالوا أنّها مخلوقة، قلنا: هل كان الله بلا يد وعين ثم خلق لنفسه يداً وعيناً؟! فقد تغيّر الله تعالى وكان ناقصاً محتاجاً لما خلق!

أما **الجواب الحَلّي**: فهو أن النصارى مثلنا لا يقولون بأن لله أعضاء بشرية، إنما يقولون أن كل ما ذكر من صفاتٍ هي استعاراتٌ وتشبيهاتٌ نابضةٌ بالحياة، وأنّ الله منزّه عن كل تشبُّه بخلقه[1]،فليس لله أذنٌ حقيقةً كما نفهم الأذن، ولا عينٌ ولا يدٌ، وهو منزّه عن ذلك، كما أنه لا يغضب ولا ينام ولا يندم ولا يتّصف بصفاتٍ نفسيّة كما يتصف بها الخلق، وكلّ هذه معانٍ مجازية أشرنا لمعناها في محله.

وكلمة الله وروحه حالهما حال هذه الصفات، فكما أن ليس لله أعضاء بشرية ولا حالات نفسيّة مثلنا، ليس لله روحٌ ولا كلمة أزليّة، إنّما تُنسَبُ الكلمةُ والروحُ لله تعالى كما يُنسَب له الرسول: رسول الله، والكتاب: كتاب الله، والبيت: بيت الله، وأمثال ذلك، وقد بيّن الكتاب المقدّس والقرآن الكريم معاً معاني (الكلمة).

فقد أُطلِقَت الكلمة في الكتاب المقدس على عيسى عليه السلام وعلى كلام الله وتعاليمه، كما في رسالة يعقوب: وَلكِنْ **كُونُوا عَامِلِينَ بِالكَلِمَةِ،** لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ

(١) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب، وفصل (التوحيد وصفات الله) من كتابنا: الثالوث صليب العقل.

خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ(١).

وقد عبّر الإنجيل عن تعاليم الله بالكلمة: وَأَمَّا **كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**». **وَهذِهِ هِيَ الكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا**(٢). وفيه: **الوَصِيَّةُ القَدِيمَةُ هِيَ الكَلِمَةُ** الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ البَدْءِ(٣).

وفي إنجيل مرقس ما يُبَيِّنُ استعمال الكلمة بمعنى مجازي، حيث تحدّث عن (زراعة الكلمة): اَلزَّارِعُ يَزْرَعُ الكَلِمَةَ(٤)، وفيه: وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الأَشْيَاءِ تَدْخُلُ **وَتَخْنُقُ الكَلِمَةَ** فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ(٥). فلا الكلمةُ تُزرعُ حقيقة ولا هي تُخنق، إنها معانٍ مجازيّة بلا شك ولا ريب.

وأمّا في القرآن الكريم فكلام الله هو تعاليمُه وأمرُه وكُتُبُه وأمثال ذلك: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾(٦)، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا﴾(٨).

---

(١) يعقوب١: ٢٢.

(٢) بطرس الأولى١: ٢٥.

(٣) يوحنا الأولى٢: ٧.

(٤) مرقس٤: ١٤.

(٥) مرقس٤: ١٩.

(٦) الفتح١٥.

(٧) البقرة٧٥.

(٨) التوبة٤٠.

أمّا تسميته عليه السلام بالكلمة، فلها وجوه محتملة، نقل بعضها العلامة المجلسي فقال: **أحدها: أنه إنما سمي بذلك لأنه حصل بكلمةٍ من الله من غير والد،** و هو قوله﴿كُنْ﴾ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، **والثاني:** أنه سمي بذلك لأن الله تعالى بشّر به في الكتب السالفة، أو بُشِّرَت بها مريم على لسان الملائكة، **الثالث: أنه يهتدي به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه**[1].

وقد قال الإمام الرضا عليه السلام لأبي قرّة المحدث: التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالفُرْقَانُ وَ**كُلُّ كِتَابٍ أُنْزِلَ كَانَ كَلَامَ الله** أَنْزَلَهُ لِلْعَالَمِينَ نُوراً وَهُدًى، وَ**هِيَ كُلُّهَا مُحْدَثَةٌ وَهِيَ غَيْرُ الله**، حَيْثُ يَقُولُ ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾، وَقَالَ ﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، وَ**الله أَحْدَثَ الكُتُبَ كُلَّهَا الَّتِي أَنْزَلَهَا**.

فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَهَلْ تَفْنَى؟

فَقَالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: **أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَا سِوَى الله فَانٍ**، وَمَا سِوَى الله فِعْلُ الله، وَالتَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالفُرْقَانُ فِعْلُ الله..

التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ.. كُلُّهَا مُحْدَثَةٌ مَرْبُوبَةٌ أَحْدَثَهَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ هُدًى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ مَعَهُ فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّ الله لَيْسَ بِأَوَّلِ قَدِيمٍ وَلَا وَاحِدٍ، وَأَنَّ الكَلَامَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَلَيْسَ لَهُ بَدْءٌ وَلَيْسَ بِإِلَهٍ[2].

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج١٠، ص: ٢٣٧.

(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج٢، ص: ٤٠٥-٤٠٦.

وأمّا **الروح**، فهي روحٌ مخلوقة كالروح المخلوقة في آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

وقد بيّن الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما يرفع الشبهة فيه لذوي البصائر بقوله حول الآية المتقدمة عن آدم: **هَذِهِ رُوحٌ مَخْلُوقَةٌ، وَالرُّوحُ الَّتِي فِي عِيسَى مَخْلُوقَة**[2].

وقال حول آية عيسى عليه السلام ﴿وَ رُوحٌ مِنْه﴾: **هِيَ رُوحُ الله مَخْلُوقَةٌ خَلَقَهَا الله فِي آدَمَ وَعِيسَى**[3].

وقد روينا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كَيْفَ هَذَا النَّفْخُ؟

فَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنَ الرِّيحِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَنْ لَفْظَةِ الرِّيحِ لِأَنَّ الأَرْوَاحَ مُجَانِسَةٌ لِلرِّيحِ.

وَ إِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الأَرْوَاحِ، كَمَا قَالَ لِبَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ: بَيْتِي، وَلِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خَلِيلِي، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

وَ كُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مُحْدَثٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ[4].

ونقل العلامة المجلسي في وجه تسمية الروح أقوالاً ستة: **الأول** أنه إنما سماه

---

(١) الحجر ٢٨-٢٩.

(٢) الكافي ج١ ص١٣٣.

(٣) الكافي ج١ ص١٣٣.

(٤) الكافي ج١ ص١٣٣-١٣٤.

روحاً لأنه **حدث عن نفخة جبرئيل** في درع مريم بأمر الله تعالى، وإنما **نسبه إليه لأنه كان بأمره**، وقيل: إنما أضافه إليه **تفخيماً لشأنه** كما قال: الصوم لي وأنا أجزي به، وقد يسمى النفخ روحاً، والثاني: أن المراد به **يحيي به الناس في دينهم كما يحيون بالأرواح**، والثالث: أن معناه **إنسانٌ أحياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع ونطفة كما جرت العادة بذلك**، الرابع: أن معناه **ورحمة منه**، والخامس: أن معناه **روح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم** فدخلت في فيها فصيرها الله سبحانه عيسى، السادس: **سماه روحاً لأنه كان يحيي الموتى كما أن الروح يصير سبباً للحياة**[1].

فليس في آيات القرآن الكريم ما يثبت كلمةً ولا روحاً أزلية، الأزليُّ هو الله وحده لا شريك له، وما ثبت من أوصافٍ في الكتب المقدسة فقد تم توضيحها فيما تقدم وفي الفصل الأول.

حُكمُ القرآن الكريم

فضلاً عن كلّ هذا، فإنّ القرآن الكريم صريحٌ في حكمه على من قال بألوهيّة عيسى، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[2]، ثم يُبَرِّئ الله تعالى نبيّه من هذا المعتقد الفاسد في نفس الآية بقوله: ﴿**وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ** وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ج١٠ ص٢٣٧.

(٢) المائدة٧٢.

ثم يعرّج على عقيدة الثالوث التي يؤمن بها النصارى: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ** وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1].

وفي نص آخر يوجه الخطاب لأهل الكتاب: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى الله إِلاَّ الحَقِّ** إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ القَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِالله وَرُسُلِهِ **وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا الله إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِالله وَكِيلاً﴾[2].

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله **وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله** ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ **يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3].

والمُضَاهَاةُ والمضاهأة: المشاكلة[4]، أو مشاكلة الشيء الشيء[5]، أو المشابهة:

---

(١) المائدة٧٣، و(مِن) في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ لبيان الموصول، فكلُّ من قال بأن الله ثالث ثلاثة قد كفر، ولا ينقسم هؤلاء إلى كافر وغير كافر، وقد يُراد من ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين أصرّوا على الكفر ولم يتوبوا.

(٢) النساء١٧١.

(٣) التوبة٣٠.

(٤) الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية ج١ ص٦٠.

(٥) كتاب العين ج٤ ص٧٠.

يقال: ضَاهَيْتُهُ: إذا فعلتُ مثل فعله[١]، فقولُ اليهود والنصارى مثل قول الذين كفروا من قبل.

ويُناسِبُ التعبير في الآية الشريفة ب﴿قَاتَلَهُمُ الله﴾ لمكان الكفر، وقد ورد في الحديث الشريف عن سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: لَمَّا زَحَفَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَقَالَ: **اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَداً، وَعَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ**، وَعَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، **وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ**[٢].

وخلاصة القول: أن القرآن الكريم **حكم بالكفر على القائل بالثالوث**، وذلك بعناوين عدّة:

أوّلها: كفر القائل بأن الله ثالث ثلاثة.

وثانيها: كفر القائل بأن المسيح ابن الله، بل كل قائل بأن لله ابناً وولداً.

وثالثها: كفر القائل بأن الله هو المسيح بن مريم.

وأمّا كونُه عليه السلام كلمةَ الله وروحَه فهو لا يدلّ على أزليّته، بل كلمة الله وروحه هو معنى مجازيّ لامتناع نسبة الكلام لله تعالى ككلام المخلوقات، والروح كالروح التي بثّها فيهم، وإنّما يرادُ منه بعضَ مخلوقاته تعالى كما تقدّم، كما أريد بعين الله ووجهه ويده وأمثال ذلك.

---

(١) مجمع البحرين ج١ ص٢٧٣.

(٢) مثير الأحزان ص٥٨.

ملاحظات وإشكالات

إذا تبيّن ذلك فإن ههنا إشكالات عدة على ما ذهبنا إليه، هذا بيانها وجوابها:

١. الكلمة شخص إلهي: ابن عربي

يقول الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب حول آية: ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾: **ليس المقصود بالكلمة هنا صوتاً لفظياً إنما شخصاً إلهياً**، وقد أوضح الشيخ محي الدين العربي هذه الحقيقة فقال: الكلمة هي الله متجلياً.. وهي عين الذات الإلهية لا غيرها. وقال أيضاً: الكلمة هي اللاهوت[1].

فهو بهذا يفسّر الكلمة بأنّها (شخصٌ إلهي)، ويستشهد بكلمات الشيخ محيي الدين ابن عربي وأن الكلمة هي الله تعالى.

المناقشة فيه

يلاحظ على كلماته:

أولاً: أنّه لم يُقِم دليلاً على أن المراد من الكلمة هو (شخصٌ إلهي)، وعليه فالكلام دعوى تفتقد لأي دليلٍ يدل عليها.

ثانياً: أنه قد استشهد بكلمات ابن عربي، وذكر لذلك مصدراً هو (نصوص الحكم ج٢ ص٣٥، وص١٣٤)، ويُفترض أنه يقصد كتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، وهو خالٍ من هذه العبارة بعد البحث والمراجعة.

ولا ينبغي أن يكون مراده هو (نصوص الحكم) فعلاً فهو كتاب يُسمّى

(١) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص١٧٢-١٧٣.

(نصوص الحكم بر[1] فصوص الحكم) ألّفه الشيخ حسن زاده آملي حول كتابٍ آخر يدعى (فصوص الحكم) للفارابي، وهو خالٍ من هذه العبارة على كل حال. فلم تثبت نسبة هذا الكلام لابن عربي.

ثالثاً: أن في كتب ابن عربي ما يشير إلى خلاف هذا النقل ولو لم يكن صريحاً في ذلك، منها قوله: فنفخ فيها في ذلك الحين عيسى: **فكان جبريل ناقلًا كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لأمته**، وهو قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ القاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.. فخرج عيسى يُحْيِي الموتى لأنه روحٌ إلهي، و كان الإحياء لله والنفخ لعيسى، كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله[2].

فجعل كلمةَ الله منقولةً من جبرائيل كما ينقل الرسولُ كلام الله لأمته، وجعل إحياءَ الموتى من الله وإن كان النفخُ من عيسى، فنسب لله صفات الربوبية ولعيسى صفات المخلوقين.

رابعاً: حتى على فرض صحة هذه النسبة، فان ابن عربي ليس حجة على المسلمين جميعاً، إذ أنه نحى منحىً صوفياً يراه كثيرٌ من المسلمين منحرِفاً عن طريق الحقّ، وقد بيّنا انحراف ابن عربي وخروجه عن الدين أثناء مناقشة بحث وحدة الوجود والموجود في كتاب (عرفان آل محمد عليهم السلام) فليراجع.

فلا يصح الاحتجاج علينا بابن عربيٍّ ونحن نراه منحرفاً عن الدين خارجاً عن ملة المسلمين.

---

(١) بَر: لفظٌ فارسيٌّ بمعنى: على.

(٢) فصوص الحكم ج١ ص١٣٩.

٢. كلمة الله هو الله وابن الله

يقول عوض سمعان: **تدل تسميته ب(كلمة الله) على أنه هو الذي يُعلن الله، وبما أنه لا يعلن الله إلا الله، يكون كلمة الله هو (الله)، أو (الله ظاهراً)**[١].

فيما يقول الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب عند حديثه عن موقف الاسلام من المسيح: **من يكون أباً لمن وصفه القرآن أنه كلمة الله وروح الله إلا الله ذاته؟**[٢]. ويقول: **من هو أبوه؟ وابن من هو؟ انه ابن الله، ولا أحد يستطيع أن يقول غير هذا**[٣].

فقال الأول: بما أنّه كلمة الله أي المعلِن عن الله، فيكون هو الله**!**

وقال الثاني: بما أنه كلمة الله وروحه فهو ابن الله**!**

المناقشة فيه

وهذا الاستدلال أقرب إلى الطُرفة، فإنه عند الأول يقوم على مقدّمتين:

الأولى: أن كلمة الله هي التي تُعلِنُ عنه.

الثانية: أنه لا يُعلِنُ الله إلا الله.

النتيجة: كلمة الله هو الله**!**

ويلاحظ أن **المقدَّمة الثانية فاسدةٌ**، فإنه لا يعلن عن الله إلا الله أو من اختاره الله، كملائكته وأنبيائه ورسله، فقد نسب الكتاب المقدّس إلى موسى عليه السلام

(١) الله في المسيحية ص٢٦٤.

(٢) أسئلة حول ألوهية المسيح – الكتاب الثالث ج١ ص١٧١.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح – الكتاب الثالث ج١ ص١٧٢.

الإعلان عن الله: فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ لِيُعْلَنَ لَهُمْ عَنْ فَمِ الرَّبِّ[1].

وقد استعمل الإنجيل لفظ الإعلان في الإعلانات البشرية، فينسب بولس في رسائله الإعلان للناس: فَمَا هُوَ إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ؟ **مَتَى اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ** لَهُ مَزْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، **لَهُ إِعْلاَنٌ**، لَهُ تَرْجَمَةٌ[2]، ثم يُثبتُ تعدُّدَ إعلانات الرب: إِنَّهُ لاَ يُوافِقُنِي أَنْ أَفْتَخِرَ. فَإِنِّي آتِي إِلَى **مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ**[3]، فثبتَ أن إعلاناتٍ متعددةٍ منذ زمن موسى عليه السلام إلى زمن عيسى عليه السلام، وإن كان الله واحداً بحسب الإنجيل.

أما الاستدلال عند الثاني فيقوم على مقدّمتين أيضاً:

الأولى: أن عيسى روح الله وكلمته.

الثانية: أن من كان روح الله وكلمته فهو ابن الله.

النتيجة: عيسى هو ابن الله.

ويلاحظ على هذا الاستدلال أمران:

الأول: أنّ **المقدّمة الثانية فاسدة**، فلا دليل على أبوّة الله لكلمته وروحه، فضلاً عن قيام الدليل المتقدم على أن المراد بالكلمة والروح هو معنى مجازيٍّ لتنزُّه الله تعالى عن المشابهة بخلقه وعن أن يكون له روحٌ كروحهم وكلامٌ ككلامهم.

الثاني: أنه على فرض التنزُّل والقول بأنه ابن الله (تعالى الله عن ذلك علواً

(١) اللاويين٢٤: ١٢.

(٢) كورنثوس الأولى١٤: ٢٦.

(٣) كورنثوس الثانية١٢: ١.

كبيراً)، فإن هذا لا يدل (عند من يعتقد بالكتاب المقدس) على ألوهيّته، وسيأتي بحث ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

٣. لا بدّ من روحٍ لكلمة الله

لمّا حاول بعض النصارى الاستدلال بالقرآن الكريم على الثالوث لإثباته الكلمة والروح لله تعالى، ولمّا كان قد ثبت أن عيسى هو الكلمة وهو الروح، فعلى فرض تمامية دليلهم سيكون القديم مُثَنَّى لا مُثَلَّثَاً، لأنّ الكلمةَ والروحَ واحدٌ، بينما يريدون اثبات التمايز بينهما ليثبت التثليث.

لذا ذهب القدّيس يوحنا الدمشقي إلى أنه لا بدّ من أن يكون (للكلمة روحٌ) فقال: **ويجب أيضاً أن يكون للكلمة روحٌ، فإن كلمتنا أيضاً لا تخلو من روح**.. وينبغي الاعتراف اعترافاً تَقيّاً بوجودِ روح الله أيضاً في طبيعته الإلهية البسيطة وغير المركبة. **لئلا يبدو الكلمةُ أنقَصَ من كلمتنا**، وليس من التقوى أن نقول بأن الروح شيءٌ غريبٌ عن الله ومستورَدٌ إليه من خارج، شأنه شأن روحنا نحن المركبين.. وعلى هذا النحو، فبالوحدة في الطبيعة الإلهية يزول ضلال كثرة الآلهة، وبالاعتقاد بالكلمة والروح يزول رأي اليهود. ويبقى ما هو مفيدٌ من كلا المعتقدين: **فمن الفكرة اليهودية وحدة الطبيعة، ومن الفكرة الإغريقية التمييزُ في الأقانيم وحده**[1].

المناقشة فيه

ويلاحظ على كلامه:

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٦٣.

أولاً: أنه يتحدث عن دينٍ مركّب من يهودية وإغريقيّة، دون أيّ دليل لا من العقل ولا من النقل.

ثانياً: أنّه لا وجه للقول بلزوم ثبوت الروح والكلمة من باب قياسها على الإنسان، لأن العقل يأبى كما الكتاب المقدّس قياس المخلوقات بالله أو تشبيه الله بمخلوقاته، وقد تقدّمت النصوص حول نفي التشبيه في الفصل السابق فليراجع.

ثالثاً: أنه يلزم من هذا القول لوازمُ فاسدةٌ باطلة، وإذا فسد اللازم فسد الملزوم، وما يلزم منه هو إثبات النفس والعقل والغضب والفرح والتطور والتبدل والتغيُّر لله تعالى ولكلمة الله، لئلا يبدو الله أو كلمته أنقص من كلمتنا!

بل يلزم أن يكون لله صوتٌ مسموع وأدوات يخرج بها وأمثال ذلك مما يتصف به الإنسان. **وهذا باطلٌ بالاتفاق.**

٤. إشكالية التكفير

ههنا إشكالٌ يطرحه بعض النصارى وبعض من يطيب لهم تسمية المتنوّرين والمتحضّرين، وهو أن **أسلوب التكفير عقيمٌ لا يتناسب وقانون التعايش بين الأديان، بل إن التكفير خاطئ من أساسه**، لأنّه يعني النظر إلى الآخرين بأعيُنِنَا، فيما ينبغي النظر إليهم بأعينهم، فلا يصح القول بأن النصارى كفّارٌ لأنّهم باعتقادهم قائلون بالتوحيد، ويعتقدون أن التثليث هو (التوحيد الجامع) الذي يبيّن حقيقة عقيدة التوحيد. وعليه فلا يصح وصف القائلين بالتثليث بالكفر كما وصفهم القرآن الكريم.

المناقشة فيه

ويلاحظ على هذا الإشكال أمور:

أولاً: أن الكُفر بحسب اللغة هو نقيض الإيمان وضده، ففي كتب اللغة: **الكُفْرُ: نقيض الإيمان**(١)، **سمِّي لأنّه تَغْطِيَةُ الحقّ**(٢).. الكُفْرُ: **ضدُّ الإيمان**(٣)، فعندما يصف المسلمُ النصرانيَ بالكفر إنما يصفه بأنه غير مؤمن، لأن عقيدته لا توافق عقيدة المسلم في الإيمان، **فالمسلم يؤمن بالله الواحد، والنصراني يؤمن بالله الواحد المثلث الأقانيم** أي الأشخاص، فالعقيدة مختلفةٌ، وكلٌ منهم يؤمن بإلهٍ مختلفٍ عمّن يؤمن به الآخر، وكافرٌ بالإله الذي يؤمن به الآخر.

ثانياً: أن النصارى أنفسهم يصفون المخالف لهم بالكفر، فلا معنى لإشكالهم، لأنه يلزم منه أن يكفوا عن وصف كل مخالفٍ لهم في الدين بالكفر، ولو كان كافراً متجاهراً بكفره.

وقد وصف القديس كيرلّس تعاليم نسطوريوس بأنها: **ممقوتة وكفريّة**(٤).

ولا يُعدم المتابع للإرث المسيحي عشرات النصوص المشابهة التي تتضمن تكفيراً لمن لا يعتقد بالديانة المسيحية كلاً أو بعضاً.

---

(١) كتاب العين ج٥ ص٣٥٦، والمحيط في اللغة ج٦ ص٢٥٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص١٩١.

(٣) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ج٢ ص٨٠٧.

(٤) رسائل القديس كيرلس الي نسطور ويوحنا الانطاكي ص٢١.

٥: القرآن لا يذم عقيدة النصارى

وهو على النقيض من الإشكال السابق، وخلاصته أن القرآن الكريم وآيات ذمّ الثالوث إنّما تريد التعريض بعقيدةٍ مختلفةٍ عن عقيدة النصارى، بل يشترك النصارى مع المسلمين في البراءة منها، وهي القول بالآلهة الثلاثة، والحال أن النصارى لا يقولون بآلهة ثلاثة بل يقولون بإلهٍ متعدّد الأقانيم.

وقد صرح بهذا جمعٌ من علماء النصارى، منهم القمص سرجيوس حين قال: **الآيات القرآنية.. لا تنصَبُّ على النصارى**، بل هي كانت مقولة عن **أصحاب البدع** التي ظهرت قبل محمد، أولئك الذين **كانوا يعتقدون بأن الله ثالث ثلاثة**، والذين كانوا يعتقدون بإلهين إله الخير وإله الشر، والذين كانوا يعتقدون أن مريم العذراء أقنوم ثالث مع الأب والابن[1].

وقال: لا، لا يا قوم، **ان التثليث القائم في أذهانكم والذي ندّد به القرآن، واعتبر القائلين به كفاراً ومثواهم النار ليس هو تثليث النصارى القائلين: ان الله واحد مثلث الأقانيم**[2].

ويقول عوض سمعان: يظن كثيرٌ من الناس أن الإسلام ينتقد عقيدة التثليث، ولكن **التثليث الذي ينتقده ليس تثليث المسيحية**.. بل هو تثليث آخر ابتدعه الهراطقة الذين ألّهوا العذراء وأنكروا لاهوت المسيح..

تثليث المسيحية.. لا يراد به أن الله ثالث ثلاثة، بل يراد به أنه هو ذات الثلاثة. وهؤلاء الثلاثة الواحد في الذاتية ليسوا هم المذكورين في القرآن.. ولا

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٨.

(٢) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص١٣.

يوجد مسيحيٌّ واحدٌ يؤمن بالبدعة التي ذكرها القرآن أو يطيق سماعها، لأن **جميع المسيحيين يؤمنون أن لا إله إلا الله، ومن قال غير ذلك فهو في نظرهم مشرك بعيد كل البعد عن الله**[١].

كذلك ذكر القمص إبراهيم لوقا[٢] وغيره.

المناقشة فيه

والجواب على هذا الإشكال من جهتين:

الجهة الأولى: أنّه تفسيرٌ بما لا يرضى به صاحبه، وبما يخالف الظاهر دون أي شاهد أو قرينة.

أما كونه بما لا يرضى به صاحبه، فلصراحة موقف القرآن الكريم بالحكم على النصارى بالكفر كما تقدّم، كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[٣]، ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**﴾[٤].

والآية الأولى تشمل النصارى لقولهم بأنّ المسيح هو الله، والآية الثانية تشملهم لأنهم قائلون بأن (الله ثالث ثلاثة) لأنّه عندهم ثلاثة أقانيم، والأقانيم إما تشخُّصاتٌ أو صفاتٌ أو أشخاصٌ، وكلّه تعدُّدٌ في الله، فيكون ثالث ثلاثة.

---

(١) الله في المسيحية ص٢٥٤. ويقول ص٢٥٦: يتضح لنا أن القرآن لا ينتقد عقيدة المسيحيين، بل بدع المريميين وغيرهم من الوثنيين، ومما يثبت صحة ذلك أنه يصف المسيحيين بكثير من الصفات الطيبة التي تدل على إيمانهم بالله الواحد.

(٢) المسيحية في الإسلام ص٢٢ و٢٣.

(٣) المائدة٧٢.

(٤) المائدة٧٣.

الجهة الثانية: أن كثيراً من علماء النصارى أقرّوا بموقف الإسلام من الثالوث والعقيدة المسيحية، **وأقرّوا بإنكار الإسلام دعوة التثليث**، منذ أيام الإسلام الأولى.

ومن هؤلاء أحد آباء الكنيسة الكبار المعاصر للنبي محمد ﷺ، الاب صفرونيوس بطريرك القدس، فإن ولادة النبي ﷺ كانت في عام الفيل، وهو يوافق بحسب التاريخ الميلادي سنة ٥٧٠-٥٧١ م. أي بعد حوالي ١٠ أو ٢٠ سنة من ولادة الاب صفرونيوس[1]، وكانت بعثة النبي ﷺ في سنة ٦١٠ للميلاد، أي قبل وفاة صفرونيوس ب٢٨ عاماً، واستشهد ﷺ سنة ٦٣٢ للميلاد.. أي قبل وفاة الاب ب٦ أو ٧ سنوات..

ما يعطي لكتاباته أهميةً كبيرةً كونها قد كُتبت في عصر النبي محمد ﷺ، ويظهر من كلماته إشارةٌ إلى بدء انتشار الاسلام في مصر في أيامه حينما كان مقيماً فيها، وتحذيرُه من الدعوة الجديدة للتوحيد حيث يقول: **أما وقد دَخَلَت بلادَ مصر دعوةٌ جديدةٌ للتوحيد، تُنكر الثالوث**، فقد تعيَّن علينا أن نقول لكلّ المؤمنين بالمسيح، إنه لا خلاص لنا بدون تمايُز أقانيم الثالوث. هذه هي دعوة إنجيل ابن الله ربنا يسوع المسيح لنا. **وكل الذين يقبلون التوحيد الجديد، هم ينكرون نعمة وسُكنى الروح القدس، كما يُنكرون تجسُّد إبن الله، وصلبه وقيامته**، فهذه الإعلانات الإلهيّة هي التي أعطت لنا الإيمان بالثالوث القُدّوس.. **فإننا لا نقبل هذا التوحيد** لأنه يُنكر نعمة الخلاص، ويُنكر علينا هبة الحياة الأبدية[2].

---

(١) حيث تختلف المصادر في تاريخ ولادته، فيذكر بعضها أنه كان سنة ٥٥٠ وبعضها ٥٦٠م.

(٢) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٦٧.

وفي كلامه ردٌّ على كافة القساوسة المتأخرين الذين يزعمون أن الإسلام لم يُنكر على النصارى قولهم بالثالوث، بل التزم به أو سكت عنه، أو أنه كان يواجه فرقةً خاصةً منحرفةً تحاربها المسيحية.

فإن قيل: **لعل كلماته ناظرةٌ إلى الدعوة الآريوسية** لا إلى الإسلام، إذ يقول في كلماته: **ودراسة البدعة الأريوسية تُعلِّمنا أن التوحيد غير المثلث لا يحفظ للإنسان صورة الله التي فيه،** لأن الإنسان إذا عاش على الأرض ولم يتشبَّه بخالقه فهو لا ينال إلا وجوداً مُزيَّفاً كاذباً فيه ألوهة كاذبة.. وهكذا يؤدي إنكار الثالوث إلى إنكار كل تعليم عن النعمة[1].

كان الجواب: أن آريوس قد عاش من حوالي سنة ٢٥٠ الى ٣٣٦، أي قبل وفاة صفرونيوس بثلاثة قرون، فلم تكن دعوته حينها دعوةً جديدةً كالدعوة التي يحذر من دخولها مصر، بل كانت قد شارفت على الاندثار، وما كانت هناك دعوةٌ توحيديةٌ جديدةٌ في تلك الأيام إلا دعوة الإسلام.

ثم إن دعوة آريوس لم تدخل مصر، ولو بعد ثلاثة قرون، بل انطلقت من مصر للعالم حيث كان آريوس مستقراً في الإسكندرية.

وقد تبعَ الابَ صفرونيوس في بيان موقف الإسلام من النصرانية القديسُ يوحنا الدمشقيّ، حينما صرّح بأنّ اللاهوت القرآني بتعبيره يرى عيسى مخلوقاً وعبداً لله، حيث يقول: **اللاهوت القرآني.. يقول إنه يوجد إلهٌ واحدٌ خالقٌ لكلّ الأشياء، وإنّه لم يولد ولم يَلِد.** والمسيح بحسب رأيه هو كلمة الله وروحه، بَيدَ أنّه

---

(١) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٦٧.

مخلوقٌ وعبدٌ وُلِدَ دونها زَرعٍ من مريم أختِ موسى وهارون! وهو يقول في الواقع إن كلمة الله وروحه قد دخلا في مريم وولدا يسوع الذي كان نبيّاً وعبداً لله[1].

فهو قد اعترف بأن الإسلام يُنكر عقيدة النصارى، لكن تَبَيّنَ من كلامه جهلُه الهائل بالقرآن الكريم والكتاب المقدس وبالتاريخ، حيث جعل مريم (أخت موسى وهارون) هي أم عيسى! والسبب في ذلك هو أن التوراة ذكر أن (عمران) هو والد موسى وهارون[2]، وأن مريم شقيقتهما[3]، ولمّا كان القرآن الكريم قد ذكر أن السيدة مريم عليها السلام والدة عيسى هي ﴿مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾[4]، وقد وصفها القوم بأنها (أخت هارون): ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * **يَا أُخْتَ هَارُونَ** مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[5]، صارت عنده مريم عليها السلام أمّ عيسى هي أخت موسى وهارون عليهما السلام! مع الفارق الزمني الكبير بين زمن موسى عليه السلام وزمن عيسى وأمّه عليهما السلام.

وَوَحدَةُ اسم الأب مع لفظ (أخت هارون) جعله يضطرب في التاريخ اضطراباً، وقد غفل عن أن هناك أسباباً عدة مُحتملة عند العرب خلف استعمال لفظ (أخت هارون) في مريم عليها السلام، منها: قوله تعالى: ﴿**يا أُخْتَ هارُونَ**﴾ **أي شبيهته في الزهد والصلاح، وكان رجلاً عظيم الذِّكر في زمانه.** وقِيلَ: **كَانَ لِمَرْيَمَ**

(١) الهرطقة المئة ص٥٠.

(٢) الخروج٦: ٢٠.

(٣) الخروج١٥: ٢٠

(٤) التحريم١٢.

(٥) مريم٢٧-٢٨.

أَخٌ يُقَالُ لَهُ هَارُونُ[١].

هذا لو كان كلام القوم على سبيل المدح، أما لو كان على سبيل الاتهام فيُحتَمَلُ إرادتهم: **أَنَّ هَارُونَ كَانَ رَجُلًا فَاسِقاً زَانِياً فَشَبَّهُوهَا بِهِ**[٢].

قال السيد المرتضى: و على قول من قال إنّه كان أخاها يكون معنى قولهم: إنك من أهل بيت الصلاح و السداد؛ لأن أباك لم يكن امرأ سَوء، و لا كانت أمك بَغيّا، و أنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح و العفة، فكيف أتيتِ بما لا يُشبِهُ نَسَبَكِ، و لا يُعرَفُ من مثلك![٣].

هذا مبلغُ الدمشقيّ من العلم، وقد كرَّرَ إقرارَه بموقف الإسلام من النصرانية عددٌ من البطاركة اللاحقين كالبطريرك اغناطيوس الرابع هزيم: بطريرك أنطاكية حين قال:

لقد رأى يوحنا الدمشقي وأتباعُه في الإسلام هرطقة يهودية مسيحية. **أما الإسلام فيعتبر أن مجمع نيقية حرّف الإنجيل إذ جعل المسيح شريكاً في الألوهية.** إنه يعتبر المسيح حقاً (خاتم القداسة) لكنّه يؤكد على أنه ليس إلا نبيّاً، وهو لم يعرف الصلب. كما **يشدّد على أن الله لم يتّخذ له ولداً، وأن المسيحيين لم يفهموا معنى إنجيلهم**[٤].

---

(١) مجمع البحرين ج١ ص٢١.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٥٠.

(٣) أمالي المرتضى ج٢ ص١٩٧.

(٤) مقدمة كتاب مدخل الى الايمان المسيحي ص١١.

وقد أقرّ ثاوذورس أبو قرة النصراني المعاصر لإمامنا الرضا عليه السلام[١] باختلاف العقيدة بين النصارى والمسلمين بقوله: **آخرون قالوا: واحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد. هكذا وصف هؤلاء الله، ولكنهم لم يصيبوا صفته. نقول: إن صفاتهم من الأرض، ومن غير الله، وَصِفَةُ الإنجيل وحده من عند الله**[٢].

ولمّا قَصَرَ أبو قرّة الحق على الإنجيل وحده، فإنّه على فرض التسليم بدلالة الإنجيل على ما يذهبون إليه، يَرِدُ عليه أنّ التوراة موافقٌ للقرآن الكريم في تنزيه الله تعالى عن المشابَهَة بخلقه وعن التثليث، وهو مُتَقَدِّمٌ على الإنجيل، وهم يعتقدون أنه كتابٌ سماويٌّ إلهي.

فلو كان القول بأنّه واحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد يعني أن الكتاب ليس سماوياً، للزم أن لا يكون التوراة الذي يؤمنون به سماوياً.

إن قيل: إن التوراة أثبت البنوّة ففيه (**ابن الله وابناؤه**).

قلنا: إن التوراة لم يثبت البنوّة لعيسى على نحو الأزلية، بل أثبَتَها لكلّ الناس بمعنى الخلق والنعمة أي أنّهم أبناء الله بمعنى مخلوقاته وما شابه مما تقدّم وسيأتي.. وعليه فإن الفكر السماوي في التوراة صار أرضياً عندهم.

ولأبي قرّة[٣] هذا قصّةٌ مع إمامنا الرضا عليه السلام، فقد عُبِّر عنه في رواياتنا بأنه

---

(١) ثاوذورس أبي قرّة المتوفي حوالي سنة ٨٢٥ م، من تلامذة القديس يوحنا الدمشقي، وعاش في أيام الإمام الرضا عليه السلام، وفي عهد الرشيد والمأمون.

(٢) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٤٢.

(٣) وهو غير أبي قرّة المحدّث الذي ورد ذكره في بعض الروايات التي ذكرناها، فذاك يُدعى موسى بن طارق الزّبيدي، وقيل أنّه استبصر (التعليقة على أصول الكافي (ميرداماد) ص٢٢٢).

(صاحب الجاثليق)، واسمه بحسب احدى الروايات الآتية (يوحنا)، ولعلّ له أسماء متعددة، فقد دخل على إمامنا عليه السلام ليناظره، ففي الرواية: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى صَاحِبِ السَّابِرِيِّ قَالَ: **سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ صَاحِبُ الجَاثَلِيقِ** أَنْ أُوصِلَهُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ عليه السلام: أَدْخِلْهُ عَلَيَّ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ **قَبَّلَ بِسَاطَهُ وَقَالَ: هَكَذَا عَلَيْنَا فِي دِينِنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَشْرَافِ أَهْلِ زَمَانِنَا.**

ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَكَ الله، مَا تَقُولُ فِي فِرْقَةٍ ادَّعَتْ دَعْوَى فَشَهِدَتْ لَهُمْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مُعَدِّلُونَ؟

قَالَ: الدَّعْوَى لَهُمْ.

قَالَ: فَادَّعَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى دَعْوَى فَلَمْ يَجِدُوا شُهُوداً مِنْ غَيْرِهِمْ.

قَالَ: لَا شَيْءَ لَهُمْ.

قَالَ: فَإِنَّا نَحْنُ ادَّعَيْنَا أَنَّ عِيسَى رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا فَوَافَقَنَا عَلَى ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَادَّعَى الْمُسْلِمُونَ أَنَّ مُحَمَّداً نَبِيٌّ فَلَمْ نُتَابِعْهُمْ عَلَيْهِ، **وَمَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا افْتَرَقْنَا فِيهِ.**

فَقَالَ لَهُ الرِّضَا عليه السلام: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: يُوحَنَّا.

قَالَ: يَا يُوحَنَّا **إِنَّا آمَنَّا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** عليه السلام **رُوحِ الله وَكَلِمَتِهِ الَّذِي كَانَ يُؤْمِنُ بِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **وَيُبَشِّرُ بِهِ وَيُقِرُّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ، فَإِنْ كَانَ عِيسَى الَّذِي هُوَ عِنْدَكَ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ لَيْسَ هُوَ الَّذِي آمَنَ بِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **وَبَشَّرَ بِهِ** وَلَا هُوَ الَّذِي أَقَرَّ لله عَزَّ وَجَلَّ بِالعُبُودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ **فَنَحْنُ مِنْهُ بُرَاءُ.** فَأَيْنَ اجْتَمَعْنَا؟

فَقَامَ وَقَالَ لِصَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى: قُمْ، فَمَا كَانَ أَغْنَانَا عَنْ هَذَا المَجْلِسِ[١].

وقال عليه السلام: **أَنَا مُقِرٌّ بِنُبُوَّةِ عِيسَى وَكِتَابِهِ وَمَا بَشَّرَ بِهِ أُمَّتَهُ وَأَقَرَّ بِهِ الحَوَارِيُّونَ، وَكَافِرٌ بِنُبُوَّةِ كُلِّ عِيسى لَمْ يُقِرَّ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَبِكِتَابِهِ وَلَمْ يُبَشِّرْ بِهِ أُمَّتَه**[٢].

ويظهر أن أبا قرّة هذا قد استفاد من هذه المناظرة لا لاثبات الحق، بل لمحاججة اليهود، إذ أن ما أورده على إمامنا الرضا عليه السلام يمكن أن يورده اليهود بعينه على النصارى، وعلى مبنى أبي قرّة ينبغي على النصارى أن يتّبعوا موسى عليه السلام ويتركوا دينهم لأن دين موسى عليه السلام مُجمَعٌ عليه بينهم وبين اليهود، ويظهر أن أبا قرّة قد تنبّه لذلك بعد جواب إمامنا الرضا عليه السلام، فسطّر في كتابه ما يشبه استدلال الامام عليه، ولكنه استفاد منه مقابل اليهود، فقال:

إنّه من قبل تثبيت العقل، لم يكن عندنا موسى مقبولاً أنّه من عند الله.. لسنا نقبل من وجه العقل ديناً من عند الله إلا الإنجيل وحده.. **حيث عرفنا أن الإنجيل من الله وقبلناه وصدقنا جميع ما فيه، أخبرنا الإنجيل أن موسى والأنبياء المسمّين.. من الله بُعثوا فصدّقناه** وقبلناهم[٣].

وقال: **لولا الإنجيل لم نصدّق موسى أنه من الله**.. كذلك صدّقنا الأنبياء أنهم من عند الله، من قِبَلِ الإنجيل وليس من العقل[٤].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٣٠.

(٢) التوحيد (للصدوق) ص٤٢٠.

(٣) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٥٥.

(٤) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٥٧.

قال الأب الدكتور أغناطيوس ديك عن أبي قرّة أنّه: **من تلاميذ يوحنا الدمشقي**[١]. وقال: **بعض المخطوطات.. تنسب إلى شمعون وهو أبو قرة اسقف نصيبين وحرّان مناظرة لاهوتية مع أمير المؤمنين هارون الرشيد**[٢]. وقال: **أما الحوار مع أئمة المسلمين في حضرة المأمون، فهو على ما يبدو واقعيٌّ تاريخيّ**[٣].

ويشير إلى مخطوطاتٍ سريانية[٤] لم نتمكن من الإطلاع عليها لمعرفة ما ذُكر فيها من حوارٍ عند المأمون، لكنّنا روينا مناظرةً جرت عند المأمون اجتمع فيها جملةٌ من علماء الأديان والمذاهب، أفحم الجميعَ فيها إمامُنا الرضا عليه السلام، بمن فيهم (الجاثليق)، فهل كان هو أبو قرّة نفسه؟ أم أنه كان (صاحب الجاثليق) ونسبت له المناظرة باعتباره ناقلها، فهذا ما لم يتضح لنا تماماً، ويأتي ذكرُ بعض فقراتها.

وبالعودة إلى كلماته في الإقرار بموقف الإسلام، نجدُ أن جمعاً من علماء النصارى قد تابع صفرونيوس ويوحنا الدمشقي وأبي قرة، منهم القسّ عطا ميخائيل حينما يقول: بدعة شهود يهوه.. أقرب إلى الإسلام منه إلى المسيحية، مع كل احترامي للدين الإسلامي المعتَرَف به كدينٍ مُستقلٍّ بذاته له كتابه وله نبيّه.. ينكر شهود يهوه الثالوث الأقدس، **والإسلامُ ينكره أيضاً: (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة)** (سورة المائدة ٧٣) **ينكر شهود يهوه أن يسوع المسيح هو الله والإسلام ينكر ذلك أيضاً**: (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم)

---

(١) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص١٦.

(٢) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص١٧.

(٣) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٥١.

(٤) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٠.

(سورة المائدة ٧٢)[١].

حتى المفرط من الباحثين في اتّهام النبي صلى الله عليه وآله بأن إسلامه منبثق عن المسيحية، وأنّه طائفة نصرانية لا دين جديد[٢]، **يقرّ بأن النبي صلى الله عليه وآله قد أنكر الثالوث** والفداء جملةً وتفصيلاً، يقول بسّام فرجو: **ان ألوهية المسيح وحقيقة الثالوث الأقدس وعقيدة الفداء هي من المُسَلَّمات عند كافة الفرق المسيحية في بلاد الشام. ولمّا كان محمد قد أنكر هذه المعتقدات جملة وتفصيلاً، لا يجوز القول بتأثير مسيحية الشام عليه**[٣].

ويقول الأب سليم دكاش اليسوعي: **الإسلام، الدين الجديد رأى في عقيدة التثليث وهي في جوهر الإيمان المسيحي، محاولةً إنسانيةً لإدخال الشرك في وحدانية الله**[٤].

واعترف القس الدكتور لبيب ميخائيل بما اعترف به هؤلاء أيضا حينما قال أن النبي محمد صلى الله عليه وآله: دخل مع المسيحيين في صراع رهيب.. واتهمهم بالكفر والشرك.. وأنكر وحدانية الله الجامعة[٥].

إذاً أقرّ أكثرُ علماء النصارى بإنكار الإسلام التثليث، مع دلالة القرآن على هذا الإنكار جلياً، فلا يعبأ بإشكال بعض علمائهم المتقدم ذكره.

---

(١) شهود يهوه ذئاب خاطفة ص٤٠.

(٢) المسيح في المسيحية العربية ص٣٩ وما بعدها.

(٣) المسيح في المسيحية العربية ص٤٢.

(٤) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٢٩.

(٥) كتاب: لا إله إلا الله ص١٣.

٦. إلهنا وإلهكم واحد! الإسلام لا يحارب الثالوث!

قد يقال بأنّ القرآن الكريم يقرّ النصارى على عقيدة الثالوث، لأنّه يصرّح بأن إله المسلمين وإله النصارى واحدٌ، ولمّا كان إله النصارى قائماً بالثالوث، كان إله المسلمين كذلك.

ففي القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ **وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

المناقشة فيه

ويلاحظ عليه: أن هذا التفسير يتوقف على كون المراد من الآية: **أن الذي نعتقد بألوهيته هو الذي تعتقدون بألوهيته**، فيتم إشكالهم.

لكن هذا ليس ظاهراً من الآية، ولا من سائر الآيات، ولا يُعقل أن يكون هذا هو موقف القرآن الكريم بعد تصريحه بكفر القائل بالثالوث ودعوته النصارى لعبادة الله الواحد الأحد كما دلّهم عليه التوراة والإنجيل.

بل الظاهر من الآية أن الإله الحقيقيّ الواحد هو إلهنا وإلهكم، وهذا القول يصح إطلاقه حتى مع غير المؤمن بالله تعالى رأساً، كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**فَإِلَهُكُمْ**

(١) العنكبوت٤٦، واستدل به عدد من علماء النصارى منهم القمص زكريا بطرس في كتاب: الله واحد في الثالوث الأقدس ص٣-٤.

(٢) الأنبياء١٠٨.

إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[١].

فالإله إلهٌ واحدٌ لكل الناس، لكن منهم من أسلَمَ لَهُ ومنهم من لم يُسلم، ففي الآية دعوة النصارى للإسلام والإيمان بالإله الواحد عزّ وجل، فلا تدلُّ على مطلوبهم.

٧. لا نقول بالولد المادي حتى يلزم الكفر

لقد أنكر القرآن الكريم على النصارى قولَهم أنّ الله قد اتّخذ ولداً، لكن عدداً من الباحثين النصارى نفوا ذلك وذهبوا إلى أن ما أنكره القرآن الكريم هو الولد الماديّ فقط، وبالتالي فالقرآن الكريم لا يقصد النصارى.

فنفى كوستي بندلي على سبيل المثال أن تكون سورة الإخلاص موجّهة للمسيحين، ولا أنها تنكر الإبن والروح القدس[٢].

وذهب الأب فاضل سيداروس إلى أن اعتراض القرآن بنفي الولد يكون منطقياً لو كانت الولادة كالولادة البشرية، وإن أقرّ بتعميم القرآن للاعتراض، فقال: **عمّم القرآن.. الاعتراض بقوله إن (الله لم يَلد ولم يولد)**[٣].. وهذا الاعتراض لَمنطقيّ لو فهمنا لفظ الإلادة على مدلوله البشريّ الجسديّ الجنسيّ الزمنيّ. ولكن في سبيل فهمه فهماً صائباً يليق بسرّ الله وأميناً للوحي، **وجب علينا**

---

(١) الحج ٣٤.

(٢) مدخل الي العقيدة المسيحية ص٢٠٩-٢١٠.

(٣) ليس ما ذكره نص الآيات المباركة ففيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

تطهير اللفظ من مدلوله البشريّ ليرتقي إلى مدلوله الإلهي[١].

وقال: **لذلك استحدثنا لفظي (إيلاد) و(إيلادة) عوضاً عن لفظ ولادة للتمييز بين ما هو إلهي.. وبين ما هو إنسانيّ**[٢].

ويقول: إن كان الآب في إيلاده الأبوي يتعالى على الزمان فإنه يتسامى على المكان أيضاً، فإيلاده لابنه هو إلادة لا تخضع للمكان.. أما إيلاد الآب لابنه فليس جسدياً، بل **هو إيلاد روحيّ صرف، لأن الله روح لا جسد**[٣].

المناقشة فيه

يلاحظ على كلامه:

أولاً: أن الخلاف بين المسلمين والنصارى وإن كان يشمل صحة استعمال لفظ الولادة والبنوة وعدم صحته، **حيث لا يرضى المسلمون باستعمال لفظ الولادة والابوّة والبنوّة بين الله ومخلوقاته بحال من الأحوال**، فلا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، والولادة ليست منها بحسب ما ثبت عندهم، رغم ذلك فإن **اختراع لفظ (إيلاد) عوضاً عن (ولادة) للتخلص من المشكلة غير سائغ** حتى عند النصارى، فقد تضمّن كلٌّ من التوراة والإنجيل لفظ (ولدتك): أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ[٤]. وتغيير هذا الآب وحده للفظ[٥] مع قبول كل النصارى له لا

---

(١) سر الثالوث الاحد ص٣٥.

(٢) هامش المصدر نفسه.

(٣) سر الثالوث الاحد ص٣٨.

(٤) المزامير٢: ٧، وأعمال الرسل١٣: ٣٣، والعبرانيين١: ٥، و٥: ٥.

(٥) قال الآب سيداروس: آثرنا القول: أنا اليوم ألدك (سر الثالوث الاحد ص٣٧).

يعفيهم من الاشكال. ولا يعفيه هو أيضاً لأن الإشكال أبعد من مجرد خلاف لفظيٍّ، بل يشمل المعنى كما سيأتي.

ثانياً: أنّ محاولة النصارى لا ترفع الإشكال بوجه، إذ أنها حين تُثبت الولادة الخارجة عن حدود الزمن، تؤكد على أزلية عيسى عليه السلام، فيكون الله أزلياً وعيسى كذلك، ويعود الإشكال من جديد بمخالفة وحدانية الله تعالى.

قال سيداروس: **إيلاد الآب للابن هو إلادة غير زمنيّة**، لأن الله في خارج الزمن، بل هو خالق الزمن، لكن **الإيلاد أزليّ لا بداية له**.. وبالتالي فلا أسبقيّة زمنيّة للآب على الابن، بل هما متزامنان. **فليس الآب قبل الابن على الإطلاق**، وهل للّفظ (قبل) أو (بعد) من معنى لله وهو خالق الزمان؟[1].

وهو مصيبٌ في أن الله تعالى خالق الزمان، فلا يخضع للزمان كمخلوقاته، إلا أنّ **في كلامه إثباتُ قديمين أزليين هما الآب والابن**.

وبما أن الآب ليس الابن والابن ليس الآب، فلا بد من وجود قديمين، ومع كون أحدهما وهو الابن مُحتاجاً للآخر وهو الآب في وجوده، والآخر مستغنٍ، فلا يمكن أن يكونا من جوهر واحد مع هذا الاختلاف، ولا يمكن أن يكون كلٌّ منهما إلهاً، أو هما معاً إلهٌ غير مركب.

ثالثاً: أنّ **ما ينفيه القرآن الكريم هو الولادة مطلقاً**، ولادةً مادية أو غير مادية، لأن الله تعالى غيرُ مادي ولا يصح أن يتولد عنه ما هو مادي أو غير مادي لأنه يتنافى مع كماله عز وجل.

---

(١) سر الثالوث الاحد ص٣٦.

نعم لو قالوا بالخِلقة أي أنّه خَلَقَ عيسى لا من شيء لارتفع الاشكال، **شرط نفي الأزلية أيضاً.**

رابعاً: إن هذا الآب ذهب إلى أن الإيلاد مستمرٌّ، يتجسد هذا بقوله: وبالتالي فإن **إيلاد الآب لابنه هو إلادة مستديمة، أي أن الآب يلد ابنه بدون انقطاع**.. إنه إيلاد يستمر، فالآب يلد ولا يزال يلد ابنه من الأزل وللأبد[١].

ويلزم منه احتياج عيسى الدائم لله تعالى، فإنّ ما عنده ليس ذاتياً، وبالتالي لا يكون من جوهر الله الخالق، لاحتياجه واستغناء الله تعالى، وقد صرّح عيسى بذلك في مواطن عدة بحسب الكتاب المقدس منها قوله: **كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي**[٢]. وغيرها من الموارد التي تقدّم بعضها ويأتي بعضها الآخر إن شاء الله.

خامساً: حاول بعض علمائهم نفي الخلاف معنا باعتبار أن نفيهم للولادة المادية كافٍ، كما قال القمص سرجيوس: **لا خلاف بيننا وبين المسلمين في أن الله الاب لم يتخذ صاحبة ولم يلد منها ولداً ولادة مادية**. بل ابن الله هو ابنٌ روحانيٌّ وولدٌ عقليٌّ[٣].

وهو قد خصّص كلام المسلمين العام بلا مُخَصِّص، فالمسلمون لا ينفون الولد المادي فقط كما تقدّم، ولم ينف القرآن الولد المادي حصراً، بل نفى الولد مطلقاً مادياً كان أم غير مادي، ويشتدُّ الإشكال مع قولهم **بتأنُّس الإله وظهور الله في عيسى بصورة بشرية**، فيكون عيسى المتجسد المتأنّس الذي ظهر بصورة بشرٍ

(١) سر الثالوث الاحد ص٣٧.

(٢) متى١١: ٢٧، ولوقا١٠: ٢٢.

(٣) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٤٧.

هو ابن الله تعالى، وهو ما ينفيه القرآن الكريم تماماً، فلا يمكن التوفيق بين القولين.

ولذا لا يوافق القرآن الكريم على ما ذكره القديس أثناسيوس الرسولي بقوله: الابن هو مولودٌ ذاتيٌّ من جوهره (الآب).. **ليس كفراً.. أن يكون لله ولد، مولود من ذات جوهره**[١].

فإنّ القرآن الكريم صريح في كفر القائل بأن لله ولداً كما تقدّم.

ثمرة الفصل: لا دليل على الثالوث في كتب السماء

يتّضح مما تقدم أنّه لا يوجد دليلٌ واضحٌ ولا صريحٌ في الكتب السماوية الثلاثة على الثالوث، بل الدلالة فيها على التوحيد صريحةٌ تماماً، فتدل بالملازمة على بطلان الثالوث، ودلالةُ القرآن الكريم على بطلان الثالوث صريحةٌ جليّة.

وقد اعترف عدد من علماء النصارى بخلوّ الكتاب المقدّس من أي دليل (واضح) على الثالوث، وإن التزموا بأنه يتضمن استدلالاً شبه مبطّن ومستور، قال القسّ عطا ميخائيل: **إن عدم وجود كلمة ثالوث في الكتاب المقدس أمرٌ لا يطعن في صحته أبداً**. ولكن بالرغم من ذلك، هناك آيات ومقاطع عديدة تشهد لصحة هذه العقيدة ولوجود الثالوث **وإن بصورة مبطّنة شبه مستورة**[٢].

وهذا اعتراف بأن كل ما استدل به على الثالوث هو مبطّنٌ شبه مستور،

---

(١) الشهادة لألوهية المسيح ص٣٧.

(٢) شهود يهوه ذئاب خاطفة ص١٣.

وعليه فهو ليس نصاً في الثالوث ولا ظاهراً فيه الدلالة عليه، بل باطن مستور!

فكيف يُلجأ إلى البواطن والمعاني المستورة في أهم عقيدةٍ دينيةٍ عند المسيحية؟! وهي تُعارض كل الأديان السماوية وتُعارض التوحيد نفسه الذي يقرّ به الإنجيل؟

لقد أشار بعض النصارى في معرض ردهم على ترجمة (العالم الجديد) لشهود يهوه إلى خطورة التعامل (البسيط) مع النصوص الكتابية، والذي يؤدي بدوره إلى انحرافٍ شامل، فقال بسّام فرجو: للانحراف مسبِّبَاتٌ، لعلّ أكبرها كان **تعاملهم البسيط مع النصوص الكتابية** والذي **بلغ أحياناً حدّ السذاجة**. لقد غفلوا **بأن الحقائق الكتابية هرميّة في تكوينها وبناءها**، وإن انحراف إحدى حجارتها سيقود إلى خلل عام وشامل فيها[1].

نقول: إن **التوحيد الحقيقي من أصرح الحقائق الكتابية** كما تبيّن في الفصل الثاني، **وهو الأصل المُحكَمُ الذي ينبغي أن تُرَدَّ إليه كل المتشابهات حول التثليث أو ألوهيّة عيسى**، لأنّ من لم يفعل ذلك فقد جاوز حدّ البساطة والسذاجة معاً ووقع في التناقض البيّن الذي لا يقرّه العقل ولا يقبل به[2].

(١) الحكم السديد على ترجمة العالم الجديد ص٧٠.

(٢) كما بيّنا ذلك جلياً في كتاب: الثالوث صليب العقل.

فصل٤: ألوهية عيسى في الكتب السماوية

بعدما تبيّن خلوّ الكتب السماوية الثلاثة من أي دليل على عقيدة الثالوث، قد يُستدلُ لهذه العقيدة بما يدلّ على ألوهيّة عيسى وربوبيّته وأنه هو الله تعالى.

وبحسب ما تبيّن في الفصول السابقة، لمّا ثبت أن الله تعالى واحدٌ، فإنّ كل ما يُستدلُّ به على ألوهية مَن سوى الله تعالى (عيسى أو غيره) يكون معارِضاً للتوحيد، فيلزمُ إما القولُ بالتناقض في الكتب السماوية، أو حَملُ أدلة ألوهيّة عيسى على فرض تماميّتها على ضَربٍ من التجوّز والاستعارة والتشبيه وأمثال ذلك مما تقدّم في الفصل الأول. ولا خيار ثالث بحكم العقل والكتب المقدسة نفسها.

وها نحن نستعرض ما استُدِلَّ به على ألوهيته في الكتب الثلاثة.

١. ألوهية عيسى في التوراة

١. الولد يكون إلها قديرا

وردت في رؤيا أشعياء نبوءةٌ تُفَسَّر عادة بولادة المسيح عليه السلام، وتتضمن ما يمكن أن يُستدل به على ألوهيته وعلى أنه الله تعالى، وهي: لأَنَّهُ **يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا**، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، **إِلَهًا قَدِيراً، أَبًا أَبَدِيًّا**، رَئِيسَ السَّلاَمِ[1].

وتقريب الاستدلال أن تسميته باسمٍ عجيبٍ يتضمن إطلاق الألوهيّة عليه

---

(١) أشعياء٩: ٦.

(إلهاً قديراً)، وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام هو الله تعالى.

المناقشة فيه

ويرد عليه أمور:

أولاً: أن العهد القديم نفسه أطلق الألوهية على غير الله تعالى، في موارد عدّة. ورغم أن **الإله الحقيقي هو الله تعالى وحده** دون شك كما صرّح به العهد القديم[1]، لكنه **يُطلِقُ** هذا اللفظ أيضاً على **مخلوقات الله تعالى دون أن يراد منه الألوهيّة الحقيقيّة والربوبيّة**، فقد أُطلِقَ فيه على نبيّ الله موسى عليه السلام، حيث ورد في سفر الخروج أن موسى يكون إله هارون:

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. **وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا**[2].

ولو كان للإله في العهد القديم معنىً واحد هو الألوهيّة المطلقة والربوبية الحقّة **لكان موسى** عليه السلام **هو خالق هارون وربه وإلهه** كما أنّ الله هو خالقنا وربنا وإلهنا، وهذا ما لا قائل به، لذا اضطر مفسرو الكتاب المقدس إلى **تأويل الألوهية** هنا، فقال القسّ أنطونيوس فكري في شرحه لهذه الآيات: يكون لك فماً أي يتكلم للشعب ولفرعون بما تلقنه أنت له، وأنت **تكون له إلهاً أي رئيساً ومرشداً وملقناً**

(١) تعرّضنا له في الفصل الثاني فراجع.

(٢) الخروج ٤: ١٤-١٦.

لما يقول. والمعنى أن يكون موسى نائباً لله وهرون نائباً عن موسى.

فدلّت **الألوهيّة على الرئاسة والإرشاد والتلقين**، فلا ضير أن تكون ألوهيّة عيسى في هذه النبوءة (إلهاً قديراً) دالة على رئاسته، كما أشارت لذلك النبوءة نفسها (رَئِيسَ السَّلاَمِ).

وإذا كانت الرئاسة مساويةً للألوهية، وأرادوا أن يلتزموا بألوهيَّة المسيح بمعنى أنه الله كونه رئيس السلام، **فلا بد من الالتزام بألوهية الشيطان أيضاً**، حيث وُصِفَ في الكتاب المقدّس بأنه: **رَئِيس هذَا العَالَمَ**[1]، بل **وصف بالألوهية صريحاً**، ففي رسائل كورنثوس حول وصف الشيطان: الَّذِينَ فِيهِمْ **إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ**[2]، فلا بد حينها من الالتزام بأن الشيطان هو الله (نعوذ بالله).

كذلك دلّ سفر الخروج على أن موسى إله فرعون:

فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! **أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ**. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يُكَلِّمُ فِرْعَوْنَ لِيُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ[3].

ومجدداً لم يجد القس أنطونيوس فكري بدّاً من تفسيرها بالسيد، فقال: **جعلتك إلهًا لفرعون أي جعلتك سيّداً عليه**، فلا تخافه ولا ترهب قسوة قلبه.

ثانياً: أن محاولة التخلص من الإشكال بالتمييز بين الإله المطلق الذي هو

---

(١) يوحنا١٦: ١١.

(٢) رسائل كورنثوس الثانية٤: ٤.

(٣) الخروج٧: ١و٢.

الله تعالى، وبين الإله المضاف لمألوه محدد، غير موفّقة أيضاً.

وقد حاول القسّ فكري الذهاب إلى ذلك بعد تفسير الإله بالسيد، فقال في تفسيره للآية: **ولاحظ أن الإنسان قد يقال له أنه إله.. لكن يكون هناك مضافٌ: إلهاً لفرعون. تكون له إلهاً كما قيلت لموسى بالنسبة لهارون. ولكن الله هو إلهٌ مطلق ولا يضاف له شيء فهو إله الجميع، وهذه التسمية من تواضع الله.**

لكنّ المزامير تخالف رأي القس فكري، حيث تطلق لفظ الآلهة على المخاطَبين دون وجود أي مضاف، ففيها: أَنَا قُلْتُ: **إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو العَلِيِّ كُلُّكُمْ**[1].

ويلاحظ أنها لم تُقَيَّد بشيء ولم تُضَف لأحد، فلم تكن آلهة أولادكم مثلاً، ولا آلهة فلان أو فلان. فقد أُطلِقَت هنا على الناس كما أُطلِقَت على عيسى (إلهاً)، وعليه فلو كان عيسى هو الله لكان هؤلاء الناس هم الله أيضاً والعياذ بالله.

وفي المقابل وُصِفَ الله بالألوهية المقيّدَة بفرد أو جماعة، وإن لم يحدّ ذلك من ألوهيته تعالى، كما في كلماته تعالى لإبراهيم عليه السلام: لأَكُونَ **إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ**[2].

ثالثاً: **أن جعل النكرة في صفّ الإضافة يؤكد الإشكال.**

حيثُ جعل القس الدكتور منيس عبد النور النكرة كالإضافة، فميّز بين الإله المضاف أو النكرة من جهة، وبين الإله المطلق من جهة أخرى، قائلاً: جاء في كتاب «الكليات»: «إن اسم الإله يُطلق على غيره تعالى، إذا كان مضافاً، أو

(١) المزامير ٨٢: ٦.

(٢) التكوين ١٧: ٧.

نكرة.. **وواضح من نص سفر الخروج أنه لم يُطلق على موسى أنه الله أو الرب أو الغفور أو القدير أو الخالق**، ولم يُطلق عليه أنه إله بني إسرائيل أو إله الناس أو إله العالمين، بل قال إنه **إله** «**فرعون**» أي أن الله أقامه عصا تأديب لفرعون.. كما أن قوله «**جعلتك إلهاً لفرعون**» **هو تشبيهٌ بليغٌ، حُذفت فيه أداة التشبيه** (أي جعلتك كإله لفرعون) فإن فرعون كان يخشى بأس موسى وقوّته، واستغاث به كثيراً وقت الضربات العشر، وكان موسى يأمره ويزجره[١].

وهذا النص يؤكد عدم ألوهية عيسى ألوهيةً مطلقة من وجهين:

الوجه الأول: أنّه يتضمن إقراراً بإطلاق الإله على غير الله تعالى إذا كان نكرة، كما هو الحال في النص محل الشاهد (إلهاً قديراً)، فيثبت أن عيسى ليس هو الله تعالى بضميمة ثبوت المباينة بينه وبين الله تعالى، وإن ساغ إطلاق الألوهية عليه، بحسبهم.

الوجه الثاني: أن اعتبار لفظ (**إِلَٰهًا لِفِرْعَوْنَ**) نوعاً من التشبيه الذي حُذفت منه أداة الشَّبَه، يفتح الباب أمام الالتزام بأن عيسى (**إِلَٰهًا قَدِيراً**) هو تشبيهٌ بليغٌ أيضاً حُذِفَت منه أداة الشبه وأُريد منه أن يكون عيسى (كإلهٍ قدير)، أعطاه الله قدرة إحياء الموتى وشفاء المرضى.

وعليه فلا دلالة لهذا النص على أن عيسى هو الله تعالى بوجه.

رابعاً: يُنقَضُ على هذا الدليل أيضاً بما ورد في العهد القديم، حيث ذُكِرَت فيه الآلهة في موارد شتى، **وعُدَّ الله أو الربّ أعلى من الآلهة**، وأنه لا مثل له بينها

---

(١) تعليقته على مزمور٨٢: ٦.

وأنه ملك كبير عليها، ولو أُريد من هذه الآلهة الابن والروح القدس لما صحت هذه التعابير لأنهم يعتبرون الابن والروح القدس هم الله أيضاً!

ومن هذه الموارد:

مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي القَدَاسَةِ، مَخُوفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟[1].

لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ، وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ[2].

لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَظِيمٌ، **مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ**[3].

وللفظ (الآلهة) هنا ثلاث احتمالات:

الاحتمال الأول: أن تكون هناك آلهةٌ حقيقةٌ متعددةٌ، وهو ما ينافي التوحيد، فلا يمكن المصير إليه.

الاحتمال الثاني: أن يكون المراد من الإله هو السيد كما تقدّم، وهذا لا ينافي التوحيد وتستقيم معه العبارة.

الاحتمال الثالث: أن يراد من الإله هو الإله باعتقاد بني إسرائيل، وهذا الوجه إنما يستقيم لو كان في مقام المخاصمة والمحاججة لبني إسرائيل، أو بيان ما يعتقدونه لنكتة أخرى.

وبما أن النصارى لا يلتزمون بالاحتمال الأول، وبما أنهم يريدون الهروب

---

(١) الخروج ١٥: ١١.

(٢) المزامير٨٦: ٨.

(٣) المزامير٩٥: ٣، وقريب منها ما في المزامير ٩٦:٤ و٩٧: ٩.

من الاحتمال الثاني لأنه يُسقط استدلالهم بأن عيسى إله، لجأ بعضهم إلى الاحتمال الثالث، ومنهم القس موسى وهبه مينا حيث قال: قد يبدو في نص الآية الثامنة ما يؤيد الزعم بأن اليهود كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة.. ولكن مراجعة الآية العاشرة تجعل هذا الاستنتاج غير ذي موضوع: أنت وحدك الله. وفي مثل هذه النصوص **ترد كلمة إله أو آلهة، ليس باعتبارها تمثل عقيدة الكتاب المقدس، ولكن من حيث قيمتها في نظر عابديها.. القاعدة الأصلية أنه لا يوجد سوى إله حقيقي واحد**[1].

ومن الواضح أن هذا الاحتمال منفيٌّ في هذه الآيات، فليس المقام في المزامير٨٦ مقام مخاصمة ومحاججة حتى يقال: أنّ الله فوق الآلهة التي تعتقدون بألوهيتها، إنما هو في مقام المناجاة مع الله تعالى والدعاء والتضرع إليه، فلا يُعقل أن يُراد منه الإله باعتقاد الكفّار وهو في مقام المناجاة مع الله تعالى.

وكذلك في المزامير٩٥: هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنَا. نَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِحَمْدٍ، وَبِتَرْنِيمَاتٍ نَهْتِفُ لَهُ. **لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَظِيمٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ**[2].

ثم ههنا تساؤل: لماذا أباح النصارى لأنفسهم التصرُّف في معنى التوراة، وعدم حمل الآلهة على الآلهة الحقيقية، للتخلُّص من القول بتعدُّد الآلهة، ولم يتصرّفوا في النصوص التي أودَت بهم إلى القول بالأقانيم الثلاثة وهي صورةٌ أخرى للقول بتعدد الآلهة؟

---

(١) بالحقيقة نؤمن بإله واحد ج١ ص٣٢.

(٢) المزامير٩٥: ١-٣.

إنّ ذلك يرجع إلى إسقاط عقيدة الثالوث على الكتاب المقدس، فإنها قد أُسقطت عليه ولم تُستَنبَط وتُستَخرج منه كما يتبين.

خامساً: أن نسخ الكتاب المقدس نفسها مختلفة في ترجمة هذه العبارة (مُشِيراً، **إِلَهًا قَدِيراً**)، ففي حين وردت بهذه الصيغة في كثيرٍ من النسخ، ورد في بعضها (مشاوراً الله جباراً)، كما في طبعة ريتشارد واطس ١٦٧١ م، كذلك ذهبت بعض النسخ كالترجمة العربية المبسطة إلى تحوير (إله) إلى (الله)، فكيف يثق القارئ بهذه العقيدة التي تبتني على احتمالاتٍ خالية الدلالة على المراد؟ تفتقر إلى ما يشدُّ أزرها ويشهد لها بالصحة؟!

٢. انت ابني، أنا اليوم ولدتك!

في المزامير ما قد يُستدلّ به على أنّه نبوءةٌ عن بنوّة عيسى عليه السلام لله تعالى، والتي تعني بدورها ألوهيّة المسيح، وفيها: إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «**أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ**. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ[1].

بتقريب أن بنوّته لله تعالى وولادة الله تعالى له تعني أنّه الله.

المناقشة فيه

ويلاحظ على ذلك:

أولاً: أن ليس هناك ذكرٌ لعيسى عليه السلام ولا إشارة له في النص، فيكون أجنبياً

(١) المزامير ٢: ٧و٨.

عن نبيّ الله عيسى عليه السلام.

فإن قيل: دلت قرينتان على كون المراد هو عيسى: أولاهما أنه مسيح الرب كما في الآية٢ من نفس السفر: (وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ **وَعَلَى مَسِيحِهِ**)، وثانيهما أنه ابن الرب.

قلنا: أما كونه مسيح الرب، فليس هذا من مختصات نبي الله عيسى عليه السلام، ففي العهد القديم عبّر داود عن شاول أنه مسيح الرب: فَقَالَ لِرِجَالِهِ: «**حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي، بِمَسِيحِ الرَّبِّ**، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، **لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ**»[١].

كذلك عبّر العهد القديم عن داود بأنه مسيح إله يعقوب: فَهذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ دَاوُدَ الأَخِيرَةُ: «وَحْيُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى، وَوَحْيُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ، **مَسِيحِ إِلهِ يَعْقُوبَ**، وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ[٢].

والسياق هنا يساعد على كون المراد من المسيح هو داوود عليه السلام، لأن المزامير مزاميره وهو يقول: (قال لي)، فالخطاب من الله لداوود عليه السلام، ويشهد لذلك أيضاً ما في المزمور١٨: لِذلِكَ أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ فِي الأُمَمِ، وَأُرَنِّمُ لاسْمِكَ. بُرْجُ خَلاَصٍ لِمَلِكِهِ، **وَالصَّانِعُ رَحْمَةً لِمَسِيحِهِ، لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**[٣].

---

(١) صموئيل الأول٢٤: ٦.

(٢) صموئيل الثاني٢٣: ١.

(٣) المزامير١٨: ٤٩-٥٠، وهناك شواهد أخرى من المزامير على كون المخاطب ليس عيسى عليه السلام ليس هذا محلُّ ذكرها.

وأمّا أنه ابن الله، فإن العهد القديم قد وصف يعقوب (إسرائيل) بما لم يصف به عيسى، ذاك أنه ابن الله البكر! ففي سفر الخروج: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: **إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ**[1].

وعليه فلا شاهد على كون الكلام يدور حول عيسى عليه السلام.

ثانياً: حتى لو أريد منه عيسى عليه السلام، فإنّ النص يُثبت الولادة في زمن محدد (اليوم ولدتك)، فهي ولادةٌ حادثةٌ مسبوقةٌ بالعدم، فلا تدلّ على الأزلية، فإنّ هذا المولود لم يكن ثم كان، مهما كان معنى الولادة، وبالتالي فهو يتنافى مع كونه إلهاً أزلياً.

ثالثاً: أن البنوّة في العهد القديم تدل على معانٍ مختلفة لا علاقة لها بالألوهية، **منها الخلقة ومنها النعمة**، كما يعترف بذلك مفسرو الكتاب المقدس.

ومن ذلك ما ورد في آخر أسفار العهد القديم، سفر ملاخي عندما أوحي إليه: **أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟** فَلِمَ نَغْدُرُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ لِتَدْنِيسِ عَهْدِ آبَائِنَا؟[2].

فإن الأبوّة تعني الخلقة، يشترك فيها الجميع بحسب العهد القديم، ويقر المفسرون بذلك فيقول ناشد حنا: يتكلم النبي هنا عن الله كالآب لكلنا لكل الشعب. **كانت أبوة الله للشعب من وجهين: كالخالق** كما يقول بعد ذلك أنه خلقنا كلنا.. **فالله آب كخالق مثل نسبة الملائكة كمخلوقات إلى الله**.. فالناس والملائكة

(١) الخروج ٤: ٢٢.

(٢) ملاخي ٢: ١٠.

هم بنو الله بالخلق..

فيما فسرها القديس أثناسيوس الرسولي بأنها **بنوّة النعمة**: هذا هو حنوّ الله نحو البشرية، **إذ هو الخالق صار فيما بعد لهم حسب النعمة أباً أيضاً**. يصير هكذا عندما يتقبله الشعب، خليقته، في قلوبهم، كما يقول الرسول: "روح ابنه يصرخ: يا أبا، الآب". هؤلاء هم أولئك الذين إذ يتقبلون الكلمة ينالون سلطاناً منه أن يصيروا أولاد الله، مع كونهم بالطبيعة هم خلائقه[١].

وفي العهدين كثيرٌ من الكلمات التي تُثبت البنوّة لكافة الخلائق، فلا دلالة في البنوّة والولادة على الألوهية والربوبية، دائماً بحسب الكتاب المقدس ومزاميره: **قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ الله**، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَعِزًّا[٢].

ويقرّ بذلك كبار قديسي النصارى، منهم يوحنا الدمشقي فيقول: **الله.. أيضاً أبٌ للذين صنعهم،** لأن الله أحقُّ بأن يكون أبانا، وقد أخرجنا من العدم إلى الوجود، من والدينا الذين نالوا منه الوجود والمقدرة على الولادة[٣].

ولذا ذُكر أبناءُ الله وبناتُه في أسفارٍ مختلفة من العهد القديم، ففي سفر التكوين: وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ **أَبْنَاءَ الله رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ** أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا[٤].

---

(١) من شرح تادرس يعقوب على الآية ١٠ من ملاخي٢.

(٢) المزامير٢٩: ١.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٧.

(٤) التكوين٦: ١و٢.

وفي سفر التثنية: **فَرَأَى الرَّبُّ وَرَذَلَ مِنَ الْغَيْظِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ**[١].

رابعاً: أن علماء النصارى قد **اعترفوا بالمعاني المجازية في صفات الله تعالى** كما تقدّم في الفصل الأول في باب (النموذج الأول: أعضاء الرب) وتقدّم كلام اللاهوتي الهولندي د. هيرمان بافينك عندما قال: **ويستعير الكتاب المقدس لله استعاراتٍ شتى كالشمس والنور والينبوع** والعين والصخر والملجأ والسيف والترس والأسد والنسر، والبطل والمحارب.. **والأب**[٢].

وهو صريحٌ في أن **استعمال الأبوّة هنا هو استعارةٌ** كقولنا أنّه الينبوع أو العين أو السيف والترس، **فكيف تُجعَلُ البنوّة والأبوّة دالة على ألوهية عيسى وعلى أزليته؟ وكيف انقلب معناها هنا من معنى مجازيٍّ إلى معنى يترتب عليه الكفر بالله تعالى بنسبة الولد له على نحو الحقيقة؟**

٣. أزلية عيسى

ورد في سفر أشعياء ما قد يُستدل به على أزلية المسيح، ومن ذلك: تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا هذَا: **لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ البَدْءِ فِي الخَفَاءِ. مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ**» وَالآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ[٣].

فسّرها ناشد حنا بقوله: لقد أرسل الله الأنبياء وأخيراً أرسل ابنه. وقوله "منذ وجوده أنا هناك" **يعني أنه الأزلي**. وهنا نرى الثالوث الأقدس. المرسَل الله

(١) التثنية٣٢: ١٩.

(٢) بين العقل والإيمان ج٢ ص١٥.

(٣) أشعياء٤٨: ١٦.

الابن كان مع الله منذ وجوده، والمرسِل هو السيد الرب (الله الآب) وروحه أي مرسَل من الروح القدس أيضاً.

المناقشة فيه

يلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أنه لا ذكر لعيسى فيه، فإن مطلع هذا السفر: اِسْمَعُوا هذَا يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، المَدْعُوِّينَ بِاسْمِ إِسْرَائِيلَ[1]، ثم يخاطب الله فيه عبده يعقوب: اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ[2]، ثم عند نهاية الاقتباس من كلام الربّ يقول أشعياء النبي صاحب السفر: وَالآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ[3]، وعليه فالحديثُ حديثُ الربّ، والخطابُ حول النبي يعقوب عليه السلام، والناقل والمتكلم هو النبي أشعياء، كلّ هذا بحسب نص العهد القديم.

ثانياً: أن **ليس في النص أيّ دلالة على الأزلية**، فالمتكلم هو الله تعالى، يقول: **لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ البَدْءِ فِي الخَفَاءِ**، بل أرسلت الأنبياء علناً، وينتهي الاقتباس عن كلام الله تعالى في قوله: **مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ**.

فمنذ وجود يعقوب النبيّ الذي يتحدث عنه، كما منذ وجود أي نبي أو مرسل من الأنبياء السابقين إلى اللاحقين، كان الله هناك، فهو الذي أوجدهم، فمنذ وجدوا كان الله موجوداً، وكان قبل وجودهم أيضاً، كما كان الآن عند

(١) أشعياء٤٨: ١.

(٢) أشعياء٤٨: ١٢.

(٣) أشعياء٤٨: ١٦.

إرسال أشعياء وكان قبل إرساله.

ثالثاً: أن كلّ ما تقدّم مبنيّ على صحة هذه الترجمة للتوراة، لكن أغلب نسخ العهد القديم تتضمن ما يخالف هذا السياق، ويغيّر المعنى تماماً، فإنها بمعظمها تجعل هذه الفقرة من كلام أشعياء النبي نفسه لا من كلام الله تعالى، فضلاً عن أن تكون من كلام عيسى الذي لا ذكر له في الآيات.

ففي الترجمة السهلة: اقتَرِبُوا إلَيَّ وَاستَمِعُوا إلَى هَذا. **مِنَ البِدايَةِ لَمْ أكُنْ أتَكَلَّمُ بِالسِّرِّ، وَمِنْ وَقتِ بِناءِ بابِلَ كُنتُ هُناكَ.» وَالآنَ الرَّبُّ الإلَهُ أرسَلَنِي مَعَ رُوحِهِ.**

وفي ترجمة الحياة: **منذ البدء لم أتكلم خفية، ولدى حدوثها كنت حاضراً هناك.**

وفي ترجمة الأخبار السارة: **فمن الأول لم أتكلم في الخفية. أنا كنت موجوداً هناك من قبل أن يحدث ما حدث.**

وفي ترجمة اليسوعية والكاثوليكية: **إني من البدء لم اتكلم في خفية. أنا من قبل أن يحدث الأمر كنت هناك.**

وقريبٌ منها كتاب الحياة وترجمة الشريف والترجمة من العبرية، وغيرها من النسخ.

والأول صريح في كون الحديث عن بناء بابل، والباقي يشير إليها على نحو الإشارة، فهي قد وردت قبل أربع آيات من نفس السفر حينما قال: يَصْنَعُ مَسَرَّتَهُ بِبَابِلَ[1].

(١) أشعياء٤٨: ١٢.

فالبدء هو بدء بناء بابل، والحديث عن كورش، والمتحدث أشعياء، وهو ينقل بعض كلمات الله تعالى، ولا صلة لعيسى عليه السلام بهذه الآيات، ولا إشارة فيها للأزلية.

رابعاً: حتى عند القائل بدلالة النص على الأزلية، أو الاستدلال بنصٍّ آخر على ذلك، فإن في العهد القديم شاهداً على أن **الأزلية قد تكون نسبيّة ولا يُراد منها الأزلية المطلقة**، فالأزليُّ تارة يُراد به الذي لا بدء له، وتارة يراد به القديم أو المتقدم على آخر وإن كان له بداية، والشاهد على ذلك قوله في الأمثال:

«اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ.

مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ»[1].

والشاهد هو أن الأزل والبَدء قد فُسّرا هنا ب(أوائل الأرض)، فإن الحديث هو عن بدء الخليقة، فيناسب أن يكون المراد من (قَنَانِي): خلقني.

والشاهد الآخر على ذلك هو قوله: (**أُبْدِئْتُ**) فقبل هذا لم يكن ثم كانت بدايته هنا، فهي بدايةٌ مسبوقةٌ بالعدم. والنصارى يعتقدون أن هذه الآيات تُحَدِّثُ عن لسان عيسى عليه السلام.

وفي الكتاب المقدّس نصوصٌ في منتهى الوضوح استُعمل فيها ما هو أصرح من البدء، وهو لفظ (الأزل) وأُريد به الأزل النسبيّ، وإلا لزم كون المخلوقات أزليّة مشاركة لله تعالى في قدمه، حيث ورد في سفر الأمثال: فَإِنِّي

(١) الأمثال٨: ٢٢ الى ٢٤.

أُسْكِنُكُمْ فِي هذَا الْمَوْضِعِ، **فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُ لآبَائِكُمْ مِنَ الأَزَلِ** وَإِلَى الأَبَدِ[١].
وفيه: **وَاسْكُنُوا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ إِيَّاهَا وَآبَاءَكُمْ مِنَ الأَزَلِ** وَإِلَى الأَبَدِ[٢].

وهنا استعملت الأزليّة بمعنىً نسبيّ، لأن الآباء والأرض لم يكونوا في الأزل، إنما يراد منه بداية حياتهم ونهايتها، لا الأزل الذي لا بدء له.

على أن في ترجمة الآية الأولى (اَلرَّبُّ قَنَانِي) خلاف معروفٌ بحيث وردت في بعض النسخ (الرب خلقني أولى طرقه قبل أعماله منذ البدء) كالنسخة اليسوعية أو الكاثوليكية، والعهد القديم لزماننا الحاضر، وهي تدلّ على الخلقة لا على الولادة والبنوة.

وفي الترجمة السهلة: *(ERV-AR)* وردت: شَكَّلَنِي الله مُنذُ البِدايَةِ، أنا أَوَّلُ أعمالِهِ. هَيَّأَنِي فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، فِي البَدءِ، قَبلَ أنْ تَبدَأَ الأرْضُ.

كذلك تُرجِمَت بالخلق في نسخة شهود يهوه: «يَهْوَهُ خَلَقَنِي بِدَايَةً لِطَرِيقِهِ، أَوَّلَ أَعْمَالِهِ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ.

وأما في النسخة الإنجليزية لتوراة اليهود والمترجمة عن النسخة العبرية فقد ورد:

The LORD made me as the beginning of His way, the first of His works of old.[3].

(١) أرمياء ٧: ٧.

(٢) أرمياء ٢٥: ٥.

(٣) كما في هذا الرابط *http://www.mechon-mamre.org/p/pt/pt2808.htm*.

ولفظ *Made* تعني: **صنع أو ركّب أو أنتج.**

كذلك وردت الترجمة بلفظ (خلقني) في (الترجمة السبعينية)، وقد اعترف بعض شراح الاناجيل باحتمال ترجمتها هذه، ومنهم انطونيوس فكري: والكلمة في العبرية "قنا" تحتمل الترجمة السبعينية فنص الآية بحسب السبعينية "الرب خلقني أول طرقه" وهذا ما اعتمد عليه آريوس.

على أن هناك احتمالاً آخر في النص الأخير وهو كون الخطاب مجازياً بأكمله، فيكون المُتحدِّثُ فيه هو (الحكمة)، وذلك بمراجعة الآيات الأولى حيث تمدحُ الحكمة، ثم تتحدث عن لسان الحكمة: (أنا الحكمة..) ثم تأتي سائر الآيات في نفس السياق: **لأَنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللَّآلِئِ**، وَكُلُّ الْجَوَاهِرِ لاَ تُسَاوِيهَا. «**أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ**، وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ..

لا يقال: الحكمة لا يمكن أن تتحدث.

لأن المعنى **مجازيٌّ تصويري**، فالحكمة لا تسكن، ولا تبني بيتاً، ولا تُرسل جواري، ولا تُطعم طعاماً، إلا أن كل هذه المعاني ثبتت لها في هذا السفر والسفر الذي يليه، ففيه: **اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا**. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ. ذَبَحَتْ ذَبْحَهَا. مَزَجَتْ خَمْرَهَا. أَيْضًا رَتَّبَتْ مَائِدَتَهَا. **أَرْسَلَتْ جَوَارِيَهَا تُنَادِي** عَلَى ظُهُورِ أَعَالِي الْمَدِينَةِ: «مَنْ هُوَ جَاهِلٌ فَلْيَمِلْ إِلَى هُنَا». وَالنَّاقِصُ الْفَهْمِ قَالَتْ لَهُ: «**هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي**، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا. اُتْرُكُوا الْجَهَالاَتِ فَتَحْيَوْا، وَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْفَهْمِ»[1].

---

(١) الأمثال٩: ١-٦.

فيكون النص الثاني أيضاً أجنبياً عن عيسى عليه السلام بهذا التقريب.

والخلاصة أنّه ليس هناك من دليل في العهد القديم على أزلية عيسى عليه السلام، بل الدليلُ قائم على توحيد الله تعالى وحده.

٤. أنه المعبود

ينقل العهد القديم عن النبي دانيال عليه السلام رؤيا رآها عن عيسى عليه السلام تشير إلى تعبُّد كل الشعوب والأمم له، ففيه عن لسان دانيال:

«كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا **مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. **فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ** وَالالسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ. «أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَحَزِنَتْ رُوحِي فِي وَسَطِ جِسْمِي وَأَفْزَعَتْنِي رُؤَى رَأْسِي[1].

والتعبُّدُ لا يكون إلا لله تعالى، فيثبت أن عيسى عليه السلام هو الله تعالى.

المناقشة فيه

ويلاحظ عليه:

أوّلاً: أن (التعبُّد) بحسب الكتاب المقدّس لا يدلّ على الألوهية دائماً، فقد طلب داوود النبي بحسب العهد القديم من الله تعالى أن يجعل كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ.

(١) دانيال٧: ١٣-١٥.

حيث تنسب المزامير لداوود صلوات ورد فيها: اللهمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لابْنِ المَلِكِ.. وَيَمْلِكُ مِنَ البَحْرِ إِلَى البَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ.. مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. **مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ** يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً. **وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ المُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ**[1].

كما تنسب له قوله: **شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي**[2].

وهو ما يرجح أن تكون الترجمة الصحيحة لهذه الآية هي ما ورد في (الترجمة السهلة)، حيث استبدل فيها لفظ (تتعبد له) ب(تخدمه) ففيها: **فَسَتَخدِمُهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَاللُّغاتِ.**

كذلك في ترجمة العالم الجديد: لِتَخْدُمَهُ جَمِيعُ ٱلشُّعُوبِ.

ثانياً: أن عيسى نفسه كان يعبد الله تعالى عبادة العبد لربّه، وقد فاجأ إمامُنا الرضا عليه السلام جاثليق النصارى بكلامٍ ظاهره الانتقاص من نبيّ الله عيسى عليه السلام وهو الذي يُجلّه القرآن الكريم أيُّما إجلال، فقال الإمام عليه السلام في سبيل المحاججة والإلزام لا الاعتقاد:

يَا نَصْرَانِيُّ، وَاللهِ إِنَّا لَنُؤْمِنُ بِعِيسَى الَّذِي آمَنَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، **وَمَا نَنْقِمُ عَلَى عِيسَاكُمْ شَيْئاً إِلَّا ضَعْفَهُ وَقِلَّةَ صِيَامِهِ وَصَلَاتِهِ!**

قَالَ الجَاثِلِيقُ: أَفْسَدْتَ والله عِلْمَكَ وَضَعَّفْتَ أَمْرَكَ، وَمَا كُنْتُ ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّكَ أَعْلَمُ أَهْلِ الإِسْلَامِ.

---

(١) المزامير٧٢: ١و٨و١٠و١١.

(٢) صموئيل الثاني٢٢: ٤٤.

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ الْجَاثِلِيقُ: مِنْ قَوْلِكَ: إِنَّ عِيسَاكُمْ كَانَ ضَعِيفاً قَلِيلَ الصِّيَامِ قَلِيلَ الصَّلَاةِ.

وَمَا أَفْطَرَ عِيسَى يَوْماً قَطُّ وَلَا نَامَ بِلَيْلٍ قَطُّ وَمَا زَالَ صَائِمَ الدَّهْرِ قَائِمَ اللَّيْلِ.

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **فَلِمَنْ كَانَ يَصُومُ وَيُصَلِّي؟**

قَالَ: فَخَرِسَ الْجَاثِلِيقُ وَانْقَطَعَ[1].

فكيف يكون عيسى هو الله تعالى؟ هل يقرُّ عاقلٌ بأن الله كان يعبد الله؟! إذاً لما تميّز العابد من المعبود والخالق من المخلوق!

وبهذا يتبيّن خلو العهد القديم من أي دلالة على ألوهيّة عيسى عليه السلام، بل دلّ على عبوديته لله تعالى صريحاً.

٢. ألوهيّة عيسى في الإنجيل

١. المسيح ربٌّ وإله

استُدِلَّ على ألوهيّة عيسى وربوبيته وأنّه هو الله بعدة نصوص من الإنجيل تفيد أنه ربٌّ وإله، من هذه النصوص كلام توما مع المسيح: أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: «**رَبِّي وَإِلَهِي!**»[2].

(١) التوحيد (للصدوق) ص٤٢٢.

(٢) يوحنا٢٠: ٢٨.

وينقل إنجيل لوقا عن الملاك قوله: **أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ**[1].

وفي رسائل بولس: وَلَهُمُ الآبَاءُ، وَمِنْهُمُ المَسِيحُ حَسَبَ الجَسَدِ، الكَائِنُ عَلَى الكُلِّ **إِلَهًا مُبَارَكًا** إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ[2].

ومن كان رباً وإلهاً فهو الله تعالى.

المناقشة فيه

والاستدلال هنا ينقسم إلى شقين:

الأول: الاستدلال بكونه إلهاً.

والثاني: الاستدلال بكونه ربّاً.

ويلاحظ على الاستدلال الأول (كونه إلهاً):

أولاً: إن الإله في الكتاب المقدّس يطلق على غير الله تعالى، كما أطلق على نبيّ الله موسى عليه السلام، وقد تقدّم ذلك في فقرة (الولد يكون إلهاً قديراً أباً) فلتُرَاجع.

ثانياً: أن ألوهية عيسى بحسب الإنجيل تعني الوساطة بين الله تعالى وبين الناس، ولا تعني بحالٍ أنه الله، أشار إلى ذلك الإنجيل نفسه بقوله: لأَنَّهُ يُوجَدُ **إِلهٌ وَاحِدٌ، وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ المَسِيحُ**[3].

فدلّ على أن عيسى (الإنسان) إلهٌ بمعنى أنه الوسيط بين الناس والله تعالى،

(١) لوقا٢: ١١.

(٢) رومية ٩: ٥.

(٣) تيموثاوس الأولى٢: ٥.

كما يعتقد المسلمون بأن نبي الإسلام محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو الوسيط بين الله تعالى وخلقه، فَوَصفُ عيسى بالإنسان لا يستقيم لو كان المراد من الألوهية هنا هي كونه الله.

ثالثاً: أن إثبات الألوهية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يعني أنه الله تعالى، بل تبقى ألوهية الله تعالى ثابتة على عيسى وعلى غيره من الخلق، شهد بذلك إنجيل يوحنا حين قال: قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ **وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ**»[1].

فدلّ على أن **الله تعالى هو إله عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ كما هو إله سائر الناس.

رابعاً: أن الألوهيّة قد يراد منها الحُبُّ والاتّباع لا أكثر، كما في إنجيل برنابا: ثم قال يسوع: **حقاً إن كل ما يُحبُّه الإنسان ويترك لأجله كلّ شيء سواه فهو إلهه.** وهكذا فإن صنم الزاني هو الزانية، وصنم النَّهِم والسكّير جسده[2]. وكما في القرآن الكريم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ **اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[3].

وقد تقدّم مزيدُ جوابٍ على كونه إلهاً في فقرة (الولد يكون إلهاً قديراً) من التوراة فلتراجع.

ويلاحظ على الاستدلال الثاني (كونه ربّاً):

أولاً: أن الرب أيضاً يُطلق في الكتاب المقدّس على غير الله تعالى، فيُطلق

---

(١) يوحنا٢٠: ١٧.

(٢) الفصل الثالث والثلاثون١و٢.

(٣) الفرقان٤٣.

مثلاً على رب البيت، كما في إنجيل متى: فَجَاءَ **عَبِيدُ رَبِّ البَيْتِ** وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ..[١].

وفيه أيضاً: وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ **تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ البَيْتِ**[٢].

ثانياً: أن الرب يُطلَق في الكتاب المقدّس على **المُعَلِّم**، ففي إنجيل يوحنا من حديث يسوع لتلميذين من تلامذة يوحنا أحدهما أندراوس أخ بطرس:

فَالتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: «**رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ**، أَيْنَ تَمْكُثُ؟»[٣].

فإن الإنجيل نفسه فسّر الرب هنا بمعنى المُعَلِّم، وقد استعملها في المسيح عليه السلام، فيُعرَف من كل مورد استُعمِلَت فيه الربوبية في الإنجيل بحق المسيح أن المراد منه المُعَلِّم.

وشَهِدَ لكون المسيح هو المعلم إنجيل متّى أيضاً: وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، **لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ المَسِيحُ**، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ.. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، **لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ المَسِيحُ**[٤].

ثالثاً: لا يمكن الاستدلال على أن الربوبيّة هنا تعني أنه الله، **لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل عيسى ربّاً** بحسب الإنجيل، ففي أعمال الرسل: فَلْيَعْلَمْ

---

(١) متى١٣: ٢٧.

(٢) متى٢٠: ١١.

(٣) يوحنا١: ٣٨.

(٤) متى٢٣: ٨و١٠.

يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الله جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحاً»(١).

ولذا لا يُصغى إلى ما قاله القسّ الدكتور منيس عبد النور، بحسب الكتاب المقدس على الأقل، فقد قال: إذا أُطلقت كلمة «رب» على غير الله أُضيفت، فيُقال «رب كذا». وأما بالألف واللام فهي مختصَّة بالله. ويُفهم هذا من قرائن الكلام، فإذا قيل «رب المشركين» كان المراد منه معبوداتهم الباطلة، وسمّوها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحقُّ لها، وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه، بخلاف ما إذا قيل «رب المؤمنين» فإنه يُفسَّر بالإله الحقيقي المعبود. **أما إذا قلنا: الله والرب والغفور والرحمن والرحيم والقدير والخالق والمحيي، فهي مختصَّة به تعالى لا يجوز إطلاقها على غير الله»**(٢).

لأن الكتاب المقدس أطلق على عيسى لفظ (الرب) ثم صرّح بأنّ الله تعالى هو الذي جعله ربّاً، لذا لم يكن من الممكن الاستدلال بكون عيسى الرب على أنّه الله، لأن الله تعالى هو الذي جعله رّباً، وربوبية الله تعالى ذاتيّة لا جعليّة، فالله مستغنٍ وعيسى محتاجٌ إلى الله تعالى ليُثبِتَ له هذه الربوبية، فهي ربوبيةٌ دون الربوبية الحقة الكاملة لله تعالى.

وقد ورد في إنجيل مرقس: **ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ،** وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الله(٣).

---

(١) أعمال الرسل٢: ٣٦.

(٢) تعليقته على مزمور ٨٢: ٦.

(٣) مرقس١٦: ١٩.

فلو كان الرب هنا يعني الله لكانت العبارة تفيد أن الله جعل يسوع الله! وأن الله ارتفع وجلس عن يمين الله! وهذا يخالِفُ دلالة العبارة الصريحة في أن الله جعل عيسى ربّاً، والذي قد يعني مُعَلِّماً أو سيّداً، وأنّ عيسى له ربٌ وإلهٌ هو الله.

رابعاً: لا يمكن أن يكون الرب هنا بمعنى الله تعالى لأن ربوبية عيسى منقوضةٌ بولادته وبموته، أما ولادته فلقوله: وُلِدَ لَكُمُ اليَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ **المَسِيحُ الرَّبُّ**[1]، وأما موته فإن عيسى نفسه يخبر عن موته بلفظ (موت الرب): فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الكَأْسَ، **تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ**[2].

والربُّ حيٌّ لا يموت، وعليه فلا دلالة لأي من هذه العبائر على أن عيسى عليه السلام هو الله، بل **دلالتها تامة على أن الله هو ربُّ عيسى وإلهه، وهو الذي جعله ربّاً وإلهاً بالمعنى الممكن الذي يتناسب وكونه مخلوقاً**.

فإن قيل: هناك شاهد من الإنجيل على أنّ الرب هنا يعني أنّه الله وهو التعبير عنه بأنّه (رب الأرباب)، حيث قال: هؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الخَرُوفَ، وَالخَرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ **رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ المُلُوكِ**، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ»[3].

وفيه أيضاً: وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ:«مَلِكُ المُلُوكِ **وَرَبُّ**

---

(١) لوقا٢: ١١.

(٢) كورنثوس الأولى١١: ٢٦.

(٣) رؤيا١٧: ١٤.

الأَرْبَابِ»[١].

كان الجواب: بعدما دل الإنجيل على أن الله ربّ عيسى وإلهه، لا بدّ من الالتزام بأن **ربّ الأرباب هو الله على نحو الحقيقة، وهو عيسى على نحو المجاز**، فهو سيد السادة، ومعلم المعلمين، فإذا كان الحواريون هم المعلِّمون مثلاً وكانوا سادةً كان عيسى سيدهم.

وهي لا تختلف كثيراً عن قول الإنجيل فيه: الكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ المَسِيحِ. هذَا هُوَ **رَبُّ الكُلِّ**[٢]، فإن كونه ربّ الكلّ قد فُسّرت بأنه: **يسوع المسيح هو ربُّ الكل، رب الأمم مثلما هو رب اليهود**[٣].

خامساً: أن بعض نسخ الانجيل ترجمت العبارة بشكلٍ خالٍ عن لفظ (الرب) حيث ورد في ترجمة (الشريف): اليَوْمَ وُلِدَ لَكُمْ مُنْقِذٌ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ هُوَ المَسِيحُ مَوْلَانَا. وفي ترجمة (المعنى الصحيح): اليَومَ وُلِدَ مُنقِذُكُم في بَلدةِ النَّبيِّ داودَ! وُلِد المَسيحُ المُنتَظَرُ مَولاكُم.

وعلى هذه الترجمة فلا ذِكرَ للربوبية أبداً.

سادساً: أن في بعض نِسَخ الأناجيل القديمة التي لم تعترف بها الكنيسة ما يشير إلى كون **كلّ رسولٍ رباً**، ففي **إنجيل الديداكي** الذي يقال أنه كتب بين سنة ٧٠ أو ٨٠ وسنة ١٠٠ للميلاد، وهو من أقدم الأناجيل التي وصلت نسخها إلينا

(١) رؤيا١٩: ١٦.

(٢) أعمال الرسل١٠: ٣٦.

(٣) كما فسّرها وليم ماكدونالد.

نصوصٌ صريحةٌ بذلك منها: **أما بخصوص الرسل والأنبياء، فاعلموا أنه وفقاً لتعليم الإنجيل يكون الأمر هكذا: كل رسول يأتي إليكم اقبلوه كربّ**[١].. ومنها قوله: يا بنيّ، **اذكر ليلاً ونهاراً من يكلمك بكلام الله، أكرمه كربٍّ، لأنه حيث تُقال كلمات الربوبية هناك يكون الرب**[٢].

وأخيراً.. فإن في الإنجيل ما يؤكد أن الربّ الإله هو الذي يعطي عيسى فكيف يكون عيسى عليه السلام هو الرب الإله؟! ففي إنجيل لوقا عند ذكر قصة البشارة لمريم عليها السلام: فَقَالَ لَهَا المَلاَكُ:«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ الله. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ العَلِيِّ يُدْعَى، **وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ**[٣].

وعليه فإن كونه ربّ البيت أو ربّ القوم أو ربّ الأقوام له معنى واحد فارد **ينطبق على عيسى المخلوق**، بخلاف المعنى الذي يُطلق على الله تعالى.

٢. وكان الكلمة الله

من أقوى النصوص التي يُستدلّ بها على ألوهيّة المسيح ما ورد في مَطلع إنجيل يوحنا، والذي يفيد بأنّ الكلمة (وتُفَسَّر بعيسى) هو الله، ونص الآيات هو: **فِي البَدْءِ كَانَ الكَلِمَةُ**، وَالكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، **وَكَانَ الكَلِمَةُ الله**. هذَا كَانَ فِي

(١) إنجيل الديداكي ص٢٣: الإصحاح الحادي عشر ٣و٤.

(٢) إنجيل الديداكي ص٢٠: الإصحاح الرابع١.

(٣) لوقا١: ٣٠-٣٢.

البَدْءِ عِنْدَ الله. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ[١].

فيثبت أن عيسى عليه السلام هو الله.

المناقشة فيه

إن الاستدلال بهذا النص على المطلوب يتوقف على ثبوت مقدّمات:

المقدّمة الأولى: أن يُراد من لفظ (البدء): **الأزل**، فتدلّ حينها على أزلية (الكلمة).

المقدّمة الثانية: أن يُراد من (الكلمة): **عيسى** عليه السلام.

المقدمة الثالثة: أن يُقصد من عبارة (**كان الكلمة الله**) المعنى الحرفي، أي كون عيسى هو الله تعالى.

المقدمة الرابعة: أن يكون المراد من لفظ الجلالة (الله) في الجملتين متعدداً: (وَالكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، **وَكَانَ الكَلِمَةُ الله**) لئلا يكون الآب هو الابن فيتّحد الأقنومان.

ويلاحظ على المقدّمة الأولى (أن يراد بالبدء الأزل):

أن البَدء لا تعني الأزل في الكتاب المقدّس حصراً، فقد ورد في مطلع سفر التكوين من العهد القديم: **فِي البَدْءِ خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**[٢]، ولو كان المراد من البدء الأزل لَزِمَ أزليّة السماوات والأرض، بما يستتبع من تعدُّد القديم.

(١) يوحنا١: ١-٣.

(٢) التكوين١: ١.

والحال أن العقيدة الحقّة تقتضي وجودَ قديمٍ واحدٍ أزليٍّ غير مسبوق بالعدم هو الله تعالى، لم تُشاركه السماوات ولا الأرض في القِدَم، إذ خلقها فصارت موجودةً بعد أن لم تكن.

كذلك استُعمل لفظ (البدء) في العهد الجديد وأُريد منه بَدء ظهور المسيح، كما ذهب اليه مفسرو الإنجيل، ففي رسائل يوحنا: **اَلَّذِي كَانَ مِنَ البَدْءِ**، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الحَيَاةِ[1].

وفسّرها ناشد حنا بقوله: **عرفنا أن "البدء" هنا هو بدء ظهور الابن له المجد في الجسد** أي بدء تجسد المسيح.

فهذان موردان من العهد القديم والجديد قد أريد من البدء بهما البدء النسبيّ لا المطلق، فلم يكن بدء الخليقة ولا بدء تجسد عيسى أزلياً، رغم استعمال لفظ البدء فيه دون إشارة إلى نسبيته، وما ذاك إلا لوضوحه بعد القطع بأن الله تعالى وحده الأزلي.

كذلك ورد في إنجيل يوحنا: **أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ البَدْءِ**، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ[2].

فإنه يُثبِت على تفسيرهم كون إبليس أزلياً.

---

(١) يوحنا الأولى١: ١.

(٢) يوحنا٨: ٤٤.

لا يقال: هذا قرينته معه بخلاف ما تقدم، والقرينة هي كونُه قَتّالاً للناس من البدء فيكون المراد بدء وجود الناس.

لأنّنا نقول: القرينة في عيسى أوضح، لثبوت أن الأزلية منحصرةٌ بالواحد الأحد، وأنّ الله تعالى كان ولم يكن معه شيء، ولثبوت كون عيسى عليه السلام مخلوقاً بصريح الإنجيل، فغاية ما تدلُّ عليه هذه الآيات هو تقدُّم وجود الكلمة على ما سواها من مخلوقات الله تعالى.

أما شهادة الإنجيل حول خلق عيسى عليه السلام، فبوصفه أنّه: **بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ**[١]. وأنّه: **بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ الله**[٢]. أو: **بِدَايَةُ خَلِيقَةِ ٱلله**، على ما في ترجمة العالم الجديد، و: **رأس خليقة الله**، كما في ترجمة الآباء الدومنيكان.

والقول بأن المراد من (البدء) في آيات يوحنا هو معنىً خاص يختلف عما في سائر الموارد كما يقول بعض علماء النصارى[٣] هو تَحَكُّمٌ لا وجه له، فإن الشواهد تؤكد على نفي الأزلية لعدم ظهور اللفظ في الأزلية أولاً كما تبيّن، ولقيام القرائن على عدم إرادة الأزلية ثانياً بعد وصف عيسى بأنه مخلوق.

نعم ورد في بعض نسخ الانجيل استعمال لفظ (الأزل) بدلاً من (البدء) في ذيل الآية، مع الحفاظ على لفظ (البدء) في صدرها، ويظهر أنه من اجتهادات وتفسير المترجمين لخلوّ أكثر النسخ منه، فلو كانت تدلّ على معنى الأزل صريحاً لترجموه إليها لموافقته لمعتقدهم في أزلية عيسى، ولمّا كان أغلبها قد ترجمها بالبدء

---

(١) كولوسي١: ١٥.

(٢) رؤيا٣: ١٤.

(٣) عوض سمعان في كتاب: الله في المسيحية ص١٧٥.

مع مخالفتها لعقيدتهم يكون الراجح هو ما ذكرناه من عدم دلالتها على الأزل.

كذلك ترجمه بعضهم ب(الأصل) كما في ترجمة الشريف: فِي الأَصْلِ كَانَ الكَلِمَةُ.

فلا تتضمن هذه الآيات ما يثبت الأزلية لعيسى عليه السلام بلفظ (البدء).

ويلاحظ على المقدّمة الثانية (أن يراد بالكلمة عيسى):

أنّ الكلمة في الإنجيل تطلق على عيسى عليه السلام وعلى غيره، فهي تطلق على كلام الله تعالى، كما في رسالة يعقوب: وَلكِنْ **كُونُوا عَامِلِينَ بِالكَلِمَةِ**، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ[1].

وأقرّ المفسرون بإرادة الكتاب المقدس منها، فقال وليم ماكدونالد: **علينا أن نُتَرِجم الكتاب المقدس إلى عمل؛ وينبغي للكلمة أن تتجسّد في حياتنا.**

وقال عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: الكتب المقدسة.. تعلن مراراً وتكراراً وتؤكد أنها **بوصفها كتابات، فهي أيضاً كلمة الله**[2].

فلا وجه لجعلها مختصّةً بعيسى عليه السلام دون قرينة، فيحتمل أن يكون المراد منها كلام الله تعالى، بمعنى أوامره ولو على سبيل الاحتمال، ويشهد له تتمة الآيات: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ: فبكلمات الله خلق الله الخلق، كما يعتقد بذلك المسلمون: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا

(١) يعقوب١: ٢٢.

(٢) بين العقل والإيمان ج١ ص١٣٦.

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

ويلاحظ على المقدّمة الثالثة (أن يُقصَد بها المعنى الحرفي):

أولاً: ان نسخ الانجيل تختلف في ترجمة هذه الفقرة، ففي ترجمة العالم الجديد لشهود يهوه اختلافٌ كبيرٌ عن النص المعروف:

فِي ٱلْبَدْءِ كَانَ ٱلْكَلِمَةُ، وَٱلْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ ٱللهِ، **وَكَانَ ٱلْكَلِمَةُ إِلٰهًا**. هٰذَا كَانَ فِي ٱلْبَدْءِ عِنْدَ ٱللهِ. بِهِ وُجِدَ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ.

وعلى هذه الترجمة فإن كون الكلمة إلهاً لا تعني أنها الله أبداً، كما تقدّم من كون لفظ الإله يُستخدم في أنبياء الله تعالى كما استعمل في موسى عليه السلام، وعليه يدلّ على أن الله تعالى جعل عيسى إلهاً بالمعاني المتقدمة، فهو سيّدٌ ومعلّمٌ، هذا لو سلّمنا دلالتها على عيسى.

كذلك ورد في ترجمة الشريف *SAB*: فِي الأَصْلِ كَانَ الكَلِمَةُ. وَكَانَ الكَلِمَةُ عِنْدَ الله. **وَالكَلِمَةُ هُوَ ذَاتُ الإِلَهِ**، فَإِنَّهُ كَانَ فِي الأَصْلِ عِنْدَ الله.

وفي ترجمة ابن العسال: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، **وإلهاً كان الكلمة**. هذا كان منذ الأزل عند الله.

وفي الأناجيل الأربعة المترجمة عن القبطية سنة ١٩٣٥ (لحبيب جرجس) عين ما ورد في ترجمة ابن العسال.

وهذه الترجمات كلّها تفيد أن الكلمة كان إلهاً، وقد تقدّم بيان استعمال الإله في غير الله تعالى.

---

(١) البقرة١١٧.

نعم ورد في ترجمة العسال والقبطية (منذ الأزل) وقد عالجناها في المقدمة الأولى.

كذلك اختلفت عنهم ترجمة: المعنى الصحيح لإنجيل المسيح *TMA* فقد ورد فيها: فِي البَدءِ، قَبلَ خَلقِ الكَونِ، كانَ الكَلِمةُ – كَلِمةُ الله. وكانَ الكَلِمةُ مَعَ الله، **وكانَ قائِماً في ذاتِ الله.**

وعلى هذه الترجمة يستقيم المعنى بشكلٍ بديعٍ بما لا يُعارِضُ الأصول العقلية ولا النقلية، فتكون الآية دالّة على أن الكلمة كان عند الله بمعنى **علم الله تعالى** بكُتُبِه وآياته قبل إنزال الكتب وخلق الخلق وإرسال الرسل، وهو موافقٌ لعقيدة النصارى والمسلمين، والشاهد على ذلك هو كون صفات الله عين ذاته[1] فيكون المراد من: **قائماً في ذات الله، أي ثابتاً في علم الله**، كما ورد عندنا في الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام: عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: سَالتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: هَلْ يَكُونُ اليَوْمَ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ الله بِالأَمْسِ؟

قَالَ: لَا، مَنْ قَالَ هَذَا فَأَخْزَاهُ الله.

قُلْتُ: أَ رَأَيْتَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، **أَلَيْسَ فِي عِلْمِ الله؟**

قَالَ: **بَلَى، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ**[2].

وفي حديث آخر: عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَا بَعَثَ الله عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا **وَفِي عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ** أَنَّهُ إِذَا أَكْمَلَ لَهُ دِينَهُ كَانَ فِيهِ تَحْرِيمُ الخَمْرِ وَلَمْ تَزَلِ

---

(١) تعرّضنا لذلك في كِتابَي: عرفان آل محمد عليهم السلام، والثالوث صليب العقل.

(٢) الكافي ج١ ص١٤٨.

الخَمْرُ حَرَاماً[١].

كلّ هذه الاختلافات شواهدُ على عدم إرادة المعنى الحرفيّ منها، فلا يثبت بذلك كون عيسى هو الله.

ثانياً: أن اليهود غالباً ما يعبّرون عن الله ب(كلمة الله) أو أمره أو ملائكته، يظهر ذلك مما ورد في سفر الخروج في النسخ المعروفة: **وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ المَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ الله**، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الجَبَلِ[٢].

لكنها وردت في التوراة السومرية ترجمة أبو الحسن إسحاق الصوري: وأخرج موسى القوم **للقاء ملائكة الله** من المعسكر. ووقفوا في أسفل الجبل.

وفي تفسير التوراة بالعربية: للكاهن سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي: فأخرج موسى القوم **ليتلقى أمر الله** من العسكر، فوقفوا أسفل الجبل.

لذا كتب شارح الانجيل ديفيد جوزيك في شرحه لمطلع إنجيل يوحنا: غالباً ما يشير معلمو اليهود إلى الله (خاصة عند الحديث عن شخصه) مستخدمين تعبير (الكلمة).. فحسب التفكير اليهودي القديم **يجوز استخدام العبارة " كلمة الله" بدلاً من الله**[٣].

وعلى هذا التفسير يكون المراد من الآيات أنه في البدء أي بدء الخلق كان أمر الله، وكل شيء به كان، أي كان كل شيء بأمر الله تعالى، وتكون الآية نصاً على

---

(١) الكافي ج٦ ص٣٩٥.

(٢) الخروج١٩: ١٧.

(٣) عبر هذا الرابط: *https://enduringword.com/ar/john-01-ar*.

جواز استخدام لفظ الكلمة أو كلمة الله أو أمر الله بدل اسم الجلالة (الله).

ثالثاً: أنّ في الكتاب المقدّس شواهدُ على إطلاق اسم الجلالة على غير الله تعالى، كإطلاقه على ملائكته لكونهم الناقلين لرسالته، كما ينقل سفر التكوين عن يعقوب قوله: **وَقَالَ لِي مَلاَكُ اللهِ فِي الحُلْمِ**: يَا يَعْقُوبُ. فَقُلْتُ: هأَنَذَا. **فَقَالَ**: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ.. **أَنَا إِلهُ بَيْتِ إِيلَ**[1].

فالمراد من عبارة: (إله بيت إيل) هو الله تعالى، لكن المتكلّم وهو الملاك قال عن نفسه (أنا إله بيت إيل)، وإنّما صحّ هذا الاستعمال بحسب الكتاب المقدّس كون الملاك ناقلاً لكلام الله تعالى، وهو نظير نسبة الفعل للفاعل والآمر معاً، كما في قوله: فَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، **لأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ**[2].

فإذا كان الكتاب المقدّس قد صحّح وصف الملاك نفسه بما ينقله عن الله تعالى، وصحّح نسبة الفعل للآمر والفاعل، فإن كلّ نصٍّ دلّ على وصف عيسى بصفات الله **يُحمَلُ على كون الصفات حقيقية لله تعالى، وعيسى رسولُه هو الواسطة في نقلها أو التعبير عنها** في إنجيله، وكلُّ نصٍّ دلّ على أن الفاعل لفعل عيسى هو الله لا يثبت ألوهية عيسى بل **يثبت أن الله تعالى هو الآمر لعيسى** عليه السلام.

كلُّ هذا بحسب الكتاب المقدس.

على أن فيه موارد أخرى رأى فيها مَنوح وامرأته (ملاك الرب) بصورة رجل، فقالا: قَدْ رَأَيْنَا اللهَ[3].

(١) التكوين٢٤: ١١-١٣.

(٢) الخروج٣٢: ٣٥.

(٣) القضاة١٣: ١١-٢٢.

رابعاً: أن في كلمات علماء النصارى ما يؤكد عدم حرفيّة هذه الألفاظ بالمعنى الذي يستدلون به، وذلك عند **اعترافهم بعدم ورود نصٍّ يدل على أن عيسى هو الله**، ومن هؤلاء الاب فاضل سيداروس حيث يقول: **من اللافت للنظر أنه لم يرد مرة واحدة على لسانه أنّه (الله)، بل كان يعتبر نفسه (الابن)** لأن ما يهمه في الأمر إنما هو علاقته البنويّة. فلا كيان له إلا في داخل علاقته بالآب، علاقة الابن الذي يَقتَبِلُ حياته من أبيه[1].

وما يَهُمُّنا من هذا الاعتراف هو التصريح بعدم ورود نصٍّ يدل على أن عيسى هو الله، وهو عين ما قلناه في تفسيرنا لهذا النص (وكان الكلمة الله).

ويلاحظ على المقدّمة الرابعة (تعدُّد معاني لفظ الجلالة):

أن المسلمين يعتقدون بأن لفظ الجلالة (الله) لا يطلق إلا على الذات الإلهية المقدّسة، ولا يصح إطلاقه على أحد سوى الذات المقدسة لا على نحو الحقيقة ولا على نحو المجاز.

لكن الأمر ليس محلَّ اتّفاقٍ عند النصارى، إذ لو أريد من لفظ الجلالة (الله) معنىً واحد في الموردين (وَالكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، وَكَانَ الكَلِمَةُ الله): **لَلَزِمَ على عقيدة النصارى كون الآب هو الابن، أي كون الله الآب هو الله الابن، أي لَصَارَ الأقنومان الأول والثاني أقنوماً واحداً أي شخصاً واحداً ولارتفع التمايز بينهما، وهذا إشكالٌ عويصٌ على فهمهم لهذا لآية**، لذا لجؤوا إلى التصرُّف في فهم الآيات، فقال القسّ منسّى يوحنا ما يلي:

---

(١) سر الثالوث الاحد ص٥٠.

قال أحد المُفسِّرين: قال يوحنا الإنجيلي «والكلمة كان عند الله» وفي هذا القول أمران: أولاً: أنَّ الابن كان أقنوماً مُميَّزاً عن الآب. ثانياً **أنَّه مع ذلك بينهما اتِّحاد كامل واتِّفاق تامّ** في كُلّ رأي وقضاء وعمل. وقال أيضاً: «وكان الكلمة الله» **ومعناه أنَّه مساوٍ للآب في الجوهر، أي أنَّ له صِفات الآب نفسها وقوّته،** واستحقاقه الإكرام والطّاعة والعبادة التي يستحقها الآب. **ولفظة الله هنا، تختلف عنها في الجملة التي قبلها، ومعناها هُنا جَوهَرُ اللاهوت**[1].

فقال أن لفظ (الله) الأول دالٌّ على أقنوم الآب، أي الله الآب، بمعنى أن عيسى الأقنوم كان عند (الله) أي عند الله الآب.

وأن لفظ (الله) الثاني دالٌّ على (جوهر الله) لا على أقنومه، فيكون عيسى هو الله بمعنى اشتراكه مع الله في الجوهر.

نقول: هذا **تصرُّفٌ في فهم الآية بلا شاهدٍ ولا قرينة،** بل **هذا إسقاطٌ لعقيدة الثالوث على الآيات،** ولو ساغ التصرُّف بظاهرها لحلّ الإشكال العويص عليهم، فإنَّ تَصَرُّفَنَا بظاهرها أولى من تصرفهم، لأن تصرُّفَنَا مما تحتمله اللغة وتُرشِدُ إليه وتدلُّ عليه القرائن، بخلاف ما ذهبوا إليه.

ومن القرائن على ما ذهبنا إليه هو دلالة الكتاب المقدس على توحيد الله تعالى توحيداً مطلقاً كما تقدم في الفصل الثاني، ودلالته على نفي تشبيهه بخلقه، ودلالته على أن كل ما عند عيسى فمن الله، وبناء عليه يكون مفاد الآية حينها أن عيسى هو الطريق إلى الله، كما عبّر الكتاب المقدّس عن ملاك الله أنه الله، كما تدل

(١) شمس البِر ص١٥٥.

على أن عيسى هو أقرب الناس إليه تعالى، دون أي دلالة على الأقانيم الثلاثة.

ويتوقف استدلالهم بهذه الآية على أن يكون المراد من (الله) في كل مورد معنى مختلف عن المورد الآخر، وهو ما لا شاهد عليه، فخرج الاستدلال عن ظاهر اللفظ إلى معانٍ أسقطت عليه.

وما ذهب إليه بعض شُرّاح الإنجيل كبنيامين بنكرتن من وجود قرينة على هذا التفسير هو دعوى بلا دليل، فبعد الاعتراف بخطورة الاشكال بقوله: **لو وردت هذه الجملة بلا قرينتها لكان ممكنًا أنّ أحدًا يزعم أن الكلمة هو الله، والله هو الكلمة، وأنهُ لا يوجد تثليث الأقانيم.**

يعود فيقول: **ولكن كلام البشير واضحٌ مُفَصَّلٌ كلهيب سيف متقلب لحراسة مجد المسيح الخاص، ويعلن لنا بهذه العبارات القصيرة أنهُ موجود من الأزل**، وأنهُ الله في الجوهر وأقنوم خاصّ.

أما ما هي القرينة التي يعتمدون عليها؟ فهي عقيدتهم نفسها من الاعتقاد بأن عيسى عليه السلام مساو لله في الأزلية الجوهر، أي أنه يستدل بالمُدَّعى!

ثم يقول بنكرتن: **لفظة الله هي اسمٌ للجلالة الإلهية وتطلق على كلٍّ من الأقانيم**، فإذا قيل: في البدء خلق الله السماوات والأرض، فالمقصود بذلك هو الله الابن كما يتضح من هذه الآية ومن شهادات أخرى كثيرة.. فإيجاد جميع الكائنات من لا شيء هو من أفعال الله الذي شاء وأوجدها بقدرتهِ. ولكن ذلك ينسب للأقنوم الثاني على سبيل الإيجاب والسلب لأن الوحي يقول أيضاً: وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان.

وهو هنا يستدلُّ مجدداً بالمُدّعى، فإن الدعوى هي أن لفظ (الله) وهو اسم الجلالة مُشتَرَكٌ يطلق على الذات المقدسة وعلى عيسى (الذي يشترك مع الله في جوهره حسبما يقولون)، ولكي يَتِمّ الدليل عندهم لا بد من التسليم بفهمهم لهذه الآية، ولكي تُفهَم الآية كما يقولون لا بدّ من التسليم بما يقولون من كون الله مشترَكاً بين عيسى والله، ومن اتصافهما بجوهر واحد!

هذا وللقديس يوحنا الدمشقي كلماتٌ مهمةٌ يعتبر فيها أن (الآب والابن) هما اسمان خاصان لأقنومين، أما (الله والرب) فهما اسمان مشتركان، يقول:

ان تسمية الله هي في الواقع مشتركة بين الآب والابن[1].. ان **الآب والابن هما اسمان خاصان لهذين الأقنومين، بينما الله والرب هما اسمان مشتركان.. ليس للفظة الله معنى أرفع من لفظة الرب**، وليس للفظة الرب معنى أقل رفعة من لفظة الله[2].. ليس الابن دون الآب، **وليس لاسم الرب قيمة أقلّ من اسم الله**، لهذا يطلق الكتاب هاتين التسميتين على الآب والابن على السواء[3].

ويلاحظ على كلماته: أن اعتبار تسمية (الله) مشتركة بين الذات الإلهية وبين عيسى لا يدلُّ على اتصاف عيسى بصفات الذات الإلهية المقدسة، بضميمة الاعتراف بكون الرب كذلك مشتركاً، وكونه ليس أقل قيمة من اسم الله.

حيث أنه قد ثبت استعمال الربوبية لغير الذات المقدسة دون أن تثبت صفات الذات المقدسة لمن استعملت فيه الربوبية.

---

(١) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص١٤٤-١٤٥.

(٢) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص١٤٥

(٣) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص١٤٦.

بعبارة أخرى: كما ثبت (بحسب الكتاب المقدس دوماً) ان الرب هو اسمٌ مشترك يُستعمل في الذات الإلهية المقدسة وفي عيسى عليه السلام وفي غيرهما دون أن يلزم من ذلك وصف من سوى الله تعالى بصفاته، كذلك (على القول بأن الله اسم مشترك) فلو سلمنا بإطلاقه على عيسى في الآية لا يكون فيه أي دلالة على اتصافه بصفات الذات الإلهية المقدسة، جمعاً بين إطلاق اللفظ عليه وبين وصفه بصفات الإنسان المخلوق.

لكلّ ما تقدّم يتضح عدم دلالة هذا النص على ألوهيّة عيسى عليه السلام بوجه.

٣. بُنُوَّة المسيح لله

استُدِلَّ على ألوهيّة المسيح بأنّه ابن الله تعالى. والنصوصُ في بنوّته كثيرةٌ في الإنجيل، من أهمّها: بَدْءُ إِنْجِيلِ **يَسُوعَ المَسِيحِ ابْنِ الله**[١].

ومنها: الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ العَالَمِينَ.. صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ المَلائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ المَلائِكَةِ قَالَ قَطُّ: «**أَنْتَ ابْنِي أَنَا اليَوْمَ وَلَدْتُكَ**»؟ وَأَيْضًا: «**أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا**»؟ وَأَيْضًا مَتَى **أَدْخَلَ البِكْرَ إِلَى العَالَمِ** يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلائِكَةِ الله»[٢].

يقول مفسر الإنجيل وليام ماكدونالد في تفسير هذه الآيات: **عندما يوصف الرب يسوع بأنه ابن الله، فهذا يعني أنه مساوٍ لله.**

(١) مرقس١ : ١.

(٢) العبرانيين١ : ١-٦.

فالإستدلال بها يكون من جهة دلالتها على مساواته عليه السلام لله تعالى، وعلى أزليته عليه السلام.

المناقشة فيه

والمناقشة فيها من جهتين: جهة الأبوّة، وجهة البنوّة.

١. جهة الأبوّة

يُلاحَظُ أن من أسماء الله في الإنجيل (الآب).

وبغضّ النظر عن صحّة هذه التسمية من عدمها[١]، نسيرُ مع الإنجيل في تسميته هذه لنرى هل تدل هذه النصوص فيه على مساواة عيسى لله تعالى أم لا؟ بعد التسليم بكون عيسى ليس الآب، بل يُطلِقُ عليه الكتاب المقدس لفظ (الابن)، اذ لو كان عيسى الابن هو الآب لم تتعدد الأقانيم.

ومن الواضح أن الآب (بحسب الإنجيل) هو ربُّ السماء والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو ربُّ عيسى وإلهه، **فكيف يكون مساوياً له؟**

ورد في إنجيل متى: **فِي ذلِكَ الوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ**[٢].

فعيسى عليه السلام يحمد الآب الذي هو الله تعالى بحسب الإنجيل، فكيف يكون عيسى هو الله؟!

(١) لا يعتقد المسلمون بصحة أو جواز إطلاق مثل هذا الاسم على الله تعالى.

(٢) متى ١١: ٢٥.

وليست أبوّة الآب مختصة بعيسى في الإنجيل، فقد عُدَّ الآبُ أباً للمؤمنين أيضاً: فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الحَسَنَةَ، **وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**(١).

وفي الإنجيل أيضاً: لِكَيْ **تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ(٢).

وفيه: فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا **أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ** هُوَ كَامِلٌ(٣).

وقد أمر الإنجيلُ الناسَ بالدعاء لأبيهم قائلاً: فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: **أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ(٤).

وفيه: فَإِنْ كُنْتُمْ **وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ** تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، **فَكَمْ بِالحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ**!**(٥).

وهذه الأبوّة عامّةٌ للجميع، ففي إنجيل متى: وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، **لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**(٦).

وهذا الآب إلهٌ للكلّ بمن فيهم المسيح: **إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ**، الَّذِي عَلَى

---

(١) متى٥: ١٦.

(٢) متى٥: ٤٥.

(٣) متى٥: ٤٨.

(٤) متى٦: ٩.

(٥) متى٧: ١١.

(٦) متى٢٣: ٩.

الكُلِّ وَبِالكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ[1].

وفي رسائل بولس لكنيسة كُورِنْثُوسَ: نِعْمَةٌ **لَكُمْ وَسَلامٌ مِنَ الله أَبِينَا** وَالرَّبِّ يَسُوعَ المَسِيحِ[2].

ثم إنّ ثبوتَ أبوّة الله تعالى للمسيح ولآدم وللمؤمنين هو دليلٌ على مغايرتهم لله تعالى، وهو دليلٌ على نفي ألوهيتهم بحسب الكتاب المقدّس دائماً، إذ دلّ على أن الله (الآب وليس عيسى) هو الإله الحقيقيّ وحده، وذلك بنصّ كلام عيسى عليه السلام نفسه:

تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ **وَقَالَ**: «**أَيُّهَا الآبُ**، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. **مَجِّدِ ابْنَكَ** لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: **أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ** وَيَسُوعَ **المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ**. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. العَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»[3].

فالحياة الأبدية بحسب هذا النص إذاً ترتكز على أمرين:

الأول: معرفة الإله الحقيقي، وهو الله وحدَه، وهو المُرسِل.

والثاني: معرفة المُرسَل، وهو يسوع المسيح.

وكلُّ ألوهيةٍ لعيسى المسيح عليه السلام أو لغيره كموسى عليه السلام أو لغيرهما ممن ورد

---

(١) أفسس ٤: ٦.

(٢) كورنثوس الأولى١: ٣.

(٣) يوحنا١٧: ١-٤.

ذكرهم في الكتاب المقدّس هي ألوهيّة غير حقيقة.. إضافيّة.. مجازيّة.. ما شئت عنها فعبِّر.

وهذا النص وأمثاله من نصوصٍ كثيرةٍ **يُثبِتُ المباينة بين الله تعالى المرسِل وبين عيسى النبيّ المرسَل.**

ولا يُعقل أن يكون يسوع المسيح هو الإله الحقيقيّ أيضاً، لثبوت التغايُر بين المرسِل والمرسَل وبين المُعطي والمعطَى.

كذلك يُثبت الإنجيل لله تعالى وحده رب الأرباب صفةَ عدم الموت (بذاته)، فعيسى قد مات (بحسب عقيدة النصارى)، لكنّ الله تعالى وحده لا يموت، فكيف يكون عيسى مساوياً لله؟

ففي بعض رسائل بولس: **أُوصِيكَ أَمَامَ الله الَّذِي يُحْيِي الكُلَّ، وَالمَسِيح يَسُوعَ** الَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيلاَطُسَ البُنْطِيِّ بِالاعْتِرَافِ الحَسَنِ: أَنْ تَحْفَظَ الوَصِيَّةَ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ لَوْمٍ إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ، الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ المُبَارَكُ **العَزِيزُ الوَحِيدُ: مَلِكُ المُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَاب، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ المَوْتِ،** سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، **الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ،** الَّذِي لَهُ الكَرَامَةُ وَالقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ[1].

فإنّ الله هنا في هذا النص ليس هو المسيح جزماً، وهو الوحيد الذي له عدم الموت، والذي لم يره الناس، فيما مات يسوع المسيح، ورآه الناس، فكيف تَثبُتُ المساواة بين الله تعالى وبين عيسى؟!

---

(١) تيموثاوس الأولى٦: ١٣-١٦.

على أنّ فتح الباب أمام القول بأن الله هو (آب) يجعل الأمور بلا ضابطةٍ، ويفتح الباب أمام ما ورد في بعض الأناجيل المنحولة التي لم تقبلها الكنيسة، **كوجود آبٍ لهذا الآب!** ففي البردية رقم ١٠٨١ من برديات البَهنسا[١]:.. قال لهم المخلص: .. إن إشعاع الذّكاء هذا يُعَلِّمُكُم أن **تجدوا الإيمان الذي يُظهره الآب الذي لا أب له**. مَن له أذنان للسمع فليسمَع. **ان سيّد الأشياء كلّها ليس الآب بل الجدّ! لأن الآب هو فقط مصدرُ ما سوف يحدث. لكنَ أباه هو الجَدّ، إلهُ كلّ الأشياء منذ البدء حتى الأزمنة البعيدة**[٢].

ومع قبول النصارى لوصف الله تعالى بالأبوّة، وإنكار المانع العقليّ من ذلك، فليس لهم ما يحتجّون به على القائلين بوجود أبٍ لهذا الأب وهو الجدّ!

كذلك ستكون حجّتهم خاسرةً أمام القائل بأن عيسى هو الآب لكل شيء! بل أنّه الآب والابن! وإن كان هذا القول باطلاً في نفسه، وهو قول المورمون[٣]: **وسيُدعى يسوع المسيح، ابن الله، أب السماء والأرض،** خالق كل الأشياء منذ البداية[٤].

---

(١) البَهنسا مدينة تبعد ١٠٠ ميل جنوب القاهرة، وقد اكتُشفت هذه البرديات بين العام ١٨٩٧ والعام ١٩٠٤م في حالٍ سيئة جداً.. وتعود الى القرن الثالث للميلاد.

(٢) الأناجيل المنحولة ص٢٢٠.

(٣) هم جماعة دينية ضمن الدين المسيحي، يعتقدون بنبوّة جوزف سميث (١٨٠٥–١٨٤٤م) الذي أتى بكتاب اسمه (المورمون) يقول أنّه: كتب بروح النبوة والرؤيا، وأنّه سفر مقدس مثل الكتاب المقدس، وأنّه أصحّ كتاب على الأرض.

(٤) كتاب مورمون: سفر موصايا٣: ٨.

ويقولون: **إن المسيح كان الإله، الآب لكل الأشياء**[١].

وفيه: أودّ أن تفهموا أن الله **نفسه سيأتي بين بني البشر** وأنه سيفتدي قومه. ولأنه **ظهر في الجسد فسيُدعى ابن الله** مُخضِعاً الجسد لإرادة الرب، **فهو الآب والابن!** الآب لأنّه تَخَلَّقَ بقوّة الله، والابن بسبب الجسد، **وهكذا أصبح الآب والابن. وكلاهما إله واحد،** نعم الآب الأزلي للسماء والأرض[٢].

وهكذا ينفتح الباب أمام أقوالٍ أشدُّ بطلاناً لا تستندُ إلى أي دليل كما لم يستند القول بالثالوث وبألوهية عيسى إلى أيّ دليل، حيث لم يثبت أن عيسى هو الله بوجهٍ من الوجوه بحسب الكتاب المقدّس من جهة الأبوّة.

٢. جهة البنوة

من الواضح أن **بنوّة الله المذكورة في الإنجيل لا تدلّ على المساواة أبداً بين الآب والابن،** فقد استعمل الكتابُ المقدَّسُ البنوّة في غير المسيح أيضاً في موارد كثيرة، منها بنوّة آدم لله تعالى، كما في إنجيل لوقا: .. بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، **بْنِ آدَمَ، ابْنِ الله**[٣].

وهي بنوّة خاصّة لآدم عليه السلام هنا، فلو كانت تعني المساواة لله للزم مساواة آدم لله تعالى أيضاً.

بل استُعمِلَت البنوّة في المؤمنين في موارد كثيرة، وقد استعمل الإنجيل

(١) كتاب مورمون: سفر موصايا٧: ٢٧.

(٢) كتاب مورمون: سفر موصايا١٥: ١-٤.

(٣) لوقا٣: ٣٨.

لفظي (أبناء الله) و(أولاد الله)، في موارد عدّة، منها ما في رسائل يوحنا: **أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ الله! مِنْ أَجْلِ هذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ. أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ الله، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ**[1].

ومنها: **لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ الله**[2].

وأعطى لهذين اللفظين (أبناء الله) و(أولاد الله) **معانٍ عدّة** يصحّ استعمالها في عيسى كما استعملت في غيره، ومن ذلك:

١. **الإيمان بالله**: في الكتاب المقدس ارتباطٌ بين الإيمان بالله والبنوّة والولادة: **وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ الله، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**[3].

٢. **الانقياد لله**: **لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ الله، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ الله**[4].

واستعمل عيسى عليه السلام البنوّة والولادة بهذا المعنى احتجاجاً على من ينتسب لإبراهيم ولا يعمل بعمله، فقال لهم: «**لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!**»[5].

وفي نسخة أخرى: **لو كنتم أبناء إبراهيم لفعلتم أفعال إبراهيم**[6].

---

(١) يوحنا الأولى٣: ١و٢.

(٢) غلاطية٣: ٢٦.

(٣) يوحنا١: ١٢.

(٤) رومية٨: ١٤.

(٥) يوحنا٨: ٣٩.

(٦) الأناجيل النصوص الكاملة ص٣٦٤.

وهو شاهدٌ على أن المراد بالولد والابن واحد.

وأول المؤمنين بالله تعالى والمنقادين له هم أنبياء الله ورسله.

ولذا فإن عيسى بعد أن نفى انتساب هذه الفئة لإبراهيم عليه السلام بسبب مخالفتهم لمنهاجه، أثبت لهم البنوّة لإبليس مع أنهم ليسوا أبناءه حقيقة إنما هم من صنف البشر، فقال لهم: **أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ**، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا[1].

وفسّرها وليم ماكدونالد بقوله: وهذا لا يعني أنهم قد وُلدوا من إبليس، كما يولد المؤمنون من الله. لكنه يعني، كما قال اغسطينوس، إنهم **كانوا أولاد إبليس بمشابهته**. لقد كانوا، بطريقة حياتهم، يعلنون علاقتهم بإبليس.

فيكون عيسى ابن الله بمعنى إيمانه بالله وانقياده له تعالى، كما كان القوم أبناء ابليس بمعنى اتباعهم لطريقه.

٣. صناعة السلام: طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، **لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ الله يُدْعَوْنَ**[2]، وقد وصف عيسى عليه السلام في الكتاب المقدس بأنه: رَئِيس السَّلاَمِ[3].

فيكون ابن الله بمعنى أنه مبعوث الله لأجل السلام.

٤. البنوّة بمعنى الخلقة أي أن الله خلقهم، فقد اعترف مفسرو الانجيل بأن المراد من البنوّة قد يكون الخَلق، فقال مفسر الإنجيل وليام ماكدونالد في شرحه

---

(١) يوحنا٨: ٤٤.

(٢) متى٥: ٩.

(٣) أشعياء٩: ٦.

على الآيات محل البحث: **إن الملائكة، بشكل جماعي، مذكورٌ عنهم أنهم أبناء الله** (أي١: ٦؛ مز٨٩: ٦)، **لكن المعنى هنا لا يتعدى كونهم مخلوقات.**

فلماذا صارت البنوّة في المسيح تدل على مساواته لله تعالى؟ والبنوّة في الملائكة تدل على الخِلقَة؟

هذا تفسيرٌ بالرأي لا شاهد له من الإنجيل.

وقد اعترف بعض شرّاح الانجيل بعدم دلالة هذه الآيات على الأزلية، فقال ناشد حنا في تفسيره: وقبل كل شيءٍ يجب أن نستبعدَ من أذهاننا بالتمام فكرة "الولادة" **فالابن ليس مولوداً من الله في الأزل**، لا ولادة روحية ولا طبيعية.

وقد فسّر بعض علماء النصارى البنوّة لله بأنها تدل على كونه (جاء من عند الله)، قال القمص زكريا بطرس: في قولنا **المسيح ابن الله** لا نقصد أنّ المسيح جاء عن طريق تزاوج على طريقة ما. فقولنا «ابن» لا نقصد بها العلاقة الجسديّة أو الولادة التناسليّة، **وإنّما نقول «المسيح ابن الله» أي أنّه جاء من عند الله**. فالله هو روحٌ، لذا تنبع بنوّة المسيح من أبوّة الله الروحيّ[١].

فهم مع قولهم بالأزلية لا يعتقدون بإمكان الاستدلال عليها بالبنوّة، لأنّها لا تتضمن معنى الأزلية، بل تعني أنه جاء من عند الله بِحَسَبِهِم، وهو ينسجم مع الخِلقة، والخِلقَةُ تقتضي العبوديّة، بل **لعلّ من معاني البنوّة في الإنجيل العبوديّة** التي تقابل الألوهيّة لمقام التقابل، كما في الإنجيل: مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ،

(١) الله واحد في الثالوث الأقدس ص٦.

وَأَكُونُ لَهُ إِلَهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا[١].

نعم قد يُستَدَلُّ على أنّ لبنوّة عيسى معنىً مختلفاً لأن الإنجيل قد ذكر أنّه (الابن الحبيب) وأنّه (الابن الوحيد).

ومن هذه النصوص ما تحدّث عن ارتفاع عيسى عليه السلام إلى السماء: وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: « **هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ** الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[٢].

ومنها: فَإِذْ كَانَ لَهُ أَيْضًا **ابْنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيْهِ**، أَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَيْهِمْ أَخِيراً، قَائِلاً: إِنَّهُمْ يَهَابُونَ ابْنِي![٣].

ومنها: لأَنَّهُ **هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ**، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[٤].

وفي يوحنا: اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. **اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ** هُوَ خَبَّرَ[٥].

قال هلال أمين: **كلمة "الوحيد" تُرينا نسبته الخاصة الأزليّة للآب وهو ينفرد بهذه النسبة.**

---

(١) رؤيا ٢١: ٧.

(٢) متى ٣: ١٧، وقد ذكر لفظ (ابني الحبيب) عدة مرات أخرى كما في متى ١٧: ٥ ومرقس ١: ١١ ولوقا ٣: ٢٢ وغيرها.

(٣) مرقس ١٢: ٦.

(٤) يوحنا ٣: ١٦.

(٥) يوحنا ١: ١٨.

وقال وليام ماكدونالد: **أمّا الرب يسوع المسيح فهو ابن الله الوحيد، وما من ابنٍ آخر نظيره. إنه دائماً قريبٌ من الله الآب قُربًا مميَّزًا، وله مكانة خاصة عنده. كما أنّه كان، وما زال، في حضن الآب، حتى خلال وجوده هنا على الأرض. كان واحدًا مع الله ومساوياً لله.**

وقال الدكتور القس لبيب ميخائيل: وتسمِيَةُ المسيح باسم «الابن الوحيد» تُبعِدُ أيّ وجه للمقارنة بين بنوّته لله وبنوّة الملائكة والناس[1].

ويظهر أن المفسرون قد بالغوا كثيراً في مثل هذه التفسيرات، بل أسقطوها إسقاطاً على الألفاظ، فهل يتضمن لفظ (الوحيد) في أي لغة من اللغات مثل هذه المعاني؟ الأزلية والمساواة؟

يمكن الجواب على كلامهم بحسب الإنجيل بمِثَالٍ يُقَرِّبُ الفكرة للأذهان كما يلي:

نلاحظ أن الانجيل قد أطلق لفظ (السيد) على المالك بقوله: **فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ**: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ[2].

ثم أطلقه على المسيح بقوله: **أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ القَبْرِ**، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ[3].

ثم أطلقه على الله تعالى بقوله: **أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ**

(١) هل المسيح هو الله!؟ ص٢٥.

(٢) لوقا١٤: ٢٣.

(٣) يوحنا٢٠: ١٢.

وَالأَرْضَ[١].

ومع إطلاق لفظ السيد على المصاديق الثلاثة هذه، عبّر عن الله بأنّه السيد الوحيد: **وَيُنْكِرُونَ السَّيِّدَ الوَحِيدَ: الله، وَرَبَّنَا يَسُوعَ المَسِيحَ**[٢].

اذاً كيف نتعامل مع مثل هذه النصوص التي وردت في الإنجيل؟

الاحتمال الأول: أن نقول بالتعارض، فكيف يصحّ وصفُ الإنسان العاديّ بالسيّد ووصف المسيح بالسيّد ووصف الله بالسيّد، ثم وصف الله وحده بهذه الصفة ونفيها عن الآخرين؟ إذ سيكون النص الرابع معارضاً للنَصَّين الأولين.

الاحتمال الثاني: أن نقول بأن النفي إنما كان لأعلى مراتب السيادة وأتمّها، فلا يراد نَفيُ السيادةِ حقيقةً عن غير الله تعالى، بل يُرادُ نَفيُ أعلى مراتبها، أو نَفيُ كونها سيادةً ذاتيةً غير محتاجة إلى أحد، فيكون المراد أن لا سيّد مستغنٍ إلا الله، وسيادة الآخرين وإن كانت ثابتة إلا أنها بمرتبة أدنى تتضمن الاحتياج إلى الله تعالى الخالق القادر.

ولا شكّ أن النصارى لا يقبلون التعارض في الإنجيل، وإنما سيسارعون إلى اختيار الاحتمال الثاني الذي ذكرناه، وهو ما تُساعد عليه اللغة والاستعمالات العُرفية.

وفي موردنا حول البنوّة تجري القاعدة نفسها، **فإما أن نقول بالتعارض** بين بنوّة الناس لله تعالى (ودائماً بحسب الكتاب المقدس) وحبّ الله لهم كما أثبته

---

(١) أعمال الرسل ٤: ٢٤.

(٢) يهوذا ١: ٤.

الكتاب المقدس، وبين حصر البنوّة والحب بعيسى عليه السلام وحده.

وإما أن نقول بأن **أعلى مراتب الحبّ وأعلى مراتب البنوة** (التي فسّرها الكتاب المقدس بالإيمان بالله والإنقياد له) **مختصّة بالمسيح** عليه السلام، **ولا تشمل سائر الناس**.

ويتعين اختيار الثاني لدفع التعارض، فيكون الدليلُ قاصراً عن إثبات ألوهيّة عيسى عليه السلام.

ولهذا الاستعمال نظيرٌ في العهد القديم، حينما جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام: «**خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ**، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»[١].

وهنا كان إبراهيم والداً لإسماعيل واسحاق، فقد تقدّم في الأصحاحات السابقة إنجابه لهما، وطرده لهاجر بناء على طلب سارة، وما جرى عليها وعلى ولدها، ثم جاء دور الامتحان.

فقوله: (خذ ابنك وحيدك)، لا يدل على أنه الابن الوحيد فعلاً، إنما يدل على أنه الابن المحبب له والأقرب، كما تشير إلى ذلك القرينة الداخلية في النص: (وحيدك، الذي تحبه).

وبهذا لا يدل قول: (الابن الوحيد) في عيسى عليه السلام على أن الآخرين ليسوا أبناء الله، وإلا لحصل التعارض، كما هو الحال هنا في إبراهيم وأولاده، وإنما يدل على مِزيَةٍ إضافيّةٍ وخصوصيّةٍ في عيسى هي شدّة قربه لله تعالى وحبّ الله له أكثر

(١) التكوين٢٢: ٢.

ممن أرسله إليهم، لذا انتخبه وانتجَبَه وأرسله مُزَوَّداً بالكرامات اللّازمة لإتمام مهمته وإيصال الحجة الإلهية للناس.

والأمر نفسه عندنا نحن المسلمين (مع عدم قبولنا بأبوّة الله لأحد)، فقد ورد وصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في بعض الزيارات: وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ **لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُه**(١).

فالحبُّ التام بأعلى مراتبه له صلى الله عليه وآله ولعترته الطاهرة عليهم السلام حصراً، والحبّ بمراتبه الأدنى لمن هم في مراتب أدنى من القرب له تعالى ثابتٌ جزماً.

فالمنفي عن غيره صلى الله عليه وآله هو أعلى مراتب الحب.. وكذا في عيسى عليه السلام.. الابن الوحيد أي **ليس هناك ابنٌ آخر له هذه الخصائص والكرامات في زمنه.**

أما أن نفسّرها كما فعل شراح الإنجيل، بأنها تعني المساواة لله تعالى، وأنها تعني الأزليّة، ففضلاً عن عدم وجود شاهدٍ على ذلك في اللّغة ولا في الإنجيل، **نجدُ أن الإنجيل يُكَذِّبُ هذا المعنى، ويُثبِتُ خضوع الابن الحبيب الوحيد لله تعالى، فكيف يكون مساوياً له حينها؟**

ذكر بولس في رسائله: وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الكُلُّ، **فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الكُلَّ، كَيْ يَكُونَ الله الكُلَّ فِي الكُلِّ**(٢).

وعليه **فلا دلالة للأبوّة والبنوّة على المساواة بين الله وعيسى بوجهٍ من الوجوه**، بل هي على عدم المساواة أدلّ، وهي صريحةٌ في خضوع عيسى لله تعالى.

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج٢ ص٤٩٤.

(٢) كورنثوس الأولى١٥ : ٢٨.

ولنا شواهد عدّة من الإنجيل أيضاً على مثل هذه الاستعمالات، فضلاً عن لفظ (السيد) المتقدم، نذكر منها (البُغض)، فقد ورد في إنجيل لوقا: «**إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً**»[١].

فقد دلّ على لزوم بُغض النفس والأهل والاخوة كمقدمة للتّلمذة عند المسيح، لكن الإنجيل في موارد أخرى ذم المبغض لأخيه بعدما مدحه هنا، ففيه: **مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ**. مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ. **وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ**، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ[٢].

وفيه أيضاً: **كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ**، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ[٣].

قال وليم ماكدونالد في شرح (لوقا١٤: ٢٦): كان يشدّد بالحريّ على ضرورة أن تكون المحبة له عظيمة جدًا **بشكل تبدو كل محبة أخرى بمثابة بغضة بالمقارنة مع المحبة للمسيح**.. نحتاج أن نبغض نفوسنا أيضاً. وفي هذه الحال، يكون المسيح، لا الذات، هو محور حياتنا.. لقد كانت كلمات المخلّص هذه مطلقة: إننا لا نقدر أن نكون له تلاميذ إذا لم نحبّه فوق كل شيء، أكثر من أفراد عائلاتنا، بل أكثر من أنفسنا. ولا مجال لأيّ حلٍّ وسط.

---

(١) لوقا١٤: ٢٦.

(٢) يوحنا الأولى٢: ٩-١١.

(٣) يوحنا الأولى٣: ١٥.

فعدّوا أمره ببغض النفس والأهل والأخوة **نوعاً من المحبة البسيطة مقابل المحبة الهائلة التي يجب أن يُكِنّها المؤمن بالمسيح له**، وهكذا تكون البنوّة الحقيقيّة الوحيدة، بمعنى أن **بنوة الآخرين أي محبة الله لهم وعطفه عليهم ورعايته لهم مهما بلغت لا تُعدّ محبةً أمام محبة الله لرسوله عيسى** عليه السلام، لأنه أفضل من كان في زمانه وقد أرسله الله لهداية الناس.

ونشير هنا إلى محاولة بعضهم التفرقة بين الابن والولد، فقال: **لم يُذكر أبدًا أن المسيح "ولد الله" بل "ابن الله" فالتوالد حالة جسدية أما الأبوّة فحالة روحية**[1].

وقال القس الدكتور لبيب ميخائيل: هنا يتبلور الخطأ في مفهوم القرآن لمعنى بنوّة المسيح.. **إن المسيح الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس ليس «ولد» الله بل «ابن الله».. الله لم يتخذ ولداً.** لأنه لو كان المسيح «ولد الله» لكان الله سابقاً له في الوجود كما يسبق الأب ابنه.. لكن المسيح هو «ابن الله» **وتعبير الابن يعني المساواة في الأزلية وفي الذات**[2].

والحال أن النصّ نفسه الذي استدلوا به على بنوته انما يذكر كما تقدم: **أَنْتَ ابْنِي أَنَا اليَوْمَ وَلَدْتُكَ**، فينصُّ على الولادة، وإذا كان التوالد حالةً جسديةً فإن النصّ الإنجيليّ يقول: أنا اليوم ولدتك، أي أن الولادة جسدية لا روحية كما يقول القس ميخائيل.

والنصارى لا يلتزمون بذلك، لذا لم يكن هناك من فرق بين (ولد الله)

(١) الواعظ الدكتور زآريا استاورو في أساسيات مسيحية ص٢٦.

(٢) كتاب: لا إله إلا الله ص٢٧.

و(ابن الله)، فإن صح أن يقول (ولدتك) كان الناتج (ولداً) لأن الفعل (ولدتك).

ومحاولة التخلُّص من الإشكال بكون النص (أنا اليوم ولدتك) حدثت في الزمان فكان هذا عن التجسد لا عن الولادة الأزلية[١]، هو اعترافٌ بعدم إمكان الاستدلال بالنص محلّ البحث: أنت ابني.. أنا اليوم ولدتك. وهو المطلوب.

وأخيراً، فقد حاول بعض النصارى نسبة هذه العقيدة للقرآن الكريم، بالقول أنّ اعتقاد القرآن بكون عيسى بلا أبٍ يلزم منه وجود أبٍ غير بشريّ، قال القمص إبراهيم لوقا أن آيات القرآن الكريم: **دعت المسيح ابن مريم، فوجب أن يكون لهذا الابن أبٌ كسائر المواليد من أنثى، لأن المعلولَ لا بُدَّ له من علّة، فالبنوّة تقتضي أبوّة. وأب المسيح إمّا أن يكون أباً بشرياً كسائر الآباء، وحينئذ يصبح المسيح شخصاً عادياً**، والمسيحية والإسلامية تنزهان المسيح عن ذلك. **وإما أن يكون هذا الآب أباً غير بشري، حتى يستقيم القول إنه كلمةٌ من الله**. وقد انتفى أن يكون للمسيح أبٌ بشري، **فوجب أن يكون له آب فائق الطبيعة هو الله سبحانه وتعالى**[٢].

نقول: صحيحٌ أن المعلول لا بدّ له من علّة، ولكن وجود الإنسان ليس معلولاً مطلقاً للأب والأم، بدليل وجود آدم وحواء بلا أبٍ وأم، فلا يوصفان بالبنوّة رأساً، أما عيسى عليه السلام فلما وُصِفَ بأنّه ابنُ مريم دلّ ذلك على توقف وجوده على وجود أمّه مريم، دون أبٍ بشريٍّ لثبوت ولادته من غير أبٍ بشري، فلا يلزم من ذلك وجودُ أبٍ له أبداً، لأنّ بنوته لمريم عليها السلام لا تقتضي بنوّته لأبٍ

---

(١) كما ذهب إليه القس الدكتور لبيب ميخائيل في كتاب: لا إله إلا الله ص٣٩.

(٢) المسيحية في الإسلام ص٢٦.

أيضاً، كما لم يقتضِ وجودُ آدم وحواء عليهما السلام وجود أبٍ لهما.

نعم بحسب الطبيعة البشرية لا يحصل التوالد إلا من أبٍ وأمّ، لكن الله قادرٌ على الخلق بلا أب كما في عيسى وبلا أب وأم كما في آدم وحواء.

ولو قلنا بأن البنوّة الطبيعية هي علّة تامّة للزم أن لا يكون بالإمكان خَلقُ آدم من غير أبٍ بشري، وهذا باطل باتفاق المسلمين والنصارى.

والخلاصة أن أياً من نصوص الأبوّة والبنوّة على فرض صحة الإنجيل خاليةٌ من الدلالة على مساواة عيسى لله تعالى.

تتميم: مناظرة النبي صلى الله عليه وآله للنصارى في بنوّة عيسى لله

روينا عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام مناظرة رسول الله صلى الله عليه وآله مع أهل خمسةٍ من الأديان بينهم النصارى، واحتجاجهم على كون عيسى ابن الله بما ورد في الإنجيل، فقال لهم صلى الله عليه وآله: فَإِنْ كُنْتُمْ بِذَلِكَ الْكِتَابِ تَعْلَمُونَ فَإِنَّ فِيهِ: (أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ)، فَقُولُوا: إِنَّ **جَمِيعَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ عِيسَى كَانُوا أَبْنَاءَ الله كَمَا كَانَ عِيسَى ابْنَهُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ عِيسَى ابْنَهُ**[1].

وهذا الجواب النَقضيُّ منه صلى الله عليه وآله لا مَخرَجَ لهم منه، فقد نقلوا عن عيسى عليه السلام في الإنجيل قوله: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي **وَأَبِيكُمْ** وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ»[2]، وهذا النصُّ إن كان

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج١ ص٢٤.

(٢) يوحنا٢٠: ١٧.

يُثبِتُ بُنُوّة عيسى لله تعالى، فهو يُثبتها للناس أيضاً من نفس الوجه، فينبغي أن يكون كلّ واحد منهم هو الله.

ثم أعطاهم صلى الله عليه وآله الحلّ في جوابٍ آخر بعد أن أُسقط في يدهم، فقال: أَنْتُمْ **إِنَّمَا حَكَيْتُمْ لَفْظَةَ عِيسَى وَتَأَوَّلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا لِأَنَّهُ** إِذَا قَالَ: (أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ) فَقَدْ **أَرَادَ غَيْرَ مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ وَنَحَلْتُمُوهُ.**

وَمَا يُدْرِيكُمْ **لَعَلَّهُ عَنَى أَذْهَبُ إِلَى آدَمَ أَوْ إِلَى نُوحٍ**، وَأَنَّ الله يَرْفَعُنِي إِلَيْهِمْ وَيَجْمَعُنِي مَعَهُمْ، **وَآدَمُ أَبِي وَأَبِيكُمْ وَكَذَلِكَ نُوحٌ، بَلْ مَا أَرَادَ غَيْرَ هَذَا.**

قَالَ: فَسَكَتَ النَّصَارَى وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ مُجَادِلًا وَلَا مُخَاصِماً مِثْلَكَ[1].

فيكون المراد من الأب هو آدم ونوح عليهما السلام وليس الله تعالى، لأنّ الله تعالى ليس أباً لأحد من مخلوقاته.

وفي هذه المناظرة يسأل النبي صلى الله عليه وآله اليهود القائلين بأن عزيراً ابن الله: مَا الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ عُزَيْراً ابْنُ الله؟

قَالُوا: لِأَنَّهُ أَحْيَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَاةَ بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ، وَلَمْ يَفْعَلْ بِهَا هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ ابْنُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله : فَكَيْفَ صَارَ عُزَيْرٌ ابْنَ الله دُونَ مُوسَى وَهُوَ الَّذِي جَاءَ لَهُمْ بِالتَّوْرَاةِ وَرُئِيَ مِنْهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ؟

وَلَئِنْ كَانَ عُزَيْرٌ ابْنَ الله لِمَا ظَهَرَ مِنْ إِكْرَامِهِ بِإِحْيَاءِ التَّوْرَاةِ فَلَقَدْ كَانَ مُوسَى بِالْبُنُوَّةِ أَوْلَى وَأَحَقَّ.

---

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج١ ص٢٥.

وَلَئِنْ كَانَ هَذَا الْمِقْدَارُ مِنْ إِكْرَامِهِ لِعُزَيْرٍ يُوجِبُ لَهُ أَنَّهُ ابْنُهُ فَأَضْعَافُ هَذِهِ الْكَرَامَةِ لِمُوسَى **تُوجِبُ لَهُ مَنْزِلَةً أَجَلَّ مِنَ الْبُنُوَّةِ**، لِأَنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تُرِيدُونَ بِالْبُنُوَّةِ الدَّلَالَةَ عَلَى سَبِيلِ مَا تُشَاهِدُونَهُ فِي دُنْيَاكُمْ مِنْ وِلَادَةِ الْأُمَّهَاتِ الْأَوْلَادَ بِوَطْءِ آبَائِهِمْ لَهُنَّ **فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِاللهِ وَشَبَّهْتُمُوهُ بِخَلْقِهِ** وَأَوْجَبْتُمْ فِيهِ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ، فَوَجَبَ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ مُحْدَثاً مَخْلُوقاً وَأَنْ يَكُونَ لَهُ خَالِقٌ صَنَعَهُ وَابْتَدَعَهُ.

قَالُوا: **لَسْنَا نَعْنِي هَذَا، فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ كَمَا دَلَّلْتَ، لَكِنَّا نَعْنِي أَنَّهُ ابْنُهُ عَلَى مَعْنَى الْكَرَامَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وِلَادَةٌ**، كَمَا قَدْ يَقُولُ بَعْضُ عُلَمَائِنَا لِمَنْ يُرِيدُ إِكْرَامَهُ وَإِبَانَتَهُ بِالْمَنْزِلَةِ مِنْ غَيْرِهِ: يَا بُنَيَّ وَإِنَّهُ ابْنِي لَا عَلَى إِثْبَاتِ وِلَادَتِهِ مِنْهُ، لِأَنَّهُ قَدْ يَقُولُ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ أَجْنَبِيٌّ لَا نَسَبَ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَكَذَلِكَ لَمَّا فَعَلَ اللهُ تَعَالَى بِعُزَيْرٍ مَا فَعَلَ **كَانَ قَدِ اتَّخَذَهُ ابْناً عَلَى الْكَرَامَةِ لَا عَلَى الْوِلَادَةِ.**

فاليهود هنا لا يقولون بالولادة مادية أو غير مادّية، إنما يقولون بأنّه ابن الله على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، أما النصارى فيقولون بالولادة وإن لم تكن ولادةً كولادة الأمّهات.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَهَذَا مَا قُلْتُهُ لَكُمْ، إِنَّهُ إِنْ وَجَبَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَكُونَ عُزَيْرٌ ابْنَهُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِمُوسَى أَوْلَى، وَإِنَّ اللهَ يَفْضَحُ كُلَّ مُبْطِلٍ بِإِقْرَارِهِ وَيَقْلِبُ عَلَيْهِ حُجَّتَهُ.

إِنَّ مَا احْتَجَجْتُمْ بِهِ يُؤَدِّيكُمْ إِلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ، لِأَنَّكُمْ قُلْتُمْ إِنَّ عَظِيماً مِنْ عُظَمَائِكُمْ قَدْ يَقُولُ لِأَجْنَبِيٍّ لَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ: يَا بُنَيَّ، وَهَذَا ابْنِي، لَا عَلَى طَرِيقِ الْوِلَادَةِ، فَقَدْ تَجِدُونَ أَيْضاً هَذَا الْعَظِيمَ يَقُولُ لِأَجْنَبِيٍّ: **هَذَا أَخِي، وَلِآخَرَ: هَذَا شَيْخِي وَأَبِي، وَلِآخَرَ: هَذَا أَخِي، وَلِآخَرَ: هَذَا سَيِّدِي**، وَيَا سَيِّدِي،

عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ، وَإِنَّ مَنْ زَادَهُ فِي الْكَرَامَةِ زَادَهُ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ.

فَإِذاً يَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ مُوسَى أَخاً لله أَوْ شَيْخاً لَهُ أَوْ أَباً أَوْ سَيِّداً؟ لِأَنَّهُ قَدْ زَادَهُ فِي الْإِكْرَامِ مِمَّا لِعُزَيْرٍ، كَمَا أَنَّ مَنْ زَادَ رَجُلًا فِي الْإِكْرَامِ فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي وَيَا شَيْخِي وَيَا عَمِّي وَيَا رَئِيسِي عَلَى طَرِيقِ الْإِكْرَامِ، وَأَنَّ مَنْ زَادَهُ فِي الْكَرَامَةِ زَادَهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ.

أَ فَيَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ مُوسَى أَخاً لله أَوْ شَيْخاً أَوْ عَمّاً أَوْ رَئِيساً أَوْ سَيِّداً أَوْ أَمِيراً لِأَنَّهُ قَدْ زَادَهُ فِي الْإِكْرَامِ عَلَى مَنْ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخِي أَوْ يَا سَيِّدِي أَوْ يَا عَمِّي أَوْ يَا رَئِيسِي أَوْ يَا أَمِيرِي؟

قَالَ: فَبُهِتَ الْقَوْمُ وَتَحَيَّرُوا وَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَجِّلْنَا نَتَفَكَّرْ فِيمَا قَدْ قُلْتَهُ لَنَا.

فَقَالَ: انْظُرُوا فِيهِ بِقُلُوبٍ مُعْتَقِدَةٍ لِلْإِنْصَافِ يَهْدِكُمُ الله[1].

فتمّت بهذا حجّته صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه على اليهود والنصارى، وليس يُقرَنُ كلامه إلا بكلام وصيّه أمير المؤمنين عَلَيهِالسَّلَام في وصفه عز وجلّ: **تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ**، وَاسْتَخْلَصَ بِالْمَجْدِ وَالثَّنَاءِ، وَتَفَرَّدَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ، وتَوَحَّدَ بِالتَّحْمِيدِ وَتَمَجَّدَ بِالتَّمْجِيدِ، **وَعَلَا عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاء.. لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ وَحْدَانِيّاً أَزَلِيّاً قَبْلَ بَدْءِ الدُّهُورِ وَبَعْدَ صُرُوفِ الْأُمُور**[2].

٤. عيسى هو الله

استُدِلَّ على أن عيسى هو الله بالآيات المُتَمِّمَة للاستدلال السابق حول

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج١ ص٢٣.

(٢) الكافي ج١ ص١٣٦.

البنوّة، وهي ما ورد في رسائل بولس للعبرانيين، وتتضمن خطاب الله تعالى لملائكته أوّلاً ثم لنبيّه عيسى عليه السلام ثانياً: وَعَنِ المَلاَئِكَةِ يَقُولُ:«الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ». وَأَمَّا عَنْ الابْنِ:«**كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ**. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ[1].

بتقريب أن الله تعالى خاطب ابنه بصيغة: يا الله، فيدل على أن عيسى عليه السلام هو الله أيضاً.

يقول وليام ماكدونالد في شرحه لها: في هذه الآية مجموعة من الأمجاد يظهر فيها الابن أنّه لا يُضاهى. أوّلاً، يخاطبه الله بصفته الله. ففي المزمور ٤٥: ٦، يحيّي الله الآبُ المسيحَ بهذه الكلمات: «**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**». فتبرز مرة أخرى ألوهية المسيح بشكل لا لَبس فيه.

المناقشة فيه

ويلاحظ على هذا الاستدلال أمور:

أولاً: إنّ **هذه الفقرة مقتبسة من العهد القديم**، ومن مزامير داوود تحديداً، وبالعودة إلى المزمور ٤٥ نجدها قد وردت في سياق خطابٍ يتكلم فيه الكاتب مع مَلِكٍ انسكبت النعمةُ على شفتيه فباركه الله إلى الأبد، ثم يتحدّث عن صفاته ومناقبه، وفيها: نَبْلُكَ المَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ المَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ. **كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ**. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ البِرَّ

---

(١) العبرانيين ١: ٧و٨.

وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ الله إِلَهُكَ بِدُهْنِ الاِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ[1].

فالمُخاطَب هو مَلِكٌ مَسَحَهُ الله إلههُ، أي أن المخاطَب ليس إلهاً أبداً، وإن وُصِفَ كُرسيُّه بأنّه كرسيّ الله بحسب ظاهر هذه الترجمة المعروفة (سميث وفاندايك).

وبالعودة إلى نسخ التوراة المختلفة يتّضح المعنى بشكلٍ أوضح، إذ كانت كثيرٌ من النسخ خالية من أيّ شبهة، ففي ترجمة (الأخبار السارة) وفي (الترجمة المشتركة) المقبولة عند كافة الكنائس ذُكِرَت هكذا: **عرشُكَ الإلهيُّ يبقى إلى الأبدِ، وصَولجانُ الاَستِقامةِ صَولجانُ مُلْكِكَ.**

فتدلُّ على أن عرش الملك هو عرشٌ إلهيٌّ، أي أنّه منسوبٌ لله تعالى لأن الله تعالى بارك لهذا الملك في مُلكِه، فلا يكون فيها أيّ دلالة على أن المَلِكَ هو الله بوجه من الوجوه.

وذُكر في هامش الترجمة المشتركة: أنه وردت في بعض الترجمات بصيغة: (عرشك عرش الله، أو كعرش الله)، فلا تدلّ أيضاً على أن الملك هو الله.

أما ترجمة (العالم الجديد) لشهود يهوه، فذكرت: الله عَرْشُكَ إِلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَبَدِ، صَوْلَجَانُ مُلْكِكَ صَوْلَجَانُ ٱلِاسْتِقَامَةِ.

فتدلّ على أن الله هو عرش الملك لا على أن الله هو الملك.

أما في ترجمة العلامة فارس الشدياق فكان الخطاب لله حول الملك: اللهم

(١) المزامير ٤٥: ٥-٧.

ان عرشك الى دهر الداهرين..

وهنا لا يكون المخاطَب هو الملك أصلاً إنما يكون الخطاب لله تعالى.

فالاستدلال إذاً منقوضٌ بوجهين:

الوجه الأول: اختلاف النسخ، فعددٌ من النسخ يصرّح بأن العرش إلهيٌّ أي أنه منسوبٌ لله تعالى، وبهذا يخلو من أي دلالة على ألوهية المخاطَب، ولا مجال للاستدلال بها رأساً لظهورها في أن العرش هو عرشٌ إلهيٌّ أو أنّه كعرش الله، وليس فيها أي إشارة إلى أن عيسى هو الله.

الوجه الثاني: أنه حتى وِفقَ سائر النسخ، فإن المخاطَب هو مَلِكٌ مسحه الله تعالى، فلا يدل السياق على ألوهيّة عيسى بوجهٍ ولا على ألوهية هذا الملك.

ثانياً: بالعودة إلى العهد الجديد، نجدُ أنه استشهد بهذه الفقرة وقيل أنّها خطابٌ من الله تعالى لعيسى عليه السلام يقول الله له فيها: **كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ**. فيخاطب اللهُ عيسى بقول: يا الله، فيدل على أن عيسى هو الله.

لكن **نسخ الانجيل مختلفةٌ في هذه الترجمة أيضاً**، ففي جملة من النسخ كـ(الترجمة المشتركة) المقبولة عند كافة الكنائس وردت هكذا: **عرشُكَ الإلهيُّ يبقى إلى الأبدِ، وصَولجانُ الاَستِقامةِ صَولجانُ مُلْكِكَ.**

فعلى هذا يكون الخطاب من الله لعيسى يقول الله له فيها أن عرش عيسى باقٍ إلى الأبد، ويوصف هذا العرش بالعرش الإلهي أي أنه منسوب لله تعالى لأن عيسى رسول الله، فلا يكون فيها أي دلالة على ألوهية عيسى عليه السلام.

أما ترجمة (العالم الجديد) لشهود يهوه، فذكرت: الله عَرْشُكَ إِلَى ٱلدَّهْرِ

وَٱلْأَبَدِ، صَوْلَجَانُ مُلْكِكَ صَوْلَجَانُ ٱلِاسْتِقَامَةِ.

فإن كان المخاطب فعلاً هو عيسى فإنها تعني أن الله هو عرش عيسى، ومن معاني العرش: ما به قوام أمر الرجل[1]، فتكون موافقةً للنصوص المتقدّمة الدالّة على أن كل ما عند عيسى فهو من الله، أي أنّ قوامَ أمر عيسى عليه السلام بالله تعالى.

في حين ورد في نسخة المعنى الصحيح لإنجيل المسيح *TMA*: في حينَ جاءَ عن الابنِ الرُّوحيِّ لله: "اللهمَّ، قائمٌ هو عَرشُكَ إلى أَبَدِ الآبِدين! أيُّها المُختارُ، أنتَ حاكِمٌ في مَملَكتِكَ المَوعودةِ بصَولجَانِ العَدلِ.

وفيها إيحاء بأنّ الخِطَابَ جاء عن الابن الروحي، أي أن المُتحدث هو ابن الله الروحي وهو عيسى عليه السلام عندهم، فيكون الخطاب من عيسى لله تعالى: **اللهم قائم هو عرشك**.. ثم بعده يأتي الجواب: أيها المختار، يا عيسى، أنت حاكمٌ في مملكتك، وبهذا يستقيم المعنى دون أيّ خدشة بالتوحيد.

وهذا الوجهُ يمكن استفادَتُه أيضاً حتى من النسخ المتداولة بشيءٍ من التكلُّف، ليكون الكلام (كرسيّك يا الله..) منقولاً عن عيسى عليه السلام يخاطب به ربّه عز وجل، وليس العكس، وهذا أَولَى من سواه، مع ما تقدّم من شواهد عليه.

ثالثاً: على فرض عدم صحة ما ورد في الترجمة المشتركة رغم مقبوليّتها عند مختلف الكنائس، وعلى فرض كون النص المعتمد هو: وَأَمَّا عَنْ الابْنِ:«**كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ**.. أو ما هو أصرح منه كما في نسخة (الحياة): ولكنه يخاطب الابن قائلا: «**إن عرشك، ياالله، ثابتٌ إلى أبد الآبدين**..

(١) يراجع كتاب العين ج١ ص٢٤٩.

والتي يدلُّ ظاهرها على أن الله يخاطب عيسى قائلاً: إن عرشك يا الله، فهي أيضاً ليست نصّاً في أنّ عيسى هو الله، ذلك أنه **يُحتَمَلُ فيها عدّة معانٍ**:

المعنى الأول: أن يُراد بكرسيّ الرب أو عرشه **عيسى نفسه**، نظير ما ورد في أورشليم: **فِي ذلِكَ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ أُورُشَلِيمَ كُرْسِيَّ الرَّبِّ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ**، إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، إِلَى أُورُشَلِيم[1].

ولئن كان اعتبار اورشليم أو القدس كرسيّاً للرب من جهة اجتماع الأمم إليها على اسم الرب، فإنّ هذا المعنى ينطبِقُ بشكل أقوى في المسيح، لاجتماع الناس إليه على اسم الرب. فيدلُّ حينها على أن المسيح هو عرش الرب بهذا المعنى.

المعنى الثاني: أن كرسيَّ الرب هو الكرسيُّ المنتسب للرب، كما قيل عن سليمان أنه جلس على كرسيّ الرب: **وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ مَلِكًا مَكَانَ دَاوُدَ أَبِيهِ**[2]. فلا يلزم من جلوس سليمان على كرسي الرب أن يكون سليمان هو الرب.

وقد جاء الوعد لداود ونسله أن يبقى كرسيّهم للأبد: يَكُونُ لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ وَبَيْتِهِ وَكُرْسِيِّهِ سَلاَمٌ إِلَى الأَبَدِ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ»[3].. وَالْمَلِكُ سُلَيْمَانُ يُبَارَكُ، وَكُرْسِيُّ

(١) أرمياء٣: ١٧.
(٢) أخبار الأيام الأول٢٩: ٢٣.
(٣) الملوك الأول٢: ٣٣.

دَاوُدَ يَكُونُ ثَابِتًا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ»[١].

المعنى الثالث: أن عيسى هو الذي يُقيمُ العدل والحق، ويُظهِرُ الرحمة والأمانة، إذ ورد أنهما قاعدة كرسي الله: **العَدْلُ وَالحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ**. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ[٢].

المعنى الرابع: إن أُرِيدَ من الكرسيّ العرش، فإنّ جلوس عيسى عليه لا يعني أنه الله، ذلك أن الإنجيل ينقل عنه قوله: **مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ**[٣].

فإن من يغلب سيجلس مع عيسى في عرشه كما جلس عيسى مع الله في عرشه، فلو كان عيسى هو الله للزم أن يكون الجالس معه هو عيسى فيكون هو الله أيضاً.

فإن قيل: إن هذه المعاني الأربعة للعرش والكرسيّ وإن كانت صحيحة في نفسها، إلا أن العبارة لا تستقيم مع أي من هذه الوجوه، ولا تصح لأنها صريحة في خطاب عيسى بأنه الله، ذلك أن المخاطِب هو الله، بحرف النداء يا، وبقوله: كرسيك يا الله، فيدل على أن المخاطَب الذي هو عيسى هو الله أيضاً.

قلنا: نرجع إلى الآيات السابقة فنرى أن الآية المتقدمة تقول: وَعَنِ المَلاَئِكَةِ يَقُولُ: «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ».

فهو إذاً ليس خطاباً من الله (مع) الملائكة، إنما خطاب من الله (عن)

---

(١) الملوك الأول٢: ٤٥.

(٢) المزامير٨٩: ١٤.

(٣) رؤيا يوحنا٣: ٢١.

الملائكة، بل عن صنع الله تعالى لهم (الصانع ملائكته)، فهو خطاب من الله تعالى يبيّن فيه فعله تعالى وهو (صنع الملائكة)، فالله إذاً يتحدث عن نفسه وملائكته (الصانع ملائكته)، وتتمة السياق تشير إلى أن الخطاب الثاني (عن) عيسى أيضاً، وليس (مع) عيسى، فيبين فيه أن عرش عيسى الذي هو عرش الله باق إلى الأبد: (**كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ**).

فعندما يقول الله عن نفسه: (الصانع ملائكته) لا يتحدّثُ عن غائبٍ وإن لم يكن الخطاب بصيغة المتحِّدث ولا بصيغة المخاطَب بل بصيغة الغائب، وعندما يقول: (كرسيك يا الله)، يكون بصيغة المخاطَب لا المتكلم، أي أنه بلسان من يُخَاطِبُ نفسه، **ويستقيم على هذا المعنى دون خدش التوحيد والقول بألوهية عيسى** عليه السلام.

وما يُلزِمُ بهذا التفسير **فضلاً عن القرينة العقلية القطعية لمنافاة تفسيرهم للتوحيد، القرينةُ المتّصلة المتمثلةُ بالآية اللاحقة** التي تُبيّن أن **الله هو إله المسيح**، لا أن المسيح هو الله، ففيها تتمة الخطاب: أَحْبَبْتَ البِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ **الله إِلَهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ** أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ»[1].

خامساً: لو تنزّلنا وقلنا بأن المتكلم هو الله تعالى، والمُخاطَب هو عيسى بصيغة: يا الله، فإنّه (عند النصارى) **يقبل الحمل على الرمزية** دون الحاجة لمؤونة، أو على **إرادة غير الله منه تشبيهاً**، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لما تمّت القرينة العقلية والنقلية (وهي كون عيسى مخلوقاً

---

(١) العبرانيين ١: ٩.

لله تعالى وكل ما عنده فمن الله) صار لا بدّ من حمل أي لفظٍ يخالف هذا المعنى على الرمزية والمجازية، كما حمل النصارى أقوال عيسى في أنه (الباب أو الخبز أو الكرمة) أو غير ذلك على المجاز.

يقول أحد علماءهم: صموئيل بندكت: عندما كان يسوع يكلم تلاميذه **كان يكلمهم بأمثال، وهذه العادة شائعة ومعروفة عند كل كتّاب العهد الجديد**. ونحن في هذه الأيام **كثيراً ما نستعمل اللغة الرمزية والأمثال**. قال يسوع: "**أنا هو الباب**"، "**أنا هو الطريق** والحق والحياة"، "**أنا الكرمة** وأنتم الأغصان"، "أنا هو نور العالم"، "**أنا هو الخبز** الذي نزل من السماء". **هل كان فعلاً يقصد أنه باب أو كرمة؟ طبعا لا! كل هذه كانت لغة مجازية**[1].

فإذا كان النص صريحاً في كونه باباً وطريقاً، لَكِنّا **نرفع اليد عن هذه الدلالة بركة القرينة العقلية** لاختلاف حقيقته عن حقيقة الباب والخبز والطريق، ونَحمِلُها على **معنىً رمزيٍّ مقبول** ككونه هو المرشد للطريق، أو هو الإمام والقدوة وهم الأتباع، كذلك يُعدُّ كونُه إنساناً بشريّاً نبيّاً مرسلاً من الله تعالى قرينةً عقليةً واضحةً لا لبس فيها على أنه ليس (الله) حقيقة، وأن **اتِّبَاعَهُ طريق لله تعالى** لأنّه مرسلٌ من قبله عز وجل، كما صرح بنفسه في موارد تقدّمَ بعضها ويأتي بعضها الآخر إن شاء الله.

ونحن وإن لم نقرّ بصحة هذه الاستعمالات، إلا أن ألفاظ الكتاب المقدس لا تأبى هذا الحمل، بل قامت القرائنُ على لزومه، فلا مناص من المصير إليه.

---

(١) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص١٣.

الوجه الثاني: يقول القديس توما الأكويني: فاذا كان اسم الله موضوعاً ليدلّ على الطبيعة الالهيّة.. يلزم أنه لا يقبل الشركة فيه حقيقة لكنه يقبلها اعتقاداً.. ومع ذلك **فان اسم الله يقبل الشركة فيه لا بتمام معناه، بل بجزئه على سبيل التشبيه، فيقال (آلهة) للمشتركين في أمرٍ إلهي على سبيل التشبيه**.. أما إذا كان بعض الأسماء موضوعاً ليدلّ على الله لا من جهة الطبيعة بل من جهة الفرد من حيث يُعتبر شيئاً معيّناً فلا يقبل الشركة فيه بحال[1].

ولمّا كان اسم الله (كما تقدّم في مناقشة عبارة وكان الكلمة الله) دالاً على الطبيعة تارة وعلى الفرد تارة أخرى (وإن كنا لا نسلم بصحة ذلك فاسم الله مختصٌّ به تعالى)، فلا مانع حينها من الاشتراك فيه على سبيل التشبيه، فلو أقدَرَ اللهُ عيسى على أن يأتي بأمر إلهيٍّ كإحياء الموتى صح إطلاق اسم (الله) عليه على سبيل التشبيه دون أن يكون عيسى هو الله حقيقة.

ولعلّه لهذا السبب اختلفت نسخ العهد القديم، حيث تُرجِمَت بعض الآيات بلفظ (الله) في جملة من النسخ، وبلفظ (ملاك الله) في نسخ أخرى.

فقد اشتهر مثلاً في قصة آدم من سفر التكوين قوله: بَلِ الله عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا **وَتَكُونَانِ كَالله** عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ[2].

لكن ترجمة الكاهن سعديا بن جاؤون الفيومي وهي أقدم ترجمة مباشرة من العبرية للعربية تَغيَّر فيها اللفظ من (تكونان كالله) إلى (تصيران كالملائكة)، ففيها:

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص١٧١.

(٢) التكوين٣: ٥.

إن الله عالمٌ أنكما في يوم تأكلان منها تنفض عيونكما، **وتصيران كالملائكة** عارفين الخير والشر[١].

وفي مورد آخر من سفر التكوين: **فَجَاءَ الله** إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ[٢].. وصارت في ترجمة الفيومي: (فجاء ملاك الله): **فجاء ملاك الله إلى أبيمالك** في حلم الليل فقال له: إنك ميت بسبب الامرأة التي أخذتها وهي ذات بعل[٣].

وفي العهد الجديد ما يشير إلى أن: الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ[٤].

لكلٍّ ما تقدّم يتبيّن عدم إمكان الاستدلال بهذا النصّ على ألوهيّة عيسى عليه السلام بوجه.

٥. كنيسة الله التي اقتناها بدمه

استُدلّ أيضاً على كون عيسى هو الله بالنص التالي: اِحْتَرِزُوا اِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا **كَنِيسَةَ الله الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ**[٥].

ووجه الاستدلال فيها أن الذي اقتنى الكنيسة بدمه هو المسيح، فهي كنيسته، فيكون هو الله لأن الكنيسة هي (كنيسة الله).

(١) تفسير التوراة بالعربية ص٨٦.

(٢) التكوين٢٠: ٣.

(٣) تفسير التوراة بالعربية ص١١٩.

(٤) يوحنا٣: ٣٤.

(٥) أعمال الرسل٢٠: ٢٨.

المناقشة فيه

ويلاحظ عليها فضلاً عما تقدم:

أولاً: أن نسخ الانجيل مختلفة في ترجمة هذه الآية، ففي ترجمة (المعنى الصحيح): وقوموا بِرِعايةِ جَماعاتِ المُؤمِنينَ بالله **الّتي جَعَلَ الله فِداءَها دَمَ حَبيبِهِ عيسَى** (سلامُهُ علينا).

وعلى هذه الترجمة فإن الله جعل الفداء دم حبيبه عيسى عليه السلام، ويسقط كل استدلال بالآية بناء على ذلك.

وفي ترجمة (الشريف): فَاحْرُسُوا أَنْفُسَكُمْ وَكُلَّ القَطِيعِ الَّذِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ القُدُّوسُ رُعَاةً عَلَيْهِ. **اِرْعَوْا أُمَّةَ رَبِّنَا الَّتِي اشْتَرَاهَا بِدَمِهِ.**

وعلى هذه الترجمة أيضا لا وجه للاستدلال، فقد تقدّم استعمال الربّ في غير الله تعالى.

كذلك الأمر في ترجمة (العالم الجديد) لشهود يهوه: لِتَرْعَوْا جَمَاعَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي ٱشْتَرَاهَا بِدَمِ ٱبْنِهِ. فهي خالية عن أي دلالة على ألوهيته.

ويظهر أن هذا اللفظ والمعنى هو الذي كان معتمداً عند النصارى، حيث يقول مفسر الإنجيل وليم ماكدونالد: **إن غالبيّة المخطوطات تقول** عن هذا الجزء: "**كنيسة الرب والله التي اشتراها بدمه**". **ومن الواضح أن هذه الجُملة تقترح أن الرب يسوع هو الذي سفك دمه**.. فالله هو الذي اشترى الكنيسة، ولكنه نفذ الشراء بدم ابنه الرب يسوع المسيح.

ثانياً: أن نسبة الكنيسة لله تارة ولعيسى تارة أخرى لا يلزم منه أن يكون

عيسى هو الله! حتى مع كون الضمير في (دمه) راجعاً إلى الله تعالى، **ذلك أنه ثبت تنزُّه الله تعالى عن الاتصاف بصفات المخلوقين**، فليس لله إصبعٌ ولا يدٌ ولا أنفٌ وإن وصفه الإنجيلُ بذلك، **كذلك ليس لله دمٌ وإن وَصَفَ الإنجيلُ اللهَ بذلك**، فيكونُ المرادُ منها المجاز والاستعارة، **فإن كان أنبياء الله هم عيونه في خلقه وكان ملائكته هم أيديه التي يعطي بها ويمنع**، فلا بد من حمل الدم على شيء من هذه المعاني، **كأن يرادَ منه بأن الله ضحّى بحبيبه عيسى** (بحسب الإنجيل دوماً)، ولا يتضمن النص أي دلالة على أن عيسى هو الله بوجه.

٦. أنا في الآب والآب فيّ

استُدلّ على ألوهية عيسى عليه السلام أو على حلول الله تعالى فيه او اتحاده به بما ورد في إنجيل يوحنا من كلام عيسى لفيلُبُّس:

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ **أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ**؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، **لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ**. صَدِّقُونِي **أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ**، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا»[1].

وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله في عيسى وعيسى في الله، **فيدلّ على أنه مساوٍ لله تعالى**.

(١) يوحنا١٤: ٩-١١.

الوجه الثاني: أن الله تعالى قد حلّ في عيسى، فصار عيسى متصفاً بصفات الله تعالى.

المناقشة فيه

ويلاحظ عليه:

أولاً: إن كانت هذه العبارة تدلّ على اتّصافه بصفات الله تعالى، فإنّ في الإنجيل ما يدلّ على اتّصاف الناس بصفات عيسى عليه السلام، وهي صفات الله تعالى، **فيكون المؤمنون أيضاً مساوون لله تعالى**، وهو باطلٌ بالاتّفاق.

وقد تكرّر ذلك، ففي إنجيل يوحنا: فِي ذلِكَ اليَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، **وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ**[1].

وفيه: «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، **لِيَكُونَ الجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا**، لِيُؤْمِنَ العَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي.

وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ المَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. **أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ** لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ العَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي[2].

ثانياً: أن الانجيل نفسه أشار إلى المراد من كون كلٍّ من الطرفين في الآخر هو الثّبات، فإنّه يعني **ثباتَ عيسى في محبة الله، وثباتَ الناس في محبة عيسى**،

(١) يوحنا١٤: ٢٠.

(٢) يوحنا ١٧: ١٩-٢٣.

ويكون عيسى فيهم بمعنى أنه **يعطيهم الثمار عند ثباتهم فيه ويُحِبُّهم بعد حُبِّهم له،** ومثلُها حب الله تعالى لعيسى بعد ثباته في الله.

قال عيسى عليه السلام: **اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ**. كَمَا أَنَّ الغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الكَرْمَةِ، كَذلِكَ **أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ.**

أَنَا الكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.. **إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ** تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ..

كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ[١].

ثالثاً: أنّ **الحلول في الكتاب المقدّس لا يعني المساواة بين الطرفين**، لكي يقال أنّ لعيسى عليه السلام صفات الله تعالى، فقدّ ورد في أعمال الرسل أن الروح القدس قد حلّ على المؤمنين، فهل يدلّ هذا على مساواتهم للروح القدس وهو أحد أقانيم الثالوث؟! وجوهره جوهر الله تعالى بحسب عقيدة النصارى.

ومن هذه الموارد ما ورد في أعمال الرسل: لكِنَّكُمْ **سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ القُدُسُ عَلَيْكُمْ**، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ»[٢].

ومنها: فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ **حَلَّ الرُّوحُ القُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ**

---

(١) يوحنا١٥: ٤-١٠.

(٢) أعمال الرسل١: ٨.

كَانُوا يَسْمَعُونَ الكَلِمَةَ[١].

كذلك حلّ على مريم عليها السلام: فَأَجَابَ المَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «**الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ**، وَقُوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا القُدُّوسُ المَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ الله[٢].

وفسّر الإنجيل حلول المسيح في القلوب بالإيمان: لِيَحِلَّ المَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ[٣].

رابعاً: أن هذه الآيات خلت من أي ذكرٍ للحلول في بعض نسخ الإنجيل، ففي (الترجمة المشتركة) وفي ترجمة (الأخبار السارة): **والأعمال التي أعمَلُها يعملها الآب الذي هو فيّ**. كذلك خلت منها ترجمة (اليسوعية)، ففيها: **بل الآب المقيم فيّ يعمل أعماله**. فيكون متطابقاً مع ما في العهد القديم من قول موسى عليه السلام: **إِنَّ الشَّعْبَ يَأْتِي إِلَيَّ لِيَسْأَلَ الله**[٤]، بحيث لا يحتمل أحدٌ أن يكون موسى هو الله، إنما هو الطريق إلى الله.

كذلك ورد في الترجمة العربية السهلة *ERV-AR*: ما أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لا أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ عِندِي، **فَالآبُ الَّذِي يَحيا فِيَّ هُوَ يَعمَلُ أعمالَهُ**.

وفي بعض النسخ: ألست تؤمن أني بأبي، وأبي بي، والقول الذي أقول، لا أقوله من نفسي، **وأبي الذي هو ساكنٌ فيّ هو الذي يفعل فيّ الأفعال**، فصدقوا أني

---

(١) أعمال الرسل ١٠: ٤٤.

(٢) لوقا ١:٣٥.

(٣) أفسس ٣:١٧.

(٤) الخروج ١٨: ١٥.

بأبي وأبي بي.. الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي، الأفعال التي أفعل أنا يفعل هو أيضاً[١].

فبحسب هذه النسخ الآب (فيه) أو (المقيم فيه) أو (يحيا فيه) أو (ساكن فيه)، وكلها لا تدل على ألوهية عيسى كما أن الحلول في الإنجيل لا يدلُّ على الألوهية.

فإنها كلها معانٍ مجازية كما تقدمت بعض النماذج، ومن أوضحها ما يدل على سكنى روح الله في المؤمنين، وسكنى الربّ في صهيون، وسكنى الله في الجبل، فكلّها معانٍ مجازية كما تقدم في الفصل الأول، دلّ على ذلك أيضاً ما ورد في التوراة والإنجيل، ومن نماذجه في التوراة: وَأُبَرِّئُ دَمَهُمُ الَّذِي لَمْ أُبَرِّئْهُ، **وَالرَّبُّ يَسْكُنُ فِي صِهْيَوْنَ**»[٢]. وفي المزامير: لِمَاذَا أَيَّتُهَا الجِبَالُ المُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ **الجَبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ الله لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ**[٣].

وفي الإنجيل: أَمَا تَعْلَمُونَ **أَنَّكُمْ هَيْكَلُ الله، وَرُوحُ الله يَسْكُنُ فِيكُمْ**؟[٤].

خامساً: إن قيل: لقد ذُكِرَ الحلول في نصوص أخرى ولم يقتصر على هذا النص، ومنها قوله عن عيسى: لأَنَّهُ **فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ المِلْءِ**[٥]، وفي مورد آخر:

---

(١) الأناجيل النصوص الكاملة ص٣٨٥.

(٢) يوئيل ٣:٢١.

(٣) المزامير ٦٨:١٦.

(٤) كورنثوس الأولى٣: ١٦.

(٥) كولوسي ١:١٩.

فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[١].

قلنا: إن النسخ مختلفة في ترجمة هذه النصوص أيضاً، ففي الترجمة اليسوعية للنص الأول: فقد حَسُنَ لدى الله أن **يحل به الكمال كله**، وللنص الثاني: ففيه يحلّ **جميع كمال الألوهية حلولاً جسدياً.**

وفي ترجمة شهود يهوه: لِأَنَّهُ فِيهِ **يَسْكُنُ وَيُجَسَّمُ مِلْءُ ٱلصِّفَاتِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ كُلُّهُ.**

ومع التمسك بلفظ الحلول فقد تقدم عدم دلالته على الألوهية في الكتاب المقدس.

وأخيراً.. نتبرَّكُ بذكر رواية فيها نهاية الحجّة على القائل باتحاد الله بالمسيح، نقلها الشيخ الطبرسي في احتجاجه عن إمامنا العسكري عليه السلام عن صادق العترة الطاهرة الإمام جعفر بن محمد عليه السلام يقول فيها:

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي الْبَاقِرُ عَنْ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ اجْتَمَعَ يَوْماً عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله أَهْلُ خَمْسَةِ أَدْيَانٍ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالدَّهْرِيَّةُ وَالثَّنَوِيَّةُ وَمُشْرِكُو الْعَرَبِ..

وَقَالَتِ النَّصَارَى: **نَحْنُ نَقُولُ إِنَّ المسِيحَ ابْنُ الله اتَّحَدَ بِهِ** وَقَدْ جِئْنَاكَ لِنَنْظُرَ مَا تَقُولُ..

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّصَارَى فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ **قُلْتُمْ إِنَّ الْقَدِيمَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّحَدَ بِالمسِيحِ ابْنِهِ**، فَمَا الَّذِي أَرَدْتُمُوهُ بِهَذَا الْقَوْلِ؟

١. أَرَدْتُمْ أَنَّ **الْقَدِيمَ صَارَ مُحْدَثاً** لِوُجُودِ هَذَا المحْدَثِ الَّذِي هُوَ عِيسَى؟

---

(١) كولوسي٢: ٩.

٢. أَوِ **المحْدَثَ الَّذِي هُوَ عِيسَى صَارَ قَدِيماً** كَوُجُودِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ الله؟

٣. أَوْ مَعْنَى قَوْلِكُمْ إِنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ أَنَّهُ **اخْتَصَّهُ بِكَرَامَةٍ لَمْ يُكْرِمْ بِهَا أَحَداً سِوَاهُ؟**

فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّ **الْقَدِيمَ** صَارَ **مُحْدَثاً فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ، لِأَنَّ الْقَدِيمَ مُحَالٌ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَصِيرَ مُحْدَثاً.**

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّ **المحْدَثَ** صَارَ **قَدِيماً فَقَدْ أَحَلْتُمْ، لِأَنَّ المحْدَثَ أَيْضاً مُحَالٌ أَنْ يَصِيرَ قَدِيماً.**

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهُ اتَّحَدَ بِهِ بِأَنَّهُ **اخْتَصَّهُ وَاصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ،** فَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِحُدُوثِ عِيسَى وَبِحُدُوثِ المعْنَى الَّذِي اتَّحَدَ بِهِ مِنْ أَجْلِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عِيسَى مُحْدَثاً وَكَانَ الله اتَّحَدَ بِهِ بِأَنْ أَحْدَثَ بِهِ مَعْنًى صَارَ بِهِ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَهُ فَقَدْ صَارَ عِيسَى وَذَلِكَ المعْنَى مُحْدَثَيْنِ وَهَذَا خِلَافُ مَا بَدَأْتُمْ تَقُولُونَهُ[1].

٧. الله ظهر في الجسد

استُدلَّ على أن عيسى هو الله بما ورد في رسائل بولس: وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **الله ظَهَرَ فِي الجَسَدِ**، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي العَالَمِ، رُفِعَ فِي المَجْدِ[2].

وتقريبُ الاستدلال بها واضحٌ، فإن الله سبحانه وتعالى قد ظهر في جسد

---

(١) الاحتجاج ج١ ص٢٤.

(٢) ثيموثاوس الأولى٣: ١٦.

عيسى، فيكون عيسى عليه السلام هو الله تعالى.

المناقشة فيه

ويلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أن النسخة المعروفة (فاندايك) وإن دلت على ظهور الله في الجسد، ومثلها نسخٌ أخرى كترجمة الحياة والترجمة السهلة: **الله ظَهَرَ فِي جَسَدٍ بَشَرِيٍّ**، إلا أن معظم النسخ خالَفَتها في هذه العبارة بشكلٍ كبير، ففي الترجمة المشتركة: ولا خِلافَ أنَّ **سِرَّ التَّقوى عَظيمٌ: الّذي ظهَرَ في الجَسَدِ** وتَبَرَّرَ في الرُّوحِ، شاهدَتْهُ المَلائِكَةُ، كانَ بِشارَةً للأُمَمِ، آمَنَ بِه العالَمُ ورفَعَهُ الله في المَجدِ.

فالذي ظهر في الجسد هو عيسى عليه السلام، وهو **سرُّ التقوى**، فتكون خالية عن أي دلالة على ألوهية عيسى، بل تدلُّ على عظمة عيسى وأنه سر تقوى الله تعالى.

أما الترجمة الكاثوليكية ففيها: ولا خِلافَ **أَنَّ سِرَّ التَّقْوى عَظيم: قد أُظهِرَ في الجَسَد**.. والترجمة البولسية: وإِنَّهُ لَعظيمٌ، ولا مِراءَ، **سِرُّ التَّقْوَى، الذي تجلَّى في الجَسَدِ**.

وكلاهما تدلاّن على عظمة سر التقوى الذي تجلى في الجسد، أي في جسد المسيح. ومثلهما ترجمة الآباء الدومينيكان: ويقيناً عظيم هو سر التقوى، الذي ظهر في الجسد..

وفي ترجمة العالم الجديد: عَظِيمٌ هُوَ ٱلسِّرُّ ٱلْمُقَدَّسُ لِهٰذَا ٱلتَّعَبُّدِ لله: «أُظْهِرَ فِي ٱلْجَسَدِ..

أما في المعنى الصحيح لإنجيل المسيح: إنّ سِرَّ نَهجِ الله لا رَيبَ عَظيمٌ: **فلقد**

تَجَلّى المَسيحُ بَشَراً سَويًّا.

وفيما تقدّم **مؤشِّرٌ خطير جداً على خللٍ في ترجمة الإنجيل وفي فهمه**، إذ كيف يمكن الاختلاف بين عبارتي: الله ظهر في الجسد، أو سر التقوى ظهر في الجسد! وكيف سَيَثِقُ القارئ بالإنجيل وأشهر نسخه (فانديك) تنسب لله الظهور في الجسد فيما تخالف هذه النسبة أوثق وأهم النسخ المعتمدة كالمشتركة والكاثوليكية وغيرهما من النسخ القديمة والحديثة؟!

ولعلّ الترجمة الأخيرة (المعنى الصحيح) هي الأصح من بين سائر التراجم، حيث يؤيدها ما في إنجيل يوحنا: **وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا** وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا[1].

ولا خلاف بين كافة نسخ الانجيل في استخدام لفظ (الكلمة) في هذه الآية من إنجيل يوحنا كما كان الخلاف في عبارة بولس المتقدمة، فكل النسخ هنا جاءت إما بصيغة (الكلمة صار جسداً) أو ما يماثلها: (الكَلِمَةُ صارَ بشَراً) أو(صارَ الكَلِمَةُ إنساناً) (واستحالَ الكَلِمةُ إلى كائنٍ بَشَريٍّ) (والكلمة تجسّد وأقام بيننا) (اتخذ جسداً).

ثانياً: أنه على فرض الاعتماد على نسخة (الله ظهر في الجسد) فإنها أيضاً لا تدلُّ على كون عيسى هو الله، لاحتمال أن يكون المراد منها الإشارة إلى نصٍّ ذُكِرَ في العهد القديم: **فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ الله خَلَقَهُ**[2].

---

(١) يوحنا١: ١٤.

(٢) التكوين١: ٢٧.

وهذا النصُّ محمولٌ على المعنى المجازيّ عند النصارى لأن صورة الإنسان وجسَدَهُ ليسا على صورة الله حقيقةً لأن الله تعالى مُنَزّهٌ عن الصورة وعن الجسميّة.

وقد دلَّ الإنجيل على هذا صريحاً لما نفى إبصار الناس لهيئة الله بقوله: وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. **لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ**[1].

وفي نسخة روما ١٩٥١ م: **لم تسمعوا قط صوته ولا عرفتموه ولا رأيتموه.**

ومن كلماتهم الصريحة في أن المراد من خلق الإنسان على صورة الله هو معنى مجازيّ ما نقله المطران رومانوس داود عن القديس يوحنا الدمشقي: إن الإنسان قد خُلق على (صورة الله). **وذلك بالنسبة إلى امتلاكه العقل وحريّة الاختيار**[2].

وهذا الإحتمال كافٍ في إجمالِ النصّ وعدم صلاحيته للاستدلال.

ثالثاً: أنه على فرض عدم انطباق آيات الإنجيل على آية التوراة المتقدمة، يُجاب عنها بأن الكتاب المقدّس قد دلّ على ظهور الله تعالى بصورة ملاك أو إنسان، فلو دلت على ألوهية عيسى لدلّ الكتاب المقدس على ألوهية الملاك أو الانسان الذي ظهر الله بصورته، ومن هذه الموارد ما ورد في سفر التكوين: **وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ** وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ[3].

(١) يوحنا٥: ٣٧.

(٢) من مقاله (الصورة والمثال) في موقع التعليم اللاهوتي العقائدي: *www.orthodoxonline.org*.

(٣) التكوين١٢: ٧.

وفيه: **وَظَهَرَ الله لِيَعْقُوبَ** أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ[١].

وفيه: فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ. **وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ** وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ[٢].

وغيرها الكثير من النماذج.

وعليه فلا يدلُّ هذا النصُّ على كون عيسى هو الله بوجه من الوجوه.

٨. الحياة الذاتية

استُدِلَّ على كون عيسى هو الله بما ورد في إنجيل يوحنا: لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، **كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ**[٣].

واستُدِلَّ بها على أن حياتَه في ذاته تعني أزليّته فهو مساوٍ لله تعالى، علّق هلال أمين شارحاً للآية: **الآب له حياة في ذاته هذه هي طبيعته، لم يأخذ الحياة من أحد،** وهذه الحياة يعطيها للآخرين حسب مسرّة مشيئته، هو أساس ومعطي الحياة الأبديّة. **وكما الآب كذلك الابن له حياةٌ في ذاته لم يأخذها من أحد** "فيه كانت الحياة" (يو١: ٤) وهذه الحياة يستطيع أن يعطيها لمن يشاء وهذا هو ما تعنيه العبارة "أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته".

والنصُّ الذي جعله شاهداً هو ما ورد في إنجيل يوحنا وفسّروه بعيسى

(١) التكوين٩:٣٥.

(٢) التكوين٢٦: ١و٢.

(٣) يوحنا٥: ٢٦.

عليه السلام وأنه: **فِيهِ كَانَتِ الحَيَاةُ،** وَالحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ[1].

وقد فسّرها هلال أمين بقوله: **كمصدر الحياة وكلمة "الحياة" هنا تعنى الحياة الأبدية فهو مصدر الحياة الأبدية لكل المؤمنين.**

واستدلّ بهذه العبارة وليم ماكدونالد في شرحه ليوحنا٥: ١٨ معتبراً أنها تدل على أن عيسى: **(مساوٍ له في وجوب الوجود بذاته).**

المناقشة فيه

يلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أنّه فهمٌ غريبٌ جداً للعبارة، بل إسقاطٌ لرأي مُسبقٍ على النصّ، فإن العبارة وإن ذكرت أن للمسيح **(حَيَاة فِي ذَاتِهِ)** إلا أنها ذكرت مصدر هذه الحياة فهي عطيّة من الله (الآب بحسب الإنجيل): **كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ.**

فهي على افتقاره واحتياجه لله تعالى أدلّ وأوضح.

وأوضح منها ما ورد في نسخة الإنجيل الطبعة الهندية ١٨١٦ م (كلكتة): **وهب للابن** ان تكون له حيوة في نفسه كذلك.

فهي **هبة من الله تعالى لعيسى** عليه السلام، وليس لعيسى حياة لولا إعطاء الله الحياة له وهبته إياها.

وفي ترجمة (الأخبار السارة) وردت: فكما أن الآب هو في ذاته مصدر الحياة،

---

(١) يوحنا١: ٤.

فكذلك أعطى الابن أن يكون في ذاته مصدر الحياة.

فتدلّ على أن الله تعالى **جعل عيسى** مصدراً للحياة، فصار بإمكانه الإحياء، على سبيل المعجزة والكرامة من الله تعالى له.

وفي الإنجيل طبعة روما ١٩٥١م: كما أن للاب الحياة في ذاته **كذلك أعطي الابن ان تكون الحياة فيه.**

فخلت عن أي عبارة تحتوي على كون الحياة ذاتية، وكذا في الإنجيل المترجم عن النسخة القبطية (حبيب جرجس): **كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون الحياة فيه.**

وفي إحدى النسخ التي ترجع لأكثر من ألف عام ورد النص هكذا: وكما أن **الآب له حياة بقنومه، كذلك أعطى الابن ان تكون له حياة بقنومه**[1].

والقنوم أو الأقنوم هو الشخص، فيكون النصُّ دالاً على أن حياة عيسى من الله تعالى، أي أن الله تعالى هو مُعطي الحياة لعيسى، دون أي ذكر للحياة الذاتية.

ثانياً: أن ما تقدّم كان على فرض أن يراد في الآية **من الحياة ما يقابل الموت.**

لكن الإنجيل استعمل هذا اللفظ في **الحياة المعنوية** في موارد عديدة، فقد عبّر عيسى عن نفسه بأنه خُبزُ الحياة: أَنَا هُوَ **خُبْزُ الحَيَاةِ**[2]، وعبَّرَ عن كلامه بأنه

---

(١) الأناجيل النصوص الكاملة ص٣٥٠.

(٢) يوحنا٦: ٤٨.

روحٌ وحياةٌ: **الكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ**[١].

ولو أريد معنى الحياة الحقيقية الذاتية التي تُقَابِل الموت، للزم توفر خصلتين فيها:

١. **أن لا تكون مسبوقةً بالعدم**، والحال أن عيسى قد ولد بعد أن لم يكن، **فكان مسبوقاً بالعدم، فلم تكن حياته ذاتية.**

٢. **أن لا تكون ملحوقةً بالموت**، فينبغي أن لا يكون له قابلية الوفاة، وهو وإن كان رئيس الحياة بحسب الإنجيل، إلا أنه قُتِلَ ومات (بحسب الإنجيل دائماً)، فكيف تكون حياته ذاتية؟

ورد في أعمال الرسل: **وَرَئِيسُ الحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ**، الَّذِي أَقَامَهُ الله مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ[٢]. وفي إنجيل متى: فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، **وَأَسْلَمَ الرُّوحَ**[٣].

فتكون العبارة على الوجهين غير دالة على مساواته لله تعالى أبداً.

٩. معادلا نفسه بالله

استُدِلَّ على أن عيسى معادلٌ لله تعالى بما ورد في رسائل بولس: فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الفِكْرُ الَّذِي فِي المَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: **الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ الله، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً**

(١) يوحنا٦: ٦٣.

(٢) أعمال الرسل٣: ١٥.

(٣) متى٢٧: ٥٠.

أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لله. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى المَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ الله أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ[١].

ويمكن أن يُستَدل على مساواته لله بأمرين:

الأول: **أنّه في صورة الله**.

الثاني: **أنّه معادل لله**.

المناقشة فيه

يلاحظ على ذلك:

أولاً: أن كون عيسى في صورة الله ليس من مختصّاته، إذ ورد في العهد القديم أن الله خلق الإنسان على صورته: **فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ**. عَلَى صُورَةِ الله خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ[٢].

وورد في العهد الجديد أن الرجلَ صورةُ الله ومجده: **فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ الله وَمَجْدَهُ**. وَأَمَّا المَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ[٣].

فلو دلّ كونُه في صورة الله على ألوهيّته، **للزم القول بألوهية كل الرجال**، بل كل الناس رجالاً ونساءً فكلهم على صورة الله خلقوا.

ثانياً: أنّه ليس في العبارة ما يدلّ على أنّه عادَلَ نفسَه بالله، أو أنّه مُعادِلٌ لله،

(١) فيليبي٢: ٥-٩.

(٢) التكوين١: ٢٧.

(٣) كورنثوس الأولى١١: ٧.

بل **دلّت على النقيض من ذلك تماماً**، إذ أنّه بعد كونه في صورة الله (**لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لله**)، فكيف يُستدلُّ بعدم كونه معادلاً لله على أنه معادلٌ لله؟!

وفي سائر تراجم الكتاب المقدّس ما يزيد الأمر وضوحاً، ففي نسخة (العهد الجديد لربنا يسوع المسيح: ١٣٤٢م) ورد: **المسيح الذي هو شبه الله ولم يعدد هذا خلسة أن يكون عديل الله.**

أي أنه لم يعدّ مشابهته لله في كونه في صورته غنيمةً، ولم يزعم أنّه عديل الله كما زعم النصارى.

وحتى على فرض اثبات المساواة كما في بعض النسخ فإنها محصورةٌ في جهةٍ واحدةٍ وهي كونه على صورة الله، وقد تقدم أن الناس كلهم خلقوا على صورة الله.

ثالثاً: أن العبارة إن أوهمت خلاف ذلك، كما فهمه اليهود من كلامه، فإن ردَّ عيسى عليهم يأتي صريحاً في نفي معادلته لله تعالى، وإثبات أنه لا يقدر أن يعمل شيئاً دون الله تعالى، فكيف يكون مساوياً لله؟

ففي إنجيل يوحنا: فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ اليَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ **قَالَ أَيْضًا إِنَّ الله أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِالله.**

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «الحَقَّ الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ**. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ[1].

(١) يوحنا٥: ١٨-١٩.

وبعدها بآيات: **أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا**[١].

وفي نسخة روما ١٩٥١م: **لست أقدر أن أعمل شيئاً من ذات نفسي.**

ولم يسبق لعيسى عليه السلام أن ذكر أنّه معادلٌ لله أبداً، لكن اليهود فهموا (بحسب الإنجيل) أنه معادلٌ لله كونه قال إن الله أبوه، يتبيّن ذلك من الآيات السابقة نفسها، وبشكل أوضح في ترجماتٍ أخرى كالطبعة المشتركة والكاثوليكية والحياة وغيرها حيث وردت: قالَ إنَّ الله أبوهُ، فَساوى نَفسَهُ بِالله.

فهو قد **ساوى نفسه بالله بحسب اعتقادهم لا بحسب ادعائه،** لأنه قال أنّ الله أبوه وهو يدل عندهم على المساواة بين الأب والإبن.

وهم مصيبون في ذلك، أي في كون من يدّعي أن الله أبوه مُدّعياً للألوهية وأنّه الله، **لذا نعتقد أن عيسى لم يقل في الحقيقة أنّ أباه هو الله،** لكن الإنجيل فعلاً يُثبتُ الأبوّة والبنوّة بمعانٍ مجازية كما تقدم، وبناء على هذا فإن عيسى أجابهم **نافياً أن يكون معادِلاً أو مساوياً لله تعالى،** لأنه لا يعمل شيئاً من نفسه، **وهو عين الافتقار المحض الذي لا يجتمع مع مساواته لله تعالى بوجه من الوجوه.**

١٠. السجود لعيسى

تكرّر ذكر السجود لعيسى عليه السلام في الكتاب المقدّس، واستُدِلَّ به على مساواته لله تعالى وإلا لم يجُز السجود له، كما قال عيسى للشيطان: حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: **لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ** وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»[٢].

---

(١) يوحنا٥: ٣٠.

(٢) متى٤: ١٠.

ولو ساغ السجود لغير الله تعالى لنهى عيسى عليه السلام الساجدين عن السجود له، لكنه لم ينههم فدلّ ذلك على قبوله بفعلهم، فصار هو الله.

وسجودهم له كان منذ ولادته لما جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم أيام هيرودس: وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. **فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ**. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا[١].

ولما كبر وظهرت معجزاته جاء أبرص ساجداً له طالباً منه الشفاء: وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ **جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ** قَائِلاً: «يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ[٢].

وفي مورد آخر: وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا، إِذَا **رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ** قَائِلاً: «إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ، لكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا»[٣].

وفي محل رابع: وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ **جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ**: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!»[٤].

ولما قام من الموت (بحسب الكتاب المقدس) سجدت له مريم المجدلية ومريم الأخرى[٥]: وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا

---

(١) متى٢: ١١.

(٢) متى٨: ٢و٣.

(٣) متى٩: ١٨.

(٤) متى١٤: ٣٣.

(٥) قيل أنّ مريم الأخرى هي السيدة مريم عليها السلام والدة النبي عيسى عليه السلام، وقيل أنّها أختها وليست هي، وأختها هذه أم يعقوب زوجة حلفي ولقبه كلوبا.

وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ **وَسَجَدَتَا لَهُ**[(١)].

بل سجدت له كل ملائكة الله: وَأَيْضًا مَتَى **أَدْخَلَ البِكْرَ إِلَى العَالَمِ** يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ الله»[(٢)].

فدلّ كل هذا على مساواته لله تعالى، لعدم صحة السجود لغير الله تعالى.

المناقشة فيه

يلاحظ على هذا الاستدلال، أنّه لا بدّ من حمل عبارة (**لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ** وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ) على السجود الذي يراد منه العبادة، **أمّا سجود التعظيم أو الشكر فلا مانع منه بحسب الكتاب المقدّس**، وعليه فلا يدل السجود لغير الله تعالى مطلقاً على العبادة له، ولا على كون المسجود له مساوياً لله تعالى.

ويحكي الكتابُ سجودَ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام لبني حِثّ[(٣)] لما ماتت سارة فندبها وبكى عليها، وأراد دفنها، فطلب مِلكَ قبرٍ منهم: فَأَجَابَ بَنُو حِثَّ إِبْرَاهِيمَ قَائِلِينَ لَهُ: «اِسْمَعْنَا يَا سَيِّدِي. أَنْتَ **رَئِيسٌ مِنَ الله بَيْنَنَا**. فِي أَفْضَلِ قُبُورِنَا ادْفِنْ مَيْتَكَ، لاَ يَمْنَعُ أَحَدٌ مِنَّا قَبْرَهُ عَنْكَ حَتَّى لاَ تَدْفِنَ مَيْتَكَ». **فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ وَسَجَدَ لِشَعْبِ الأَرْضِ**، لِبَنِي حِثَّ[(٤)].

والسجود هنا كان من الأعلى (رئيس من الله) للأدنى (لشعب الأرض)،

---

(١) متى٢٨: ٩.

(٢) العبرانيين١: ٦.

(٣) وهم قومٌ عاشوا في شمال سوريا والعراق وأماكن أخرى كما يُذكر في علم الحفريات، وحِثّ ثاني أبناء كنعان.

(٤) التكوين٢٣: ٥-٧.

فدلّ على أن **السجود لا يلازم العبودية**، وإلا كان (شعب الأرض) إلهاً لإبراهيم، **وكان الله هو (شعب الأرض) بنو حِثّ**، بل **يظهر أنه سجودُ شكرٍ بعد أن أجابوه في طلبته.**

ولذا لا يكون في سجود الناس لعيسى عليه السلام أي **دلالة على أنه الله.**

كذلك ينقل الكتاب المقدس **سجود أخوة يوسف** له: وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الْمُسَلَّطَ عَلَى الأَرْضِ، وَهُوَ الْبَائِعَ لِكُلِّ شَعْبِ الأَرْضِ. فَأَتَى **إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ**(1).

فسجد أخوة يوسف له ولم ينههم عن ذلك، ولم يصبح يوسف بذلك إلهاً ورباً**!**

كذلك **سجدت زوجة داود له ولم ينهها عن ذلك**: فَخَرَّتْ بَثْشَبَعُ عَلَى وَجْهِهَا إِلَى الأَرْضِ **وَسَجَدَتْ لِلْمَلِكِ** وَقَالَتْ: «لِيَحْيَ سَيِّدِي الْمَلِكُ دَاوُدُ إِلَى الأَبَدِ»(2).

وسجد أدونيا أخ سليمان لأخيه: فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ فَأَنْزَلُوهُ عَنِ الْمَذْبَحِ، فَأَتَى **وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ**. فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ»(3).

وسجد سليمان لأمه بثشبع: فَدَخَلَتْ بَثْشَبَعُ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ لِتُكَلِّمَهُ عَنْ أَدُونِيَّا. **فَقَامَ الْمَلِكُ لِلِقَائِهَا وَسَجَدَ لَهَا** وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَوَضَعَ كُرْسِيًّا لأُمِّ الْمَلِكِ

(١) التكوين٤٢: ٦، وقريب منه ما في سفر التكوين ٤٣: ٢٦-٢٨.

(٢) الملوك الأول١: ٣١.

(٣) الملوك الأول١: ٥٣.

فَجَلَسَتْ عَنْ يَمِينِهِ[١].

وهكذا سجد أبناء الأنبياء لأليشع[٢]، وأمر الكتاب المقدس البنات بالسجود لسيّدهن: اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، فَيَشْتَهِيَ المَلِكُ حُسْنَكِ، **لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ**[٣].

فيكون السجود في الكتاب المقدس على أنواع، فمنه سجود شكرٍ ومنه سجود تكريمٍ واحترام، ومنه سجود عبادة، والأخير لا يصحُّ إلا لله تعالى، وما سواه لا ضيرَ فيه، فيكون سجود الساجدين لعيسى عليه السلام سجودَ شُكرٍ واحترامٍ وتكريمٍ دون أن يكون فيه أيّ دلالة على مساواة عيسى لله تعالى ولا على ألوهيته.

١١. شفاء المرضى وإحياء الموتى

استُدلّ على ألوهية عيسى بأنه كان يشفي المرضى ويحيي الموتى بطريقٍ إعجازيّ، وإحياء الموتى مختصّ بالله تعالى، فيدل ذلك على مساواته لله تعالى.

ومما ورد عن ذلك في الإنجيل: وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ المَلَكُوتِ، **وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ** فِي الشَّعْب. فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ **جَمِيعَ السُّقَمَاءِ المُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ**

(١) الملوك الأول٢: ١٩.

(٢) سفر الملوك الثاني٢: ١٥.

(٣) المزامير٤٥: ١٠-١١.

مُخْتَلِفَةٍ، وَالمَجَانِينَ وَالمَصْرُوعِينَ وَالمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ(١).

ومنها: وَلَمَّا صَارَ المَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، **وَجَمِيعَ المَرْضَى شَفَاهُمْ**(٢).

وأما العمي: حِينَئِذٍ **لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا** قَائِلاً: «بِحَسَب إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». **فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا**. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً: «انْظُرَا، لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ!» (٣).

ومنها: فَجَاءَ إِلَيْهِ **جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ**، مَعَهُمْ عُرْجٌ وَعُمْيٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ، وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. **فَشَفَاهُمْ**. حَتَّى تَعَجَّبَ الجُمُوعُ إِذْ رَأَوْا **الخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ، وَالشُّلَّ يَصِحُّونَ، وَالعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالعُمْيَ يُبْصِرُونَ**. وَمَجَّدُوا إِلهَ إِسْرَائِيلَ(٤).

أمّا إحياء الموتى فقد ذكر في الإنجيل أيضاً: العُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، **وَالمَوْتَى يَقُومُونَ**، وَالمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ(٥).

ولما ماتت ابنة رئيس دار المجمع: وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً: «**يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!**». **فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ**(٦).

---

(١) متى٤: ٢٣و٢٤.

(٢) متى٨: ١٦.

(٣) متى٩: ٢٩و٣٠.

(٤) متى١٥: ٣٠-٣١.

(٥) متى١١: ٥.

(٦) لوقا٨: ٥٤-٥٥.

ولما وقف على نعش شابّ ميّت ولمسه: قَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!». **فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ،** فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ[1].

فدلّ ذلك على مساواته لله تعالى، إذ أنّ هذه المعجزات وإحياء الموتى خصوصاً من مختصات الله تعالى.

المناقشة فيه

ويلاحظ على هذا الدليل:

أوّلاً: أنّ **شفاء المرضى لم يكن حِكراً على عيسى** عليه السلام **في الكتاب المقدّس،** فقد ورد أن لله **ملاكاً يبرئ من كل الأمراض،** ففي إنجيل يوحنا: وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. فِي هذِهِ كَانَ مُضْطَجِعًا جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ **مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ،** يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. **لأَنَّ مَلاَكًا كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ.** فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ **كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ**[2].

وكان **تلاميذ** المسيح **أيضاً يشفون المرضى** بحسب الإنجيل: ثُمَّ دَعَا **تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ** وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، **وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ**[3].

وفي مرقس: وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا، وَيَكُونَ لَهُمْ

(١) لوقا٧: ١٤-١٥.

(٢) يوحنا٥: ٢-٤.

(٣) متى١٠: ١.

سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ[١]. وفي لوقا: فَلَمَّا خَرَجُوا كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ **يُبَشِّرُونَ وَيَشْفُونَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ**[٢].

بل كان هناك **سبعون شخصاً غير التلاميذ الاثني عشر شاركوا في شفاء المرضى**: وَبَعْدَ ذلِكَ **عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا**، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ.. وَأَيَّةَ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ، **وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا**، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ.. فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ:«يَارَبُّ، **حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!**»[٣].

ثانياً: أن **إحياء الموتى أيضاً لم يكن حكراً على عيسى** (بحسب الإنجيل)، فإن **التلاميذ قد أحيوا الموتى أيضاً**، ففي وصية عيسى للإثني عشر أمرهم بشفاء المرضى **وإقامة الموتى**: وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. **اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى**. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا[٤].

ثم إن من **التلاميذ من مارس ذلك فعلاً وقام بإحياء الموتى** كما ينقل عن بطرس في أعمال الرسل بعدما ماتت تلميذةٌ اسمها طَابِيثَا:

---

(١) مرقس٣: ١٤و١٥.

(٢) لوقا٩: ٦.

(٣) لوقا١٠ :١-١٧.

(٤) متى١٠: ٧و٨.

فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الجَمِيعَ خَارِجًا، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الجَسَدِ وَقَالَ: «**يَا طَابِيثَا، قُومِي!**» **فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا**. وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ، **فَنَاوَلَهَا يَدَهُ وَأَقَامَهَا**. ثُمَّ نَادَى القِدِّيسِينَ وَالأَرَامِلَ وَأَحْضَرَهَا حَيَّةً(١).

وقد نقل ثاوذورس أبي قرّة أن توما تلميذ المسيح أحيا ميتاً في الهند فآمن بالمسيح ملوكُ الهند وغيرهم(٢).

بل ورد **في الكتاب المقدّس إحياء أَلِيشَع لميتٍ** أيضاً، ففيه: وَدَخَلَ أَلِيشَعُ البَيْتَ وَإِذَا **بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ** وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ البَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ **وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الوَلَدِ**.

ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي البَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، **وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ**(٣).

وصرّح الكتاب المقدّس بأن أليشع هو الذي أحياه بقوله: **وَكَلَّمَ أَلِيشَعُ المَرْأَةَ الَّتِي أَحْيَا ابْنَهَا** قَائِلاً: «قُومِي وَانْطَلِقِي أَنْتِ وَبَيْتُكِ وَتَغَرَّبِي حَيْثُمَا تَتَغَرَّبِي، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَا بِجُوعٍ فَيَأْتِي أَيْضًا عَلَى الأَرْضِ سَبْعَ سِنِينٍ»(٤).

---

(١) أعمال الرسل٩: ٤٠و٤١، وورد ذلك أيضاً في جملة من الكتب التي لم تعترف بها الكنيسة، يراجع على سبيل المثال كتاب: الأعمال والرسائل المنحولة ص١٨.

(٢) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٦٩.

(٣) الملوك الثاني٤: ٣٢-٣٥.

(٤) الملوك الثاني٨: ١.

بل إن مسَّ عظام أليشع بعد موته كان سبباً لحياة ميّت آخر: **وَمَاتَ أَلِيشَعُ فَدَفَنُوهُ.** وَكَانَ غُزَاةُ مُوآبَ تَدْخُلُ عَلَى الأَرْضِ عِنْدَ دُخُولِ السَّنَةِ. **وَفِيمَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلاً** إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الغُزَاةَ، **فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ**[1].

ولم يقل قائلٌ بأن أليشع هو الله لإحيائه ميتاً أثناء حياته وبعد موته عبر مسّ عظامه.

وقد احتجّ إمامنا الرضا عليه السلام بإحياء أليشع أو اليسع للموتى، ولو كان إحياء عيسى للموتى دليلاً على ربوبيّته لَلَزِمَ القول بربوبية هؤلاء الأنبياء، فقد جرت مناظرةٌ بين إمامنا عليه السلام وبين جاثليق النصارى عند المأمون، قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **مَا أَنْكَرْتَ أَنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ؟**

قَالَ الجَاثِلِيقُ: أَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ أَنَّ **مَنْ أَحْيَا المَوْتَى وَأَبْرَأَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ فَهُوَ رَبٌّ مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُعْبَدَ.**

فالجاثليق يُنكِرُ أنّ إحياء عيسى عليه السلام للموتى كان بإذن الله، ويزعم أنّه الله كما هي عقيدة النصارى.

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **فَإِنَّ اليَسَعَ قَدْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَ عِيسَى: مَشَى عَلَى المَاءِ وَأَحْيَا المَوْتَى وَأَبْرَأَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ فَلَمْ يَتَّخِذْهُ أُمَّتُهُ رَبّاً وَلَمْ يَعْبُدْهُ أَحَدٌ مِنْ دُونِ الله عَزَّ وَجَلَّ.**

وَلَقَدْ صَنَعَ حِزْقِيلُ النَّبِيُّ عليه السلام مِثْلَ مَا صَنَعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام فَأَحْيَا خَمْسَةً

(١) الملوك الثاني١٣: ٢٠-٢١.

وَثَلَاثِينَ الفَ رَجُلٍ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ بِسِتِّينَ سَنَة[١]..

ثم قَالَ الرِّضَا عليه السلام: .. لَقَدِ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُمْ مَوْتَاهُمْ فَوَجَّهَ مَعَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى الجَبَّانَةِ فَنَادِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِكَ: يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ: يَقُولُ لَكُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله **قُومُوا بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ.**

فَقَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ تَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ بُعِثَ نَبِيّاً، وَقَالُوا: وَدِدْنَا أَنَّا أَدْرَكْنَاهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ.

وَلَقَدْ أَبْرَأَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَالمَجَانِينَ وَكَلَّمَهُ البَهَائِمُ وَالطَّيْرُ وَالجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَلَمْ نَتَّخِذْهُ رَبّاً مِنْ دُونِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ نُنْكِرْ لِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَضْلَهُمْ، فَمَتَى اتَّخَذْتُمْ عِيسَى رَبّاً جَازَ لَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا اليَسَعَ وَحِزْقِيلَ رَبّاً لِأَنَّهُمَا قَدْ صَنَعَا مِثْلَ مَا صَنَعَ عِيسَى مِنْ إِحْيَاءِ المَوْتَى وَغَيْرِه[٢].

ثم ذكر له الإمام عليه السلام نماذج أخرى لأقوام أحياهم الله تعالى على يد عباده، ثم قال للجاثليق: وَكُلُّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ هَذَا لَا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالفُرْقَانَ قَدْ نَطَقَتْ بِهِ، **فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ أَحْيَا المَوْتَى وَأَبْرَأَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَالمَجَانِينَ يُتَّخَذُ رَبّاً مِنْ دُونِ الله فَاتَّخِذْ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ أَرْبَاباً**، مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ؟

قَالَ الجَاثِلِيقُ: القَوْلُ قَوْلُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله[٣].

---

(١) التوحيد (للصدوق) ص٤٢٢.

(٢) التوحيد (للصدوق) ص٤٢٣.

(٣) التوحيد (للصدوق) ص٤٢٤.

ثالثاً: لقد **فهم الناسُ أن إحياء الموتى من قبل عيسى يدلّ على أنّه نبيٌّ ولا يدلّ على أنّه الله**، ففي إنجيل لوقا عندما رأى المسيحُ ميتاً محمولاً وتحنّنَ على أمّه: ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، **لَكَ أَقُولُ: قُمْ!**».

فَجَلَسَ المَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. فَأَخَذَ الجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا الله قَائِلِينَ: «**قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ**، وَافْتَقَدَ الله شَعْبَهُ»[1].

ولم يعترض عيسى ولا الإنجيل على هذا الاستنتاج لكونه طبيعياً وفي محلّه، فإن المعجزات تصدر على يد الأنبياء، بقدرة الله تعالى، **فدلّ إحياؤه الموتى على كونه نبيّاً عظيماً لا على كونه الله**.

رابعاً: أن عيسى وإن كان يحيي الموتى إلا أنّه **يصرّح في الإنجيل بأن إحياء الموتى هو بإذن الله تعالى**، فالله هو الذي يُقدِرُهُ ويسمع له ويقبل منه إحياء الموتى، وهو الذي أرسله بذلك فلم يكن ما يفعله عيسى من تلقاء نفسه بل من الله تعالى، فبعد أن مات لِعَازَرُ أخ مَرْثَا قالت للمسيح: أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ الله يُعْطِيكَ الله إِيَّاهُ.

فَرَفَعُوا الحَجَرَ حَيْثُ كَانَ المَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «**أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي**، وَأَنَا عَلِمْتُ **أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي**. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الجَمْعِ الوَاقِفِ قُلْتُ، **لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي**».

وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «**لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!**»

فَخَرَجَ المَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل.

---

(١) لوقا٧: ١٤-١٦.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ»[١].

فإن عيسى عليه السلام قد رَفَعَ كلَّ شبهةٍ هنا ببيانه قبل إحياء الميت أن ما يقوم به هو من الله تعالى، لدرء أي شبهةٍ محتملة في أذهان الحاضرين، بل في بعض النسخ عبّر بالاستجابة بدلاً من السماع، ففي (الترجمة العربية المشتركة) وترجمة (الأخبار السارة): رفع يسوع عينيه وقال: **أشكرك يا أبي لأنك استجبت لي**. وفي ترجمة (اليسوعية): **شكرا لك، يا أبت على أنك استجبت لي.**

وهو لا يختلف كثيراً عما حصل مع نبي الله إيليا في قصته مع الفتى الذي مات فسمع اللهُ طلبَه واستجابَ له لإحياء الميّت: وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ **بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟**»

فَتَمَدَّدَ عَلَى الوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «**يَا رَبُّ إِلهِي، لِتَرْجِعْ نَفْسُ هذَا الوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ**». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، **فَرَجَعَتْ نَفْسُ الوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ**[٢].

خامساً: قد يحاولُ البعض التمييز بين شفاء التلامذة وشفاء عيسى عليه السلام بالقول أنّ شفاءهم إنّما كان بتوسُّطه، مستشهدين بما قاله بطرس بعدما أقدم هو ويوحنا على شفاء رجل أعرج: فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ ذلِكَ أَجَابَ الشَّعْبَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا؟ **وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي؟**»[٣].

---

(١) يوحنا١١: ٢٢-٤٤

(٢) الملوك الأول١٧: ٢٠-٢٢.

(٣) أعمال الرسل٣: ١٢.

فإن ما فعلوه لم يكن بقوّتهم، بخلاف ما فعله عيسى فقد كان بقوّته.

والجواب عليه أن ما فعلوه **إما أن يكون بقدرة الله أو بقدرة عيسى**، وعلى كلا التقديرين **سيرجع ذلك لله تعالى**، لأن **عيسى** عليه السلام **نفسه إنما كان يفعل ما يفعل بقدرة الله تعالى لا بقدرته الذاتية**، كما صرّح بنفسه في الإنجيل: أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي.. **أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا** هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ[1].

إذاً فهو يعمل الأعمالَ باسم أبيه لا بنفسه، كما أنّ بطرس ويوحنا كذلك.. والله تعالى هو الذي أعطاه هذه القدرة، فيشترك مع سائر من أحيا الموتى (بحسب الإنجيل) في أن قدرتهم جميعاً من الله تعالى، غاية الأمر ان هناك احتمالاً أن يكون بطرس ويوحنا إنما يقومان بذلك بتوسُّطه هو عليه السلام باعتباره النبيَّ المرسل من الله تعالى لهم.

وعليه فإنّ **إحياء الموتى وشفاء المرضى لم يكن مختصاً بعيسى** عليه السلام، بل شمل الأنبياء السابقين وتلامذة عيسى اللاحقين، والجميع كانوا كعيسى محتاجين لله تعالى في إحياء الموتى وشفاء المرضى، فلم يكن في ذلك دلالةٌ على أن عيسى هو الله، كما لم يكن تلامذته هم الله.

وقد صرّح الإنجيل بأن كلّ العجائب التي ظهرت على يدي عيسى عليه السلام إنما صنعها الله تعالى بيده، ففيه: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ الله

(١) يوحنا١٠: ٢٥ و٢٩.

بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ[١].

١٢. علمه بالغيب

استُدِلَّ على ألوهية عيسى بأنه كان يعلم الغيب، ومن ذلك علمه بأفكار الناس، فقد ورد في إنجيل متى: وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هذَا يُجَدِّفُ!» **فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ**، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟»[٢].

وفيه أيضاً: أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ». **فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ**، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ[٣].

وأمثاله من النصوص. فدلّ هذا على أنّه الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم الغيب.

المناقشة فيه

يلاحظ على ذلك:

أولاً: أن **الدليل أخصُّ من المُدَّعى**، فإن الدليل يُثبِتُ له (بعض العلم بالغيب) لا كلَّ علمٍ بالغيب، ليكون علمه مساوياً لله تعالى، ولا ملازمة بين معرفة بعض الغيب وبين معرفة كلّ الغيب، فالآخرةُ من الغيب الذي يعلمه في الجملة

(١) أعمال الرُّسل٢: ٢٢.

(٢) متى٩: ٣و٤.

(٣) متى١٢: ٢٤و٢٥.

معظم الناس وإن كان ذلك بتعليم الأنبياء، فلا مانع من أن يكون الله تعالى قد أطلع عيسى عليه السلام على ما في أفكار هؤلاء الناس. فلا يدل على ألوهيته بوجه.

ثانياً: أن في الإنجيل شواهد على أن عيسى عليه السلام لا يعلم كل شيء، وأنّ علمه ليس ذاتياً بل من الله.

فقد تضمّن **تصريحاً بعدم علم عيسى** عليه السلام **بساعة عودته**: «**وَأَمَّا ذلِكَ اليَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ**، وَلاَ المَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، **وَلاَ الابْنُ**، إِلاَّ الآبُ[1].

نعم هناك محاولةٌ غير موفقة لبعض شرّاح الانجيل كوِليَم ماكدونالد للتفريق بين علم المسيح بصفته الله وعلمه بصفته العبد، فهو يعلم باعتباره الله ولا يعلم باعتباره العبد!

يقول: **فلم يُعطَ الربُّ يسوع، باعتباره العبد الكامل، أن يعرف زمن مجيئه ثانيةً.. فهو يعرفه طبعاً، لكونه الله**. لكنه كعبد، لم يُعط أن يعرف ذلك ليعلنه للآخرين.

ومثله قال الدكتور القس لبيب ميخائيل: **يعلن جهله هذا باعتباره «عبداً»** مع أنه في نفس الوقت يؤكد أنه «الابن» الذي أخلى نفسه لفداء الإنسان بموته على الصليب[2].

ونجاح هذه المحاولة يتوقف على **ثبوت إحدى مقدّمتين:**

---

(١) مرقس١٣: ٣٢.

(٢) هل المسيح هو الله!؟ ص٧٤.

١. أن يكون هناك **نصٌّ يدلُّ على علمه بشيءٍ ما، ونصٌّ آخر يدل على عدم علمه بذلك الشيء**، فيُمكن حينها أن يُحمَلَ النَّفيُ على العلم الذاتي، والإثباتُ على العلم الُمعطى من الله تعالى، فيقال: أنّ عيسى لولا تعليم الله تعالى له لم يكن ليعلم، ولكن بتعليم الله تعالى صار عالماً، **وهو ما نفسّر به نحن المسلمين نصوصَ نفي علم الغيب عن النبي** صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وآيات اختصاص علم الغيب بالله تعالى، لقيام الأدلة على تعليم الله تعالى شيئاً من هذه العلوم لأنبيائه ورسله عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

٢. أن يكون هناك دليلٌ تامٌّ على أن عيسى هو الله وهو العبد! **فلو كان ذلك مُمكِناً عقلاً، وثابتاً نقلاً لكان لدليلهم وجه.**

أما **المقدّمة الثانية فمنقوضةٌ لعدم إمكان كون عيسى هو الله والعبد في آن واحد**، وقد ناقشنا ذلك في كتاب (الثالوث صليب العقل)، ولعدم ثبوت كون عيسى هو الله بحسب النقل أي الكتاب المقدس أيضاً، والاستدلال بهذا النص يتوقف على ثبوت كونه الله، **فهو من باب توقف الشيء على نفسه، وهو غير ممكن.**

وأما المقدّمة الأولى فغيرُ تامّة أيضاً، لخلوّ الإنجيل من أي نصٍّ يثبت كلَّ عِلمٍ لعيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ، كما يخلو من أيّ نصٍّ يثبت أنه الله أو أنه مساوٍ له، بل **دلّت نصوص عديدة على افتقاره لله تعالى وعلى أن كلَّ ما عنده فمن الله**، ومن ذلك قوله مخاطباً الله: **وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ**[1].

فكيف يكون علمه ذاتياً مساوياً لعلم الله تعالى وهو يصرّح بأن كل ما عنده فقد أعطاه إياه الله؟

---

(١) يوحنا١٧: ٧.

ولذا فإن النص الذي قد يشير إلى علمه بكل شيء وهو قول التلامذة له: اَلآنَ نَعْلَمُ **أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ**، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ[1]، يكشف إما عن جهل التلاميذ بحدود علم عيسى عليه السلام، أو عن عدم صحة هذه العبارة من الإنجيل، أو تُؤوّل العبارة بأن يراد منها (كل شيء مما يحتاجون إليه) مثلاً، لأن الإنجيل يناقض كونه عالماً بكل شيء، فيتحدث عن ساعة عودته ويومه قائلاً: (**فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ**، وَلاَ المَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، **وَلاَ الابْنُ**).

ثم إن الإنجيل صريحٌ أيضاً بأن **علمه ليس من نفسه بل من الله تعالى**: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، **بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي**[2].

فكيف يكون الله معلّمه ويكون هو الله؟! وقد نقل الإنجيل عنه: **لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي**، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ **أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ**[3].

فلم تدلّ هذه النصوص على كونه الله أبداً.

١٣. تسلطه على الكون

استُدلّ على أن عيسى هو الله أو أنه مساوٍ له تعالى **بتسلّطه على مفاصل**

---

(١) يوحنا١٦: ٣٠.

(٢) يوحنا٨: ٢٨.

(٣) يوحنا١٢: ٤٩.

الكون، ومن ذلك **إصداره الأوامر للرياح وللبحر فيطيعانه**، وذلك لما كانوا في البحر فحدثت ريحٌ عظيمة وصارت الأمواج تضرب السفينة فأيقظوه: **فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ:«اسْكُتْ! اِبْكَمْ!». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ**[1].

المناقشة فيه

يلاحظ على ذلك:

أولاً: أن **هذا الدليل أخصُّ من المُدّعى**، فالقدرة على التحكم ببعض الأمور الكونية لا تعني القدرة على التحكم بكلّ شيء، والله هو القادر على التحكم بكل شيء لا ببعض الأمور، فلِكُلِّ واحدٍ من المخلوقات قدرةٌ مختلفةٌ عن الآخر، وثبوتُ بعض القدرة لعيسى عليه السلام لا يعني ثبوت كلّ قدرةٍ له كي يكون هو الله القادر على كلّ شيء.

ثانياً: أنّه **أخصُّ من المدعى بوجهٍ آخر**، ذلك أن القدرة على التحكم **أعمّ من القدرة الذاتية والقدرة الكسبية كقدرة الملائكة وسائر المخلوقات**، فقد ورد في العهد القديم أن الرب أرسل ملاكه فأباد كلّ جبار، فهل يكون ملاك الرب رباً أو مساوياً للرب؟!

ففيه: **فَأَرْسَلَ الرَّبُّ مَلاَكًا فَأَبَادَ كُلَّ جَبَّارِ بَأْسٍ وَرَئِيسٍ وَقَائِدٍ فِي مَحَلَّةِ مَلِكِ أَشُّورَ**[2].

---

(١) مرقس٤: ٣٩.

(٢) أخبار الأيام الثاني٣٢: ٢١.

ثالثاً: أنّ عيسى قد أرشد أصحابه إلى وجه القدرة على مثل هذه التصرُّفات، وهي الإيمان، فإنَّ المؤمن تُطيعه الجمادات والمخلوقات، فكيف لو كان نبياً من أنبياء الله تعالى كعيسى عليه السلام؟!

ففي مرقس من كلام عيسى عليه السلام لتلامذته:

لأَنِّي الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا الجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي البَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ.**

لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: **كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ**(1).

هو إذاً أمرٌ مرتبطٌ بإيمانهم ويقينهم وارتفاع الشك من قلوبهم، وهكذا هو حال عيسى، فلما بلَغ أعلى مراتب الإيمان وخلى من الشك أطاعه البحر والريح.

رابعاً: أن عيسى صرّح بأن هذه القدرة ليست من نفسه فكيف يكون هو الله؟

ففي إنجيل متى: فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «**دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ**(2). وأصرح منها قوله: **وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي**(3).

فلا يكون الدليلُ تاماً بوجه، لافتقار عيسى عليه السلام لله تعالى، واستغناء الله تعالى عن كلّ أحد.

---

(1) مرقس١١: ٢٣و٢٤.

(2) متى٢٨: ١٨.

(3) يوحنا٨: ٢٨.

١٤. الأزلية

وقد استُدِلَّ على أزليّة عيسى ثم مساواته بالله تعالى بأدلة عدة منها:

الدليل الأول: ما ورد في الإنجيل: قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الحَقَّ الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ**»[١].

بتقريب أن قوله (أنا كائن): يدلُّ على الأزلية.

الدليل الثاني: قول عيسى: **أَنَا مِنَ البَدْءِ**[٢].

يقول الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب حول الآية: **فمن هو الذي من البدء غير الله وحده الأزلي، فهذا إعلانٌ من الرب يسوع عن أزليته، فهو الإله الأزليّ الذي من البدء**، البدء الذي لم يسبقه أي بدء كان[٣].

الدليل الثالث: ما ورد فيه: فَكَمْ بِالحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ المَسِيحِ، **الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ**، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الحَيَّ![٤].

بتقريب أن من كانت روحه أزلية فهو أزلي.

الدليل الرابع: ما ورد عن الابن: الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ المَنْظُورِ، **بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ**، وَفِيهِ يَقُومُ الكُلُّ. وَهُوَ رَأْسُ الجَسَدِ: الكَنِيسَةِ.

---

(١) يوحنا٨: ٥٨.

(٢) يوحنا٨: ٢٥.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح – الكتاب الثالث ج١ ص٣٦.

(٤) العبرانيين٩: ١٤.

الَّذِي هُوَ البَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ[1].

ومثله قول عيسى: وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ **بِالمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ العَالَمِ**[2]. وقوله: **لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ العَالَمِ**[3].

بتقريب أنه قبل كل شيء وقبل العالم وأنه البداءة فهو أزلي مساوٍ لله تعالى، لأن الأزليّ هو الذي يسبق العالم.

المناقشة فيه

يلاحظ على الدليل الأول (أنا كائن):

أولاً: أن لفظ (كائن) لا يدلُّ بنفسه على الأزلية، وليست الأزليّة من معانيه، ولا هو من مرادفاتها، **فيكون أجنبيّاً عن المُدعى**، وكونه كائناً قبل إبراهيم لا يعني أزليّته بوجه، فآدم عليه السلام كائنٌ قبل إبراهيم عليه السلام ولم يكن آدم أزلياً.

تأمل مثلاً ما ورد في رسالة بطرس: لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: **أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ القَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ الله قَائِمَةً** مِنَ المَاءِ وَبِالمَاءِ، اللَّوَاتِي بِهِنَّ **العَالَمُ الكَائِنُ حِينَئِذٍ** فَاضَ عَلَيْهِ المَاءُ فَهَلَكَ[4].

فقد وصف السماوات بأنها كانت منذ القديم، دون أن يعني ذلك الأزلية، ووصف العالم بأنه (**العَالَمُ الكَائِنُ حِينَئِذٍ فاضَ**..)، فلو دل لفظ (الكائن) على

---

(١) كولوسي١: ١٥و١٧و١٨.

(٢) يوحنا١٧: ٥.

(٣) يوحنا١٧: ٢٤.

(٤) بطرس الثانية٣: ٥و٦.

الأزلية لَلَزِمَ أن يكون العالم الأزليّ قد فاض حينئذ، ولا يقول النصارى بأزلية العالم.

ولو كان قوله (كائن) يدل على الأزلية لكان بولس أزلياً أيضاً، لقوله: وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى **نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي**[1].

لأن ناموس الخطية الكائن في أعضاء بولس يدل على أن كينونته أزلية، وبالتالي فإن بولس أزليّ وناموس الخطيّة الذي فيه أزلي أيضاً.

ثانياً: أن العبارة تتحدث عن مقطعٍ زمنيٍّ مُحَدَّد، أي عن مرحلة ما قبل وجود إبراهيم ولا ذكر فيها للأزلية، ولذا لا يصح ما ذكره الشماس الإكليريكي د. سامح حلمي بقوله: عبارة (أنا كائن) التي قالها السيد المسيح عن نفسه **تفيد الكينونة الدائمة التي لا يتصف بها إلا الله وحده، فهي تعني أنه الكائن في الماضي والكائن في الحاضر والكائن في المستقبل**[2].

فكلامه يتضمن اقتطاعاً للعبارة عن سياقها، حيث أنها ناظرة إلى فترة محددة وهي (قبل أن يكون إبراهيم)، فتتحدث عن تلك الفترة فقط ولا تتحدث عن الأزلية بوجه من الوجوه.

والماضي والحاضر والمستقبل لا يعني الأزلية، لأني أنا كاتب هذه السطور كما أنت قارئها كائنٌ منذ الأمس واليوم وغداً إن بقيتُ حياً، وكائنٌ قبل أن يولد

(١) رومية٧: ٢٣.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص١٦٠.

ابني، وهكذا.

وقد تنبّه لهذا بعض علماء النصارى، فذكر الاستدلال بها على وجه الاحتمال الذي لا يفيد علماً بصيغة (لعلّ)، يقول القس جون. ر. ستوت: نرى أنه لم يقل: قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت. بل قال: أنا كائن. **ولعلّ هذا يعني إقراره بوجوده ليس فقط قبل إبراهيم بل منذ الأزل**. كما أن في هذا القول (أنا كائن) ما هو أعمق من هذا، **لأن فيه إقراراً بألوهيته**[(١)].

وهو بعدما أقرّ بعدم ظهور الدليل في الأزلية، عدّه دليلاً على الألوهية! وهو أعجب من سابقه. ومن الغريب جداً التمسك بهذه الاستدلالات الضعيفة الواهية. فإن وجوده قبل إبراهيم لا علاقة له بالأزلية بتاتاً، والاستدلال ب(لعل) هو استدلال باحتمالٍ بعيد لا شاهد له ولا يمكن قبوله.

أما إقرار عيسى عليه السلام بألوهيته فلا يُعرف له وجهٌ من هذا النص أبداً. إنها إسقاطات لعقائد مسبقة، وللقارئ التأمل في هذه النصوص: هل أنّها تدلُّ بوجهٍ على الأزلية والألوهية؟!

ثالثاً: أنّ كثيراً من نسخ الانجيل قد خلت من هذا اللفظ (كائن)، ففي النسخة التي ترجع ترجمتها لأكثر من ألف عام قوله: **من قبل أن كان إبراهيم كنتُ موجوداً**[(٢)].

وفي المعنى الصحيح لإنجيل المسيح: فأجابَهُم بقولِهِ: الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم،

(١) المسيحية الأصلية ص٢٥.

(٢) الأناجيل النصوص الكاملة ص٣٦٦.

قد كُنتُ قَبلَ أن يُولَدَ إبراهيمُ.

وفي ترجمة العالم الجديد: **مِنْ قَبْلِ أَنْ وُجِدَ إِبْرَاهِيمُ كُنْتُ أَنَا.**

وقريب من هذا العبائر ما ورد في نسخة ريتشارد واطس ١٦٧١م وترجمة ابن العسال ١٢٥٣م: **أنا قبل أن يكون إبراهيم.**

وقريبٌ منها ما في الشريف الطاهر المقدس ١٨٦٥م، وفي الطبعة الالمانية ١٨٦٤م، وفي طبعة الآباء الدومينيكان، وطبعة روما ١٩٥١م.

يتبيّن بما تقدّم أن أقصى ما يدلُّ عليه هذا النصُّ هو تقدُّم وجود عيسى على وجود إبراهيم عليه السلام، وإن كان إبراهيمُ متقدماً في هذه الدنيا، أمّا كيف كان وجود عيسى متقدِّماً؟ فهذا ما لا يفصح عنه الدليل، ولعلّ مُراد كاتب الإنجيل من النص قريبٌ مما يعتقده المسلمون في نبيّ الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، من أنّه خُلِقَ نوراً قبل خلق الخلائق، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: **يا جابر، أوّل ما خلق اللهّ نور نبيّك**[1].

ويلاحظ على الدليل الثاني (من البدء):

أولاً: أنه قد تقدمت مناقشة البدء وتقدم عدم دلالتها على الأزل.

ثانياً: أن الاستدلال يعتمد على اقتطاع النص، فإنّ تمامَه يبيّن عدم صلته بالأزليّة بوجه: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا مِنَ البَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِهِ.

إذا هو لا يتكلّم عن بدء الخليقة أو ما شابه، إنما عن بدء خطابه معهم ومحاجته إياهم، فيكون الاستدلالُ به في غاية الضعف، بل يكاد يكون نوعاً من التزوير والتحريف للكَلِمِ عن مواضعه.

---

(١) غرر الأخبار ص١٩٥.

ويلاحظ على الدليل الثالث (بروحٍ أزليّ):

أولاً: أن نسخ الانجيل مختلفةٌ في هذه الآية، ففي الطبعة المشتركة: قَدَّمَ نَفسَهُ إلى الله **بالرُّوحِ الأزليِّ** قُرباناً لا عَيبَ فيهِ. وفي الطبعة الهندية: **قرّب نفسه بالروح الأبدي لله قرباناً**. وفي المعنى الصحيح: قَدَّمَ المَسيحُ نَفسَهُ لله **بِقوَّةِ رُوحِ الله الأَزَليّ**.

فالروح الأزلي هنا بحسب هذا النصّ ليس روح عيسى عليه السلام، إنما هو روح الله الأزلي.

وفي ترجمة القمص قزمان البراموسي: **قرّب نفسه بلا عيب إلى الله**، بالروح (القدس) الأزلي يُطهّر ضميركم من فرائض البشر، لتعبدوا الله الحي.

وفي هذه الترجمة لم يكن للروح علاقة بما فعله عيسى من تقديم نفسه، بل كان الروح يُطَهِّرُ ضميرهم، فتكون الآية أجنبية عن الموضوع تماماً.

ثانياً: أن مفسري الإنجيل قد فسروا الروح هنا بالروح القدس لا بعيسى عليه السلام، فقال وليم ماكدونالد: أما نحن، **فنؤمن بأن الكلام هنا هو عن الروح القدس**؛ لقد قدَّم ذبيحته بقوة الروح القدس.

وقال هنري أ. أيرونسايد: قد قدّم نفسَه ليأخذ مكان الخاطئ، **وذلك بقوة الروح الأزلي**.

فالنصُّ إذاً لا يُثبتُ أزليّة عيسى بوجه من الوجوه، بل يثبت أن الروح الأزليّ هو الذي جعل عيسى بلا ذنب، دون أن يكون عيسى أزلياً.

وعند القائلين بأن الروح مخلوقٌ كما هو الحقّ، لا تثبُت أزليّة أحدٍ سوى الله تعالى.

أما عند القائلين بأنّ الروح أزليٌّ، فلا بد من كونه هو الله تعالى دون تعدُّد في الأقانيم، لأن الله (بحسب الإنجيل) روحٌ، فليس الروح الأزلي إلا هو، ففي إنجيل يوحنا: **الله رُوحٌ**. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا[1].

وبما أن الله أزليٌّ، ولم يرد في الإنجيل نصٌّ يدل على أزلية أحد سوى الله تعالى: **الإِلهِ الأَزَلِيِّ**[2]، فيلزم أن يكون المراد هنا أن عيسى صار بلا عيبٍ بالله تعالى. وهو يوافق ما ذهب اليه الإنجيل من تصريح عيسى بأن كل ما عنده فمن الله كما تقدم ويأتي.

ثالثاً: أن في الكتاب المقدّس شواهدُ على مثل هذه الاستعمالات، فقوله (بروح أزلي) معادلٌ على ما تقدم للفظ: (بالله) أي أنه بالله قدم نفسه لله.

ومن شواهد هذا الاستعمال في الكتاب المقدّس قوله: **بِالله نَصْنَعُ** بِبَأْسٍ[3]، وقوله: أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ **قَادِرَةٌ بِالله** عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ[4]، وقوله: فَقَامَ يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ وَذَهَبَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى الغَابِ **وَشَدَّدَ يَدَهُ بِالله**[5].

فإننا نصنَعُ بالله، ونقدِرُ بالله، وعيسى يقدّمُ نفسه بالله. فإن كان مقصده الله كان قد قدّم نفسه بالله ولله، ومن صنع حقاً فقد صنعه بالله لله.

---

(١) يوحنا٤: ٢٤.

(٢) رومية١٦: ٢٦.

(٣) المزامير٦٠: ١٢.

(٤) كورنثوس الثانية١٠: ٤.

(٥) صموئيل الأول٢٣: ١٦.

وعليه فلا دلالة للنص على ألوهيّة عيسى بوجه.

ويلاحظ على الدليل الرابع (قبل كل شيء):

أولاً: أنّ كونه (بكر كل خليقة) لا يدلّ على الأزلية، بل يدلّ على نفس ما تدل عليه عبارة (**الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ**)، **وهي أنّه وُجد قبل أن توجد كلّ الأشياء**، وهو يجتمع مع كونه أوّل مخلوق من مخلوقات الله تعالى، فتدلّ على خَلقِه لا على أزليته.

ثانياً: أن اختلاف نسخ الانجيل تُبيّن المراد منها بشكل جليّ، ففي (ترجمة الحياة): **البكر على كل ما قد خلق.**

وفي الترجمة السهلة ما يشير إلى أن البِكر تعني السيادة: **وَهوَ السّائِدُ عَلَى كُلِّ الخَلِيقَةِ.**

وفي المعنى الصحيح لإنجيل المسيح: وإنّهُ **سَيِّدُ كُلِّ المَخلوقاتِ.**

فهو (بحسب هذه النصوص) أول خليقة الله تعالى وليس هو الله تعالى!

ثالثاً: لو كان لفظ (البكر) يدل على الأزلية لكان يعقوب عليه السلام أزلياً، ففي العهد القديم، فمن قول الرب لموسى فيه: فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: **إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ**[1].

وكما أن الله قد خلق إسرائيل، فإسرائيل جاء من عند الله، كذلك عيسى عليه السلام، فإن الله تعالى هو الذي أوجده، فكيف يكون أزلياً؟!

---

(١) الخروج ٤: ٢٢.

ففي إنجيل يوحنا: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ الله أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي **خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ الله وَأَتَيْتُ.** لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي[١]. وفي الترجمة المشتركة: **خَرَجتُ وجِئتُ مِنْ عِندِ الله**، وفي نسخة أخرى: لأنّي **من الله صدرتُ ووردتُ وليس من تلقاء نفسي**[٢].

رابعاً: أن الاستدلال بأن له المجد قبل كون العالم، أو أن الله يحبه قبل إنشاء العالم غيرُ تامٍّ أيضاً، لأنّه لا يدلّ على الأزلية، **فهو نظير حبّ الله للمؤمنين قبل خلقهم**، فإن حبّ الله تعالى وغضبه وسخطه ليس كحبنا وغضبنا وسخطنا، كما تقدّم في الفصل الأول أن هذه الصفات ليست كصفاتنا مما يلزم منه التغيُّر والتبدُّل من حالٍ إلى حال، لأن الله لا يتغيّر، **فنَدَمُ الربّ في الكتاب المقدّس يعني صَفحَهُ ومجازاته** كما سلف، وحبُّه تعالى لعيسى عليه السلام قبل خلقه يعني رحمته به، فخصَّه برحمة خاصة عند خلقه، أو يعود إلى صفة العلم وهي من صفات الذات، فيكون بمعنى علم الله بما سيفعل عيسى فيصير محطّ رحمة الله وحبّه أي رضاه عنه.

وبهذا يتّضح خلوّ كل هذه الأدلة من أي دلالة على ألوهيّة عيسى أو أزليّته.

١٥. الخلق

استُدِلَّ على أن عيسى هو الله بكونه هو الخالق، ففي إنجيل يوحنا: **كُلُّ شَيْءٍ**

(١) يوحنا٨: ٤٢.

(٢) الأناجيل النصوص الكاملة ص٣٦٤.

بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الحَيَاةُ، وَالحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ[(١)].

وفي رسائل بولس: **فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الكُلُّ**: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. **الكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ**[(٢)].

بتقريب أنه به كل شيء خُلق، فهو الخالق.

المناقشة فيه

ويلاحظ خلوّ العبارة من أي دلالة على كونه الخالق، فإنها تدل على أن الخلق حصل به، لا على أنه هو الذي خلق.

ويشهد لهذا أمران:

الأول: ما دلّ على أن **الله هو الخالق**، وهي أول آية في الكتاب المقدس: **فِي البَدْءِ خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**[(٣)].

الثاني: ما دل على أن عيسى بكر كل خليقة، وهي الآية السابقة لآية (**فِيهِ خُلِقَ الكُلُّ**) في رسالة بولس، وهي تنصُّ على أنّه: **بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ**[(٤)] فهو مخلوقٌ لا خالق.

---

(١) يوحنا١: ٣-٤.

(٢) كولوسي١٦: ١٦.

(٣) التكوين١: ١.

(٤) كولوسي١٦: ١٥.

وعيسى هو إنسانٌ، والله هو الخالق للإنسان: **يَوْمَ خَلَقَ الله الإِنْسَانَ**[١].

على أن إنجيل برنابا غير المعتَرَف به من قبل الكنيسة وافق المسلمين في كون هذه المنقبة لنبي الإسلام محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حينما نقل قول الله تعالى: **اصبر يا محمّد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمّاً غفيراً من الخلائق**[٢]، وقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لذلك أقول لكم: **إن رسول الله بهاءٌ يسرُّ كل ما صنع الله** تقريباً.. صدّقوني **إني رأيته وقدّمت له الاحترام** كما رآه كلّ نبي[٣]. وبشارته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **ولكن سيأتي بعدي بهاءُ كل الأنبياء والأطهار**[٤].

٣. ألوهية عيسى في القرآن الكريم

قد يُستدلُّ على ألوهية عيسى في القرآن الكريم بكونه (كلمة الله)، وقد تقدم النقاش فيها في الفصل الثالث، وتبيّن عدم دلالتها على ذلك.

أو بكونه يحيي الموتى ويعلم الغيب، وقد تقدم النقاش بعدم دلالة ذلك على الألوهية، أثناء بحث (ألوهية عيسى في الإنجيل).

ويبقى الاستدلال على ألوهيته من القرآن الكريم بكونه خالقاً.

---

(١) التكوين٥: ١.

(٢) إنجيل برنابا٩٧: ١٦.

(٣) إنجيل برنابا٤٤: ١٩و٢٨.

(٤) إنجيل برنابا١٧: ٢٢.

عيسى يخلق كهيئة الطير

قال تعالى عن لسان نبيّه عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ **بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ** طَيْراً **بِإِذْنِ الله** وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١].

وفي آية أخرى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي**﴾[٢].

يقول الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب: **الخلق هو من عمل الله وحده، فالخالق واحدٌ هو الله.. والشخص الوحيد الذي نسب له القرآن عمل الخلقة هو السيد المسيح**.. إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير.. وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير[٣].

ويقول: عندما نقول المسيح خلق باذن الله.. فمن الخالق؟ المسيح هو الخالق، وهل يوجد خالقٌ آخر غير الله؟ هل يوجد خالقٌ إلا الله وحده؟ إذاً مِنَ الواضح وضوح الشمس أن **المسيح له المجد هو هو الله المتأنس**، ولو قال أحدٌ أنّ الله خالقٌ والمسيح خالقٌ إذن فهناك أكثر من خالق، وهذا هو الشرك بالله[٤].

---

(١) آل عمران٤٩.

(٢) المائدة١١٠.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح – الكتاب الثالث ج١ ص١٨٢.

(٤) أسئلة حول ألوهية المسيح – الكتاب الثالث ج١ ص١٨٣.

المناقشة فيه

يلاحظ على هذا الاستدلال:

أولاً: أنّه قد غاب عن ذهن المستشكل **أن الخلقَ في اللغة العربية يُطلق على معانٍ عدّة، أوّلها وأهمُّها (التقدير)**، فعن الخليل بن أحمد الفراهيدي: **وخَلَقْتُ الأديمَ: قدّرته**[1].

وفي الصحاح: **الخَلْقُ: التقديرُ. يقال: خَلَقْتُ الأديمَ، إذا قَدَّرْتَهُ** قبل القطع.

ومنه قول زهير:

و لَأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي[2]

وقال ابن فارس: الخاء واللام والقاف أصلان: **أحدهما تقديرُ الشيء**، والآخر مَلاسَة الشيء. فأمّا الأوّل فقولهم: **خَلَقْت الأديم للسِّقاء، إذا قَدَّرْتَه**[3].

والخلق في آيات عيسى هو **خلقُ تقديرٍ بلا شبهة**، كالمثل القائل: إنّي إذا خَلَقْتُ فَرَيْتُ[4].

فإنّ عيسى عليه السلام خلق ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ فهوّ خَلَقَ الهيئة ولم يخلقه طيراً حيّاً، ومن ثم صار طيراً ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾، فكيف يكون عيسى هو الخالق والإله، والحال أن الهيئة لم تتحول إلى طيرٍ إلا بإذن الله؟!

---

(١) كتاب العين ج٤ ص١٥١.

(٢) الصحاح - تاج اللغة و صحاح العربية ج٤ ص١٤٧٠.

(٣) معجم مقائيس اللغة ج٢ ص٢١٣، وللمزيد يراجع الطراز الأول ج١ ص٢٦٣، ومفردات ألفاظ القرآن ص٢٩٦ وغيرها من كتب اللغة.

(٤) المحيط في اللغة ج٤ ص١٩٤.

وقد روينا عن مولى الموحدين وأمير المؤمنين، إمام البلاغة وسيدها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيان **معاني الخَلق في القرآن الكريم**: سألوه (صلوات الله عليه) عن **مُتشابَه الخَلق** فقال: هو على **ثلاثة أوجه ورابع**، فمنه:

١. خلق الاختراع: فقوله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

٢. خلق الاستحالة: فقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحامِ ما نَشاءُ﴾.

٣. وأما خلق التقدير: فقوله لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ إلى آخر الآية.

٤. وأما خلق التغيير: فقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[١].

فخلق الاختراع، كخلق الدنيا وما فيها، أي أصلُ الخلق لكل مخلوقٍ، وما من خالقٍ بهذا المعنى إلا الله تعالى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٢]. **ولعلّ لفظ الخلق ينصرفُ عند إطلاقه إلى هذا المعنى، لكن في نسبته لغير الله تعالى قرينةٌ على عدم إرادة هذا المعنى** من الخلق.

وأما خلق الاستحالة، فهو الخلق الذي يمرُّ فيه المخلوق بمراحل، كما في خلق الإنسان من طينٍ أو ترابٍ تارة، ومن نطفةٍ تارة أخرى، ومن علقةٍ ثالثة

(١) الآيات الناسخة والمنسوخة (من رواية النعماني)، الشريف المرتضى، ص٧٢.

(٢) الزمر٦٢.

وهكذا، فهي مراحل يتحوّل فيها الإنسان من حالٍ إلى حال، فهو خلق الإستحالة.

وأما خلقُ التقدير، فهو كما في مثال نبيّ الله عيسى عليه السلام، حيث قدّرَ الطين وأحياه الله تعالى، وهذا ليس من مختصات الله تعالى كما تقدم في كتب اللغة وحديث الإمام وآيات القرآن. فإليه ينصرف كلام القرآن حول عيسى عليه السلام.

وقد أطبق علماؤنا تبعاً لهذه القرائن والشواهد على أن الخلق في قصة عيسى هو خلق تقدير[1]، ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن شهرآشوب: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ معنى ذلك أنه **صوّر الطين وسمّاه خلقاً** لأنه كان بقدرة، وقوله ﴿بِإِذْنِي﴾ أي تفعل ذلك بإذني وأمري، وقوله ﴿فَتَنْفُخُ فِيها فَتكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ معناه أنه نفخ فيها الروح لأن الروح جسمٌ يجوز أن ينفخها المسيح بأمر الله تعالى كما ينفخها إسرافيل في الصور، فإذا نفخ المسيح فيها الروح **قلبَها الله لحماً ودماً وخلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن الله وإرادته** لا بفعل المسيح، فلذلك قال ﴿فتكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾[2].

وما ذكره المازندراني: و الظاهر أنه **كان تعالى يخلق الحياة فى ذلك الجسم عند نفخ عيسى** عليه السلام اظهاراً لمعجزته، لان الاحياء و الاماتة من صفاته تعالى كما نطق به القرآن الكريم، وقيل انه **أودع فى نفس عيسى** عليه السلام **خاصيةً بحيث أنّه متى نفخ**

---

(١) يراجع تفسير القمي ج١ ص١٠٢، والتوحيد للصدوق ص٢١٦، والمقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى للكفعمي ص٣٥، وبحار الأنوار ج١٤ ص٢٥٨ وج٩١ ص٢٥٠، ومتشابه القرآن و مختلفه (لابن شهر آشوب) ج١ ص١٧٣، ودلائل الصدق لنهج الحق ج٣ ص١١٩.

(٢) متشابه القرآن ومختلفه (لابن شهر آشوب) ج١ ص٢٥٨.

في شيء كان نفخه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً[١].

بما تقدّم يُعلَمُ صحة إطلاق الخلق على غيره تعالى بغير المعنى الأول كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[٢]، وكما في قوله عزّ وجل: ﴿ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[٣]، فإنّ الخلق فيها خلقَ تقدير، وعليه لا دلالة في الآيات على ألوهية عيسى عليه السلام.

ولذا ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام خطابٌ قدسيّ: فِيمَا وَعَظَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عِيسَى عليه السلام: يَا عِيسَى أَنَا رَبُّكَ وَرَبُّ آبَائِكَ، اسْمِي وَاحِدٌ **وَأَنَا الأَحَدُ المُتَفَرِّدُ بِخَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ**، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ صُنْعِي وَكُلٌّ إِلَيَّ رَاجِعُونَ، يَا عِيسَى أَنْتَ المَسِيحُ بِأَمْرِي، **وَأَنْتَ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي**، وَأَنْتَ تُحْيِي المَوْتَى بِكَلَامِي فَكُنْ إِلَيَّ رَاغِباً وَمِنِّي رَاهِباً[٤].

فعيسى من صُنع الله تعالى، ويرجع لله، وكل ما يفعله من معاجز فبإذن الله تعالى.

ثانياً: كيف يُنسَبُ للقرآن الكريم قوله بألوهيّة عيسى عليه السلام وقد صرّح بأنّه مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى؟!

فقد نقل القرآن عن لسان مريم عليها السلام: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ** وَلَمْ

(١) شرح الكافي: الأصول والروضة ج١٢ ص٩٤.
(٢) العنكبوت١٧.
(٣) المؤمنون١٤.
(٤) الكافي ج٨ ص١٣١.

يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٢).

وقد نقل عنه قوله: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

فهو مقرٌّ لله بالربوبية، معتقدٌ بكفر من خالفه في ذلك من النصارى، غير مستنكِفٍ عن عبودية الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلاَ المَلاَئِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾(٤).

وقد حكم القرآن الكريم صريحاً على من جعله ابناً لله بالكفر: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٥).

ووصفه بصفات المخلوقين، كالحاجة إلى تعليم الله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ

(١) آل عمران٤٧.

(٢) آل عمران٥٩.

(٣) آل عمران٥١-٥٢.

(٤) النساء١٧٢.

(٥) التوبة٣٠-٣١.

وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾(١).

وأنه وأمّه كانا يأكلان الطعام وهي صفات المخلوق دون الخالق: ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ **كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**(٢).

ثالثاً: إن قيل: سلّمنا أنّ المسيح رسول الله، وعبده، لكنّه عبدٌ بحسب الناسوت، إلهٌ بحسب اللاهوت، كما قال الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب: إن المسيح بحسب الناسوت هو رسول الله.. وقول المسيح: **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** (مريم ٣٠) **يوافق العقيدة المسيحية حيث أن السيد المسيح هو إنسان وإله في آن واحد!** (٣).

كان الجواب: إنّ كونه إنساناً أمرٌ وجدانيٌّ متّفقٌ عليه، وكونه إلهاً دعوى ادّعاها النصارى وتَبَيّنَ في مطاوي الكتاب خلوّ الكتاب المقدّس من أيِّ دليلٍ عليها، بل تبيّن دلالتُه على خلافها وهو **التوحيد المطلق**، أما **نسبة هذه العقيدة للقرآن فيُكَذِّبُها القرآن** في أوضح آيات عن كفر القائل بألوهية المسيح: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ الله **شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

---

(١) آل عمران٤٨.

(٢) المائدة٧٥.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح، الكتاب الثالث ج١ ص١٧٣.

(٤) المائدة٧٥.

تتميم: عيسى وخلق الطيور في الأناجيل

ليس في العهد الجديد ذِكرٌ لقصة خلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، لكنّ جُملةً من الأناجيل التي لم تعترف بها الكنيسة قد تضمّنت هذه القصة، ومنها إنجيل الطفولة العائد لتوما، ففيه: عندما كان هذا الطفل أيشع في الخامسة من عمره كان يلعب عند معبر جدول ماء.. بعدما **عمل عجينةَ طينٍ ناعمة، صاغ منها اثني عشر عصفوراً**.. أيشع صفّق بيديه، **وصرخ إلى العصافير، وقال لهم: اذهبوا. فقامت العصافير بالطيران**، وذهبت بعيدةً وهي فرحة. واستولت الدّهشة على اليهودي عندما شاهد هذا[1].

وفي إنجيل الطفولة العربي: عندما أتمّ يسوع عامه السابع، كان يلعب يوماً مع أطفالٍ آخرين.. قال يسوع للأطفال: **انني آمر الصور التي صنعتُها بالسير فتمشي**.. أمر الرَّبُّ يسوعُ الصُوَرَ **بالسير فتقدّمت على الفور، وحين كان يأمرها بالعودة كانت تعود**. وقد **صنع صور طيور وعصافير دوريّ كانت تطير** حين يأمرها بالطيران، وتتوقف حين يقول لها أن تتوقف، وحين كان يقدّم لها شراباً وطعاماً **كانت تأكل وتشرب**. وحين غادر الأطفال وروَوا لأهلهم ما رأوا قال لهم هؤلاء: ابتعدوا من الآن فصاعداً عن مجلسه، فهو ساحرٌ، وكُفُّوا عن اللعب معه[2].

كذلك ورد ذكرها في إنجيل توما الإسرائيلي، وإنجيل مولد مريم وميلاد

---

(١) الأناجيل النصوص الكاملة ص٥٩٧.

(٢) الأناجيل المنحولة ص٧٠.

المخلّص[1]، وغيرها من الأناجيل.

صفات عيسى وثمرة الفصل

بعد كلّ ما تقدّم، يظهر خلوّ الكتاب المقدّس بعهديه فضلاً عن القرآن الكريم من أي دليل على ألوهية عيسى عليه السلام، بل دلّ الكتاب المقدّس على بَشَرِيّته واحتياجه لله تعالى، وأنّ كل ما عنده فمن الله، وعلى ولادته وموته واتصافه بصفات البشر، ونزّه اللهَ تعالى عن أن يسكُنَ في الهياكل المصنوعة، وذَمَّ عبادة الإنسان للإنسان، فمن صفات عيسى عليه السلام في الإنجيل عن لسانه قوله: وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، **وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الله**[2].

وقد أقر مِراراً بأن ما عنده ليس ذاتياً بل من الله: ففي الإنجيل عن لسانه: **كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي**[3]، وعنه أيضاً: **دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ**[4]. وغيرها مما تقدّم.

أما نماذج ذمّ عبادة الإنسان وهو ما ينطبق على عبادة الناس لعيسى عليه السلام، ففي الإنجيل: **وَأَبْدَلُوا مَجْدَ الله الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ الله أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ الله بِالْكَذِبِ،**

(١) الأناجيل المنحولة ص٢٢ و١٠٥.

(٢) يوحنا ٨: ٤٠.

(٣) متى ١١: ٢٧.

(٤) متى ٢٨: ١٨.

وَاتَّقَوْا **وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ**، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ[1].

هي عبادةُ المخلوق إذاً وليست عبادةً للخالق، خالق السماء والأرض والناس وعيسى عليه السلام.

ولن يُقبَلَ من أحد قوله أنّ الله حلّ في عيسى أو في غيره، لأن الله لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي، ففي أعمال الرسل: لكِنَّ العَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلِ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ[2]. وفيه: **الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ العَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ،** هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، **لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْساً وَكُلَّ شَيْءٍ**[3].

أما عيسى عليه السلام، فهو على عَظَمَتِه إنسانٌ يُخدَمُ بأيادي الناس، وهو المُحتاج في أصل وجوده لله تعالى، وفي حياته لمن حوله، وهو الذي يتأثّر بهم فيفرح معهم ويحزن لحزنهم، ويُضطهد من قبلهم بل يُقتل على أيديهم، فكيف يكون لهم رباً؟! وكيف يكون عيسى هو الله؟! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

---

(١) رومية١: ٢٣-٢٥.

(٢) أعمال الرسل٧: ٤٨..

(٣) أعمال الرسل١٧: ٢٤-٢٥..

عَودٌ على بدء

في زَمَنٍ تُستَبدَلُ فيه سُبُل الحوار بالمتاريس، فتحلُّ محلّ الحوار الهادف البنّاء.

في زَمَنٍ تُستَعمَلُ فيه كلُّ أسلحة الدّمار لتخريب الآراء والأفكار وتشتيتها، وتسقط فيه كل المحرمات.

لا بدّ للحقّ الذي يُرشد إليه العقلُ أن يُدلي بدلوه، ويُبقي على سُبُل التواصل بين الخَلق مُشرَعة، لأن في إغلاقها خسارَةٌ لا تُعَوَّض.

والناسُ كالرَّعيّة صنفان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته للأشتر: **إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ،** يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ الله مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ[1].

في هذا الكتاب مُحاولةٌ للأخذ بيد النصارى نُظَرَاؤنا في الخَلق، لنكون عوناً لهم على صعوبات الأيام التي اختلط فيها الحقُّ بالباطل، ودعوتنا لهم هي دعوةُ القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ **تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله** فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

لقد سلكنا في هذا الكتاب مَسلَكَ من يعتقدُ بصحّة الكتاب المقدَّس، وسَبَرنَا أغوارَه لنرى هل أن دعوَتَهُ توحيديةٌ أم تثليثيةٌ أم جامعةٌ لهما، فوجدنا

---

(١) نهج البلاغة ص٤٢٧-٤٢٨.

(٢) آل عمران ٦٤.

التوحيدَ فيه صريحاً لا لبس فيه، والتثليثَ فيه غامِضَاً مُبهَماً في أحسن أحواله، خَفيَّاً غير ظاهر، معارِضاً للتوحيد في جوهره، ولم نجد للجمع بينهما وجهاً، رغم ذلك أفردنا كتاباً آخر للبحث في موقف العقل من الثالوث، وإمكان الجمع بينهما، أسميناه (الثالوث صليب العقل).

في كتابنا هذا دعوةٌ للنصارى للعودة إلى الكتاب المقدس وقراءته قراءةً جديدةً خاليةً من الأحكام المُسبَقة، فليست عقيدة آريوس في التوحيد بدعاً في القول بين المتقدّمين، ولا عقيدة شهود يَهوَه وأتباع الكنيسة التوحيدية القائلون بإلهٍ واحد لا أقانيم له ببعيدةٍ عن الكتاب المقدّس، وليس ملايين المسيحيين المعاصرين المنكرين لأزليّة عيسى عليه السلام بأعداء لهذا الكتاب.

إن القائل بالتثليث يضرب بالجدار كلّ نصوص التوحيد في الكتاب المقدّس، ويُخَالف أصرح النصوص التي تنفي ان يكون الله إنساناً أو ابناً للإنسان، ففي سفر العدد: **لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ**. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟[1].

عيسى إنسانٌ وابنُ إنسانٍ، فكيف صار هو الله؟!

وليسَ لعاقِلٍ أن يُوكِلَ مهمّة الفهم إلى غيره! إلا أن يكون هذا الغيرُ معصوماً بلا ريب، فيستعينُ به حينها على الفهم والتعقُّل والإدراك.

(١) العدد٢٣: ١٩.

تفسير الكنيسة

ولعلّ قائلاً يقول:

لقد أخطأتم حين فسّرتم الكتاب المقدّس بغير ما فسّرته به الكنيسة، وسلبتموها حقاً إلهياً لها واعتَدَيتُم عليه، فإنّ: **مهمة تفسير كلمة الله**، المكتوبة أو المنقولة، تفسيراً أصيلاً، **عُهِدَ فيها إلى سُلطة الكنيسة التعليمية الحية وحدها، تلك التي تمارس سلطانها باسم يسوع المسيح**(١).

وإنّ: **كلّ ما يتعلق بطريقة تفسير الكتاب هو في النهاية خاضعٌ لحكم الكنيسة التي تقوم بالمهمة والرسالة**(٢).

فنجيبه:

أن هذا القولَ منقوضٌ بأمور:

أوّلها: أنه لا دليل عليه. فليس في الكتاب المقدس (على فرض صحته) ما يدلّ على ذلك، ويُفتَرَض بأتباع عيسى عليه السلام أن يتّبعوا الدليل، **وحَصْرُ تفسير الكتاب بالكنيسة دون دليلٍ** من الكتاب نفسه أو من عيسى عليه السلام أو من العقل **هو تَسَلُّطٌ فكريٌّ لا يمكن الموافقة عليه.**

ثانيها: أن النصارى أنفسهم غير متفقين على ذلك، **فأحدُ مفردات الخلاف بين المذاهب الثلاثة الأساسيّة هو صلاحية ممارسة الكنيسة لسلطانها** باسم يسوع

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٣١ فقرة٨٥، عن الوحي الإلهي ١٠، المجمع الفاتيكاني الثاني.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٣٦ فقرة١١٩.

المسيح، **بما في ذلك عصمة البابا** التي صارت محلّ خلاف عندهم.

فتعتقدُ الكنيسة الكاثوليكيّة التي تمثل الشريحة الأكبر من المسيحيين اليوم بعصمة البابا، يقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: إن كان الأنبياء والرسل قد نالوا عطية الوحي، **فإن البابا أيضاً عندما يتحدث بصفته الرسمية بِحُكم وظيفته البابوية ينالُ تأييداً خاصاً من الروح، وبذلك يكون معصوماً**[1].. تبلغ الرئاسات الكنسية قمتها في البابا الذي **أعلنت كنيسة روما رسمياً في مجمع الفاتيكان المنعقد بروما عام ١٨٧٠ أنه معصومٌ من الخطأ**، فهو أبو الكنيسة كلها (البابا: الأب) ورئيس الكهنة خليفة بطرس، وهو وكيل المسيح في السلطة على الكنيسة[2].

لكن هذا القول لم يبق بلا ردّ عند سائر المذاهب المسيحية، يقول صموئيل بندكت: **إن الكتاب المقدس لم يذكر كلمة بابا أبداً، ولا يذكر رتبةً أو مركزاً آخر كمركز البابا. والمسيح لم يعلن عن بطرس أنه "البابا"**، ولا التلاميذ ولا بطرس نفسه أعلن أنه البابا. **لذلك فلا سلطة للباباوات ولا هم أولياءُ عهدٍ**، لأنّ بطرس لم يكن له أتباعٌ أبداً[3].

ويقول: الكائن الوحيد المنزّه والمعصوم عن الخطأ هو الله. ولكنّ **الكنيسة الكاثوليكية تقول أنّ البابا عندما يتكلم وهو جالس على عرشه عن أمور الإيمان والأخلاق يكون معصوماً من الخطأ**. إن مفهوم هذه العقيدة هو أن البابا لا يخطئ

(١) بين العقل والإيمان ج١ ص١٨٠.

(٢) بين العقل والإيمان ج١ ص١٨٢.

(٣) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص٧.

في أي كلمة يقولها في الإصدارات الرسميّة المختصة بعقائد الكنيسة وبالأمور الأخلاقية، **وكلامه حقٌّ، ولا يحتوي سوى الحق لأنه لا يستطيع أن يخطئ، ومن ثم فهو معصومٌ ومنزّه عن الخطأ.. إن الباباوات أنفسهم لم يعرفوا بأمر عصمتهم إلا بعد ١٨٠٠ عام، أي حين أُعلِنَ الأمر كقانون للإيمان في مؤتمر الفاتيكان المنعقد في روما عام ١٨٧٠**. وقد حدث في هذا المؤتمر نزاعٌ وجدالٌ طويل حول العقيدة التي نحن بصددها[1].. إن الاختلافات والتناقضات التي يُظهرها التاريخ بين الباباوات، تكاد لا تُعَدُّ ولا تُحصى من كثرتها. **ولعل هذا يرينا أنه إذا تناقض اثنان من الباباوات، أفلا يكون أحدهما غير معصوم؟**[2].

بناءً على حكم العقل القطعي هذا، من أنّه لو حصل الخلاف او التناقض بين طرفين أو جهتين أو نصين، لا يمكن الحكم بعصمتهما أو صحتهما معاً، **ولمّا كان القول بالتوحيد والتثليث معاً هو جمعٌ بين المتناقضين**، كان لا بُدَّ من طرح أحدهما، **إما معنىً أو نصاً**، والأول هو ما فعلناه في هذا الكتاب، حيث رفعنا اليد عن ما يُدَّعى دلالته على الثالوث للتحفُّظ على أدلة التوحيد القطعية، والتَخَلُّص من المعارضة بين نصوص الكتاب المقدس في هذا الباب.

وأمّا رفع اليد نصَّاً فهو يقتضي عدم صحة الكتاب المقدس رأساً، وقد بنينا في هذا الكتاب على مناقشة النصارى على فرض صحة كتابهم.

ثالثها: أنّ ما تذهب إليه الكنيسة هو اجتهادٌ خاصٌّ بها، لا يمكن إلزام

---

(١) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص٨.

(٢) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص١٠.

الآخرين به، فإن: **الكنيسة تجتهد أن تفهم، عبر هذا التاريخ وهذه النصوص، كلمة الله التي تحملُها**[١]. فكيف ساغَ للكنيسة أن تُلزِمَ المؤمنين بالتثليث الذي اجتهدت لاثباته؟ وقد دلّهم العقل والكتب السماوية على التوحيد؟

رابعها: أنّه ليس للكنيسة ولا لسواها حتى لو أتت قساوستها بالآيات والأعاجيب أن تدعو الناس للتثليث، لأنّ هذه الدعوة أوصلت لعبادة المخلوق دون الخالق، وقد نهى الكتاب المقدّس عن الاستماع لكلّ دعوةٍ أوصلت للإله الذي لم يُعرَف أيام أنبياء العهد القديم، وألوهيّة عيسى مصداقٌ لذلك، ففيه: «**إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا، وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً**، وَلَوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ الَّتِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: **لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا** وَنَعْبُدْهَا، **فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذلِكَ الْحُلْمَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ** لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ»[٢].

بل حَكَمَ الكتاب المقدّس على صاحب هذه الدعوى بالقتل: **وَذلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذلِكَ الْحُلْمَ يُقْتَلُ**، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ[٣].

إن رسالة الكتاب المقدّس تفيدُ أن أيّ آية أو معجزةٍ أو كرامةٍ أتى به داعٍ أو نبيٍّ يرشد إلى آلهة أخرى لم يعرفها بنو إسرائيل ينبغي ردّها وتكذيبها، ولعلّ في تلك الدعوة امتحانٌ إلهيّ ينبغي على النصارى أن يتنبهوا له.

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة ص٥٦.

(٢) التثنية١٣: ١-٣.

(٣) التثنية١٣: ٥.

ودعوى التثليث لم يعرفها بنو إسرائيل بإقرار النصارى، الذين يعتقدون أن الثالوثَ إعلانٌ سماويٌ ما عرفته البشرية إلا على يد عيسى عليه السلام.

ومقتضى العمل بالكتاب المقدَّس تكذيبُ هذه الدعوى وعدم الذهاب وراء آلهة أخرى لم يعرفوها، ومقتضى العمل بهذه الآيات هو لزوم قتل صاحب هذه البدعة كما ينص عليه الكتاب المقدّس.

بل جعل الكتاب المقدَّس هذا الحكم شاملاً حتى للاخ والأولاد وغيرهم إن روّجوا لعقيدةٍ باطلة في عبادة غير الله حين قال: «وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: **نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ.. فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ** تَسْمَعْ لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، **بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ**. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا[1].

وإنّ النصرانية قد دعت لعبادة عيسى عليه السلام والروح القدس، ولم يَعرِف ذلك بنو إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، فيكون تكليفهم هو البراءة من هذه العقيدة: **وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ**[2].

فلا ينبغي تصديق كل من زعم أنه ينقل عن الله تعالى حتى لو كان نبياً، وذلك بحسب أوامر الكتاب المقدّس، وجمعاً بين هذه النصوص فإنّ كلّ من يزعم

---

(١) التثنية١٣: ٦-٩.

(٢) التثنية١٨: ٢٠.

أنه نبيٌّ ناقلٌ عن الله تعالى ويُعَرّفُنَا على آلهةٍ لم نعرفها يُرَدُّ كلامه ويُرجَم.

لذا فإن حكم القائلين بالتثليث من آباء الكنيسة الأولى كان القتل رجماً بحسب الكتاب المقدّس، ولعلّه لهذا السبب لم يقبل كثيرٌ من بني إسرائيل هذه الدعوى في أيّامها وحاربوا المعتقدين بها، إذ كان ذلك امتثالاً حرفياً لوصايا سفر التثنية من الكتاب المقدس.

بطرس يحذِّرُ من التحريف

لقد حذّر الإنجيل من التعاليم الغريبة، ولَفَتَ النصارى إلى ضرورة التنبُّه لعدم الانسياق خلفها، فقال: **لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَا**[1].

وليس أغرب من القول بالثالوث عقيدةً: إما متناقضة! أو عَسِرَة الفهم! أو يلزم منها التركُّب في الله أو التعدُّد! وجلّ تعالى عن كلّ ذلك.

إن القول بالثالوث استناداً إلى الانجيل يَصيرُ مِصداقاً لكلام بطرس عن: **أَشْيَاء عَسِرَة الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ**[2].

فكلُّ قولٍ ينافي التوحيد هو تحريفٌ لنصوص الإنجيل، واضحة الفهم كانت أم عسرة الفهم، لأن المُعتَقِدَ بالإنجيل يراه كلام الله، ولا ينبغي نسبة التناقض لكلام الله، وقد ثبت التناقض بين التوحيد والتثليث، وخلوّ الكتاب

(١) العبرانيين١٣ : ٩.

(٢) بطرس الثانية٣: ١٤-١٦.

المقدس عن أيّ نصٍّ صريحٍ يدلُّ على التثليث..

إنما حُرِّفت هذه النصوص عن مواضعها على فرض صحتها، وقد حرّفها غير العلماء الذين ينبغي الحذر منهم.

والعودةُ إلى تعاليم الإنجيل تُبيّن أن عيسى عليه السلام كان نبيّاً مرسلاً من الله تعالى، يعمل مشيئةَ الله عز وجل: قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ **مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي** وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ؟[1].

وقال الناس عنه: **هٰذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ**[2]. فلم يستنكر قولهم لأنه الحق من ربهم.

وإذا كان الكتاب المقدس يطلق على الله لفظ الآب، فإن عيسى عليه السلام ليس هو الله جزماً، لأن **الله أعظم منه**: لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، **لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي**[3].

كرامة عيسى نبيّ الله

عيسى نبيُّ الله هذا قال يوماً بحسب الإنجيل: **لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ**[4].

لقد ذبحوا كرامته حين جعلوه الله، فأيُّ كرامةٍ أكرموه بها حين رفعوه إلى

---

(١) يوحنا٤: ٣٤.

(٢) متى٢١: ١١.

(٣) يوحنا١٤: ٢٨.

(٤) متى١٣: ٥٧ ومثله في مرقس٦: ٢-٤.

مصاف الألوهية وجعلوه شريك الله في سلطانه؟!

ونحن نتصوّر ما نَسَبَه له إنجيل برنابا، ونرى بعضه محتملاً جداً ولو لم يَثْبُت هذا الإنجيل، لموافقته للعقل والمنطق وما جرى في التاريخ، حينما خاف عيسى من تأليه الناس له، فقال مخاطباً الله تعالى: **خذني من العالم يا ربّ. لأن العالم مجنونٌ وكادوا يدعونَني إلهاً**(١). وفي نسخة أخرى: **أخرجني من الدنيا يا ربّ، لأن الدنيا مجنونةٌ، فعمّا قليل سَيُسَمُّوني الله**(٢).

وقال: **إني أقشعرُّ لأن العالم سيدعوني إلهاً.. إني رجلٌ فانٍ كسائر الناس**(٣).

ونحن نستحضر حالَه وهو الذي فتح الله له باباً من علم الغيب، فَعَلِمَ ما يجري بعده حتى قال: **ليكن ملعوناً كلُّ من يُدرج في أقوالي أني ابنُ الله**(٤).

وقال: إنكم قد **ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الاسرائيليون لأنكم دعوتموني إلَهكم وأنا إنسان**.. لُعن الشيطان الذي أغراكم بهذا ألفَ لعنة(٥).

كم تألم **نبيُّ الله عيسى** عليه السلام حينما نسبوه للألوهية وهو بشرٌ مثلهم! وكم كانت حسرته عليهم حينما فَهِمُوا الكلام مغلوطاً، فقال: **إنّه في الأنبياء مكتوبٌ أمثالٌ كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى**(٦).

---

(١) إنجيل برنابا٤٧: ٩-١٠، ترجمة الدكتور خليل سعادة.

(٢) كما في ترجمة الخوري بولس فغالي.

(٣) إنجيل برنابا٥٢: ١٠-١٢.

(٤) إنجيل برنابا٥٣: ٣٥.

(٥) إنجيل برنابا٩٣: ٢و٤.

(٦) إنجيل برنابا١٧: ٢٠.

إن الذي حَفِظَ كرامة أنبياء الله ورسله وملائكته هو القرآن الكريم الذي جعلهم عباداً مكرمين لله تعالى: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[١].

ومسكُ الختام، مع آيات القرآن الكريم، التي تُبيّن عَظَمَة هذه الفرية على الله تعالى ونبيّه عيسى عليه السلام: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾[٢].

وفي نهج البلاغة لإمام البلاغة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليه السلام الذي يُجِلُّه جُلُّ من قَرَأَ نهجَهُ من الباحثين المسيحيين كلماتٌ تدخل العقل قبلَ القلب، حينما يصف الله تعالى بأنّه: لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، **جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ**[٣].

والحمد لله رب العالمين

محمد مصطفى مصري العاملي

٨-٣-٢٠٢٠ للميلاد

١٣ رجب ١٤٤١ للهجرة، ذكرى ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) الأنبياء٢٦-٢٧.

(٢) مريم٨٨-٩٣.

(٣) نهج البلاغة ص٢٧٣.

كتبٌ للمؤلف

كُتُبٌ للمؤلف من سلسلة (العلم والإيمان):

١. عِرفانُ آل محمد عليهم السلام.
٢. الإلحادُ في مَهَبِّ الريح.
٣. قَبَساتُ الهدى: وقفاتٌ مع فكر الدكتور شريعتي.
٤. تَنزيهُ التَشَيُّع من خِرقَةِ التصوُّف.
٥. الثالوث والكُتُبُ السماويّة.
٦. الثالوث صليب العقل.

وأبحاثٌ أخرى قيد الإعداد.

الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

في هذا الكتاب

مُحَاولَةٌ للأخذ بيد النصارى نُظَرَاؤنا في الخَلق، لنكون عوناً لهم على صعوبات الأيام التي اختلط فيها الحقُّ بالباطل، ودَعوَتُنَا لهم هي دَعوَةُ القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّه فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

صدق اللّه العليُّ العظيم



في زَمَنٍ تُستَبدَلُ فيه سُبُل الحوار بالمتاريس، فتحلُّ محلّ الحوار الهادف البنّاء: لا بدّ للحقّ الذي يُرشِدُ إليه العقلُ أن يُدلي بدلوه، ويُبقي على سُبُل التواصل بين الخَلق مُشرَعة، لأن في إغلاقها خَسارَةٌ لا تُعَوَّض.

